

اخترت لك من التراث

طَبَائِعُ النِّسَاءِ

وَمَا جَاءَ فِيهَا مِنْ عَجَائِبَ وَغَرَائِبَ، وَأَخْبَارٍ وَأَسْرَارٍ

للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي
صاحب العقد الفريد

تحقيق وتعليق

محمد إبراهيم سليم

مكتبة القرآن

للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق
القاهرة - ت : ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

جميع الحقوق محفوظة
لمكتبة القرآن



بين يدي هذا الكتاب

باسم الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .. وبعد .. فإن الأمم الناهضة تعمل على وصل ماضيها بحاضرها ، وتعريف أبنائها بما حققه أسلافهم فى شتى الميادين ! .

ألا وإن تراث أمتنا زاخر بشتى ألوان العلم والمعرفة ؛ فما أجدرنا بالعمل على إحيائه ، وبذل الجهود لجمع شتاته ، وتحقيق أمهاته ، ودراسة موسوعاته دراسة تأمل واستيعاب ، كى يتسنى تقديمه للأجيال المحبة لتراثها فى صورة ملائمة للعصر تتيح لهم الاستفادة والمتعة ، ومعايشة ذلك التراث العظيم بدلاً من أن تعبت به يد الإهمال والضياع !! .

ولقد بدأنا نختار للقارئ العربى من كتب التراث ما يدعم مكتبته ، ويرضى ذوقه ، ويحقق رغبته ، وينفعه فى دينه ودنياه ، ويعينه فى معترك الحياة .

وكان على رأس الموضوعات التى قررنا أن نقدمها للقارئ العربى ما تضمنته كتب التراث من طبائع النساء وأخبارهن ، وما يحمد ويذم من عشرتهن وما فى هذه الحياة من غرائب وعجائب لنزداد لهن فهما ، ومنهن قربا ، وبهن معرفة وأنسا ، فتطمئن القلوب ، وتسعد النفوس ، وتسكن الأرواح ، وتنتعش الأفئدة ، وتقر العيون ، وترفرف أعلام السعادة فى كل بيت .

ولا عجب ، فالمرأة قد « ملأت الدنيا وشغلت الناس » وما يقدم عنها من كتابات لا يُسهَم فى وضع الأساس ، ولا يكاد يسمُن أو يغنى من جوع ، وكأنى بالقراء يقولون : هل إلى كتب التراث من عودة ورجوع ؟! .

وعكفنا على كتب التراث ندرس .. ونبحث .. ونوازن .. ونقارن
حتى انتهى بنا المطاف عند ابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » ذلك الكتاب
الذى ألفه صاحبه لأهل المغرب فجمع فيه أشتاتاً من ذخائر أهل المشرق
مما تضمنته الموسوعات الكبرى مثل : « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، « والبيان
والتبين » للجاحظ ، « والكامل » للمبرد .

إنه الكتاب الثانى بعد كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصبهاني فى منزلته
العلمية وقيمته الأدبية ، فالكتاب إذن اسم على مسمى .. كل حبة من حباته
الخمس والعشرين باب من أبواب العلم والمعرفة التى لا غنى عنها لرواد الأدب
ومحبي التراث ، فلا عجب إذاً ما رأينا النفوس إليه مشتاقة ، والقلوب تواقه .

وكلما مرت الأيام يزداد « العقد الفريد » تألقاً ، وتغلو قيمته ، وترتفع
مكانته ؛ ليأخذ مكانه - فى المكتبات العامة - بين المراجع والموسوعات التى
لا تعار !! ، والقارىء الناشئ يجتر آلامه ، ويكي أحلامه ، فى الحصول عليه
وعلى إحوة له آثروا ذلك المكان ليظلوا فى الحفظ والصون بعيداً بعيداً
عن متناول القراء !! .

وكأنى بالقارىء يعزى نفسه مردداً :

هى الشمس مسكنها فى السماء فعزّ الفؤاد عزاءً جميلاً
فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولاً !!

ولكن كيف السكوت على هذا والعقد الفريد - كما قلنا - هو الكتاب
الثانى بعد الأغاني ؟! إنه يقع فى ثمانية أجزاء وتقديمه كله تحول دونه عقبات
وصعاب ، والاختيار من بين حياته أمر عسير فكل حياته درر ولآلىء !! .

ويرأى لنا الحل الذى يخرجنا من حيرتنا ؛ فما جمعه ابن عبد ربه عن
النساء يعد مرجعاً وافياً ، بل قل - فى غير مبالغة - هو موسوعة نسائية تجد
فيه الخبرة الصادقة ، والنظرة العميقة ، والرأى الصائب ، والتجربة الرائدة ،
وممن ؟ من عليم بالنساء خير !! .

وکیف لا یكون علیما بہن من کان إذا رأى غرالا وقف يتأملہ ثم
 یقول :

فعينك عيناها وجيدك جيدها غير أن عظم الساق منك دقيق !!
وكيف لا يكون صاحب تجربة مُعاشة من كان إذا رأى بعيره يقف
إلى جوار ناقة محبوبته يهتف من أعماقه :

أحبها وتجنبي ويحب ناقتها بعيري !!

ومن أجل هذا كله رحنا نقلب حبات العقد الفريد وأجزاءه .. حبة حبة ، وجزءاً جزءاً ، ولم ندع شيئاً يتعلق بالنساء إلا وجمعناه ثم رتبناه ترتيباً ، وقسمناه أبواباً ، واخترنا لها من العناوين ما يلائمها فأخذنا من الجزء السابع : [قولهم في المناكح ، وفي النساء وصفاتهن ، وصفة المرأة السوء وعلامة الحب والبغض ، وصفة الحسب ، والمنجيات من النساء ، ومن أخبار النساء ، وباب الطلاق ، وفي مكر النساء وغدرهن ، والهجناء ، وباب في الأدعياء ، وفي الباه وما قيل فيه ، وفي النكاح] .

ومن الجزء الثامن : فى المفاكهات ، وما يكتب على العصائب وغيرها والمضحكات .

ثم عرّجنا على بقية الأجزاء فأخذنا من الجزء الأول : [الوافدات على معاوية] ومن الجزء الثاني : [من يضرب به المثل من النساء ، ومن أمثال العرب ثم القول عند الموت] .

ومن الجزء السادس : أخذنا : [قولهم في رقة التشيب ، وقولهم في النحول ، وقولهم في التوديع] .

فكان لنا هذا الحصاد .. الذى عملنا - ما وسعنا الجهد - على تقديمه فى الصورة الملائمة ، ولقد أعطيناه حقه من التنسيق والترتيب ، والتنظيم والتبويب ، والضبط والشرح ، والتقديم والتعليق .

وہاھو ذا بین یدیک جاء متعة للقاریء ، ودلیلا وافیاً للباحث ومرجعاً

لمن يهتمون بالتراث .. خاليا مما يؤذى المشاعر ، أو يחדش الحياء كما تقضى
بذلك أخلاقيات النشر ، ورسالة العلم و العلماء !! .

فهل ترانى قد حققت لك بعض الأمل والرجاء ؟ ؟ .

إن كان هناك من توفيق فمن الله .. ثم من الرغبة الصادقة في تقديم
ما ينفع القارئ في دينه ودنياه .

ومنتهى أملى أن أحظى برضوان من الله .

الحقق

محمد إبراهيم سليم

القاهرة : في غرة رجب سنة ١٤٠٥ هـ

٢٤ مارس سنة ١٩٨٥ م

الكتاب والمؤلف :

العقد الفريد

مجموعة أدبية ضمنها ابن عبد ربه مارآه جديرا بالتدوين من فروع الأدب وهو من أمهات كتب التراث ، فقد حوى خير ما ألف في موضوعه من الكتب السابقة عليه ، ولم يقتصر على ما عرفه العرب ، بل نقل عن الكتب التي ترجمت إلى العربية في زمنه عن اليونانية والهندية والفارسية .

منهجه :

قد أوضح منهجه في التأليف في مقدمة الكتاب ، فذكر أنه تخيره من متخير جواهر الأدب ومحصول جوامع البيان ، وأنه ليس له إلا تأليف الاختيار ، وحسن الاختصار ، وفرش في صدر كل كتاب ، وقد جمع نظائر الكلام وأشكال المعاني فقرن كل جنس منها إلى جنسه ، وجعل كل جنس بابا على حدة ، وقد عمد إلى أشرفها جوهرا ، وأظهرها رونقا ، وألطفها معنى ، وأجزلها لفظا وأحسنها ديباجة ، وأكثرها طلاوة وحلاوة ، وأنه رأى الكتب قبله قاصرة فجعل كتابه جامعا لأكثر المعاني التي تجرى على أفواه العامة والخاصة ، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة .

فهو مختار ومُنشئ معا ؛ حيث يقدم الباب بمقدمة من إنشائه وقد يتبع الباب بما ينشئه من شعره ، وله آراء جلييلة في النقد الأدبي شائعة في الكتاب .

تقسيم الكتاب وتبويبه :

لقد تصور المؤلف كتابه عقدا مؤلفا من خمس وعشرين جوهرة كريمة اثنتا عشرة منها في جانب ومثلها في الجانب الآخر ، وواحدة في الوسط واختار لكل جوهرة من الجواهر الاثنتى عشرة اسما : لؤلؤة .. فريدة .. زبرجدة

جمانة - مرجانة ... ياقوته ... جوهرة ... زمردة ... درة ... يتيمة ...
عسجدة ... ومجنبة ... وتكرر الأسماء في الجانب الآخر أما جواهر الوسط فهو
واسطة العقد .

قيمه الأدبية :

للعقد قيمة أدبية من حيث النقد الأدبي إلى جانب مجموعة كبيرة من
الأمثال صنفت حسب موضوعاتها ، وقد اشتمل على عيون الخطب والقصص
والتوارد وضمّ الألف من أبيات الشعر لأكثر من مائتي شاعر من العصر
الجاهلي والأموي والعباسي . .

إنه مجموعة متخيرة من جواهر الأدب ، ولكنه لم يعن بالإسناد وإن كان
قد أحسن الاختصار ، وأجاد الاختيار .

قيمه التاريخية

• يعد العقد من المصادر التي يرجع إليها الباحثون في تاريخ العرب السياسي
والاجتماعي والأدبي .

وإذا كان العرب قد أطلقوا على قصائدهم الطويلة الخالدة من تراث
العصر الجاهلي اسم المعلقات ، لأنها جديرة بأن تعلق بالقلوب لجودتها ،
أو تشبيها لها بعقود الدر التي تعلق على صدور الحسنات فإن ابن عبد ربه
المغربي الأندلسي القرطبي حينما فتح عينيه على أدب المشرق : شعره ونثره ،
راح يجمع أصدافه ولآله ودره وجواهره ويصوغها عقدا فريدا تتيه به اللغة
العربية ، وستظل على مدى الأيام تفخر بذكراته مرددة على سمع الدنيا :

« وذرّاته فرائد عقدى »

★ ★ ★

المؤلف :

في قرطبة ولد ابن عبد ربه ذات يوم من عام ٢٤٦هـ - ٨٦٠ م وبها عاش طول حياته ، وفيها توفي عام ٣٣٨ هـ - ٩٤٠ م .

ويذكر المؤرخون في نسبه أنه : « أبو عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبي » .

وعن تحصيله يقول ابن خلكان : « كان من العلماء الكثيرين من المحفوظات ، والاطلاع على أخبار الناس » .

وقد انتمى إلى بلاط الأمير محمد بن عبد الرحمن الداخل شابا فتيا ولازمه طول مدة إمارته (٨٥٢ - ٨٨٦ م) وترك هذا فيه أبلغ الأثر .

وقد لازم ابن عبد ربه بعد الأمير محمد ابنه المنذر ثم أخاه عبد الله من بعده ، وعبد الرحمن الناصر أخيرا ، وكان معهم جميعا شاعر البلاط ونديمه .

كان ابن عبد ربه كاتبا وشاعرا وشاحا

وفي مجال الكتابة نجد مقدمات لأبواب عقده ، وهي تمتاز بوضوح العبارة ، ودقة الأسلوب ، وازدواج الجملة ، والخلو من الغريب ، والبعد عن التكلف والتعقيد .

وتنسب إليه المصادر الأندلسية أنه كان وشاحا ، ويذهب بعضها أنه مبتدع فن التواشيع .

أما شعره فكان موضع إعجاب القدامى وتقديرهم ، قال عنه الفتح بن خاقان : « إنه حجة الأدب ، وإن له شعرا انتهى منتهاه ، وتجاوز سيماك الإحسان وسُهاه » .

وروى ياقوت في « معجم الأدباء » أن أبا الوليد بن عسال لقي المتنبي

في مسجد عمرو بن العاص ، وأن المتنبي قال له : « أنشدني المlich الأندلس ،
يعنى ابن عبد ربه فأنشده :

يَالْأُلُوْأَ يَسْبِي الْعُقُوْلَ أُنِيْقَا
وَرَشَاً بَتَقْطِيْعِ الْقُلُوْبِ رَقِيْقَا
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ
دُرَا يَعُوْدُ مِنَ الْحَيَاءِ عَقِيْقَا
وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى مُحَاسِنِ وَجْهِهِ
أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ فِي سِنَاهِ غَرِيْقَا
يَا مَنْ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رِقَّةٍ
مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَكُوْنُ رَقِيْقَا !؟

فاستعاده المتنبي ، ثم صفق بيديه وقال :
« يا ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حَبِوْأً » .

وقد شهر ابن عبد ربه بكتابه « العقد الفريد » وليس له بين أيدينا
كتاب آخر .

طبقات العقد الفريد ومختصراته :

● طبع العقد الفريد عدة مرات في مصر وكان من أوائل مانشر من
كتب الأدب :

١ - طبع في مطبعة بولاق للمرة الأولى سنة ١٢٩٢ هـ - ١٩٧٥ م .

٢ - وفي المطبعة العثمانية عام ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٤ م .

٣ - وفي المطبعة الشرقية عام ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٧ م .

٤ - وطبع ثانيا في المطبعة نفسها عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م .

٥ - وفي المطبعة الأزهرية عام ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م .

٦ - وفي المطبعة الجمالية عام ١٣٣١ هـ - ١٩١٢ م .

- ٧ - ونشره مصطفى محمد عام ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م .
- ٨ - ثم طبعته المطبعة التجارية طبعة أخرى ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٣ م
بتحقيق محمد سعيد العريان .
- ٩ - وأجود الطبعات كانت عام ١٢٥٩ هـ - ١٩٤٠ بتحقيق
- أحمد أمين والايارى وأحمد الزين .
- ١٠ - ونشرته دار الكتب العلمية بلبنان ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .
- وقد تم اكتشاف عدد من مخطوطات العقد الفريد في مكتبات المغرب لم تكن
معروفة من قبل مما يجعل من المفيد إعادة تحقيق العقد في ضوء ما تتضمنه هذه
المخطوطات من جديد .

المختصرات :

وقد اختصر العقد الفريد اثنان من القدامى :

الأول : أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن الوادى أشى القيسى المتوفى
عام ٥٧٠ هـ - ١١٧٤ م ، وهو أندلسى من وادى أش ، مدينة جميلة تقع في
مقاطعة غرناطة بإسبانيا الآن .

والثانى : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصارى الخزرجى
الشهير بابن منظور صاحب معجم « لسان العرب » والمتوفى عام
٧١١ هـ - ١٣١١ م .

واختصر حديثا مرتين :

الأولى : عندما عمدت لجنة من أساتذة دار العلوم إلى اختصاره
استجابة لرغبة وزارة المعارف آنذاك فاختارت بعض أبوابه وانتقت من بعض
أخبارها ، وسمته « مختار العقد » ونشر عام ١٩١٣ .

والثانية : تمت من عشرين عاما عندما نشرت وزارة الثقافة بعض مختاراته
في سلسلة كانت تشرف على إصدارها .

منهج التحقيق

● جمعنا ما تناثر هنا وهناك من حبات العقد « في النساء وصفاتهن وما يحمد ويذم من عشرتهن » .

● قسمناه ثمانية أبواب ، واخترنا لها عناوين تطابق محتواها ، وتلائم فحواها ، وقدمنا للأبواب التي لم يقدم لها ابن عبد ربه بما يلقي الضوء عليها ، ويحقق الهدف المنشود منها ، وأضافنا بابا تاسعا في نهاية الكتاب جمعناه من فقه اللغة للثعالبي في محاسن المرأة وأوصافها الخلقية والخلقية يرجع إليه القارئ لإيضاح ما غمض من الألفاظ التي تضمنتها نصوص الكتاب وسميته « المعجم النسائي » مما لا بد للقارئ العربي من الإحاطة به . وإن كنا لم ندخر وسعا في إجلاء ما غمض ، وتقريب ما بعد ، وتيسير ما عسر .

● كنا أمناء على النص وتحقيقه فرجعنا إلى المصادر التي نقل عنها ابن عبد ربه ولم نزد عليه ، ولم نحذف منه إلا ما يخدش الحياء ، وينفر منه الذوق .

● خرجنا آياته ، وضبطنا ما يحتاج إلى ضبط من كلماته وعباراته .

● راعينا علامات الترقيم ، ووضع الجمل والفقرات ، لتتيح للقارئ متعة معايشة النص وتذوق الجمال فيه ، ولم نفتنا أن نترجم للأعلام بما يساعد على معايشة النص .

● اخترنا للكتاب عنوانا ، وقدمنا بين يديه عرضا لما جاء عن النساء في القرآن الكريم ، كما سلطنا الضوء على طبعات العقد الفريد ومختصراته ومخطوطاته بعد أن تحدثنا عن منزلة ابن عبد ربه ، ومنهجه في التأليف ، وتقسيم الكتاب وتبويبه ، وقيمه الأدبية والتاريخية .

وها هي ذى أبواب الكتاب ، والعناوين التي تم اختيارها :

الباب الأول : فى اختيار الحليلة الصالحة ، والزوجة الموافقة ،
وما يحمد من عشرة النساء .

الباب الثانى : لطائف من أخبار النساء وطرائف من حياتهن .

الباب الثالث : النساء المنجيات وأبناء السرارى والإماء .

الباب الرابع : سمات الجمال ، وأحوال المحبين .

الباب الخامس : طبع الأنثى وما يذم من عشرة النساء .

الباب السادس : أبغض الحلال إلى الله الطلاق .

الباب السابع : عندما ينقطع الرجاء ، ويكتب علينا الفراق .

الباب الثامن : نماذج للزعامة ، وحسن السفارة ، ومن يضربُ به المثل
منهن .

الباب التاسع : المعجم النسائى « من فقه اللغة للشعالبي » .

وأسأل الله - سبحانه- أن يجد القارىء فى هذا الكتاب ، ما يحقق أمله ،
ويرضى ذوقه ، وينعش روحه ، ويمتتع فؤاده .

إنه أكرم مسئول ...

هكذا خلقت !!

نعائش المرأة .. ولا نكاد في حياتنا نستغنى عنها ! .
الصلة بيننا وبينها وثيقة ؛ فهي أم ، وأخت ، وزوجة ، وبنت ،
وشقيقة .

ومنا من ينعم بقربها !! .

ومنا من يحترق بلهب نارها ! .

ويحار فيها الفكر أحيانا ، فيصرخ الرجل ، لقد ضاع من قدمي
الطريق ! يالشقائي !! إننى لا أستطيع أن أعيش معها .. ولا أستطيع العيش
بدونها !! فكيف السبيل ؟! وأين الطريق ؟! .

قال عنها الفلاسفة والشعراء ما قالوا ، وأطلقوا العنان لتصوراتهم
وتخیلاتهم فى وصف طبيعتها كما بدت لهم فقالوا عنها :

فيها من القمر استدارته . .

ومن البحر عمقه . .

ومن النجوم لمعانها . .

ومن شعاع القمر حرارته . .

ومن الندى قطراته . .

ومن الريح تقلباتها وعدم ثباتها . .

ومن النبات ارتجافه وارتعاشه . .

ومن الورد لونه وعطره . .

ومن الأزهار مخملها ..
ومن الأوراق خفتها ..
ومن الأغصان تمايلها ..
ومن حفيف الأشجار حنينها وأنينها ..
ومن النسيم لطفه ورقته ..
ومن العسل طعمه وشهده ..
ومن الذهب شعاعه ..
ومن الماس قساوته ..
ومن الحية حكمتها ..
ومن الحرباء تلونها ..
ومن الغزال شروده ..
ومن المها عيونها ..
ومن الأرنب خجله وحياءه ..
ومن الطاووس خيلاءه وزهوه ..
ومن الأسد شراسته وقوته ..
ومن الزمن خيائته وغدره ..
ومن الثعلب مكره وروغانه ..
ومن النجاسة نغمتها ..
ومن العقرب لدعته ..
ومن البيغاء هذيانها ، وكثرة كلامها .

★ ★ ★

وتسمع ما يقال عنها ، فيغرها الشاء ، ويدفعها العناد والكبرياء ، فتمضى في طريقها وهي تردد :

هم يقولون ! ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون ! .

ومنا من يقبلها على عِلاتها ، ويقول كما قال النحويون : « أَيْ هَكَذَا خَلَقْتَ » ! .

ومنا من يتوجس خيفة من الإقبال عليها فيعكف على دراسة شخصيتها ، ومعرفة أسرارها وطبيعتها .. ويظل يبحث ويبحث حتى يفوته القطار ، وتصبح حياته ليلاً بلا نهار !! .

وفي كتاب الله ، وسنة رسوله مايلقى الضوء الأخضر ، ويؤمن مسيرتنا في رحلة الحياة ، ويرشدنا إلى طريق السلامة والنجاة ..

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٤ : الملك) .

ففعال نتصفح معا كتاب الله ! .

فكم تتطلع نفوسنا أولاً وأخيراً إلى القرآن الكريم وآياته لتتهدى بهداه وتسير على ضوئه .. ونفتح المصحف الشريف فإذا به يحدثنا عن ذلك الرباط - من صنع الله - الذى يجمعنا منذ بدء الخليقة :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [١ : النساء] .

• فكلانا ينتمى إلى الخالق المبدع ونحن جميعاً صنعته وخلقته :

﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ [٤٥ : النجم] .

• ومنتهى أمل المؤمن أن يهب الله له زوجة صالحة ولذلك كان الدعاء .. وكانت الاستجابة :

﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قَرَةً أَعَيْنَ ﴾ [٧٤ : الفرقان] .

﴿ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [٩٠ : الأنبياء]

• ومنهن البنون والحفدة وفيهن تتجلى نعمة الله علينا :

﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ [النحل : ٧٢] .

• وليس من اللائق أن تنصرف النفوس عن المحلات من الزوجات إلى غيرهن ، وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم ﴿ [الشعراء : ١٦٦] .

• فهن زهرة الحياة الدنيا ومتعتها ، وفتنتها :

﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى ﴾ [طه : ١٣١] .

• وعلى العاقل ألا تغريه الزينة أو يجرفه حب الشهوات :

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ [آل عمران : ١٤]

• وشأن المسلمين والمسلمات أن يختاروا قيم الدين ويؤثروها على متع الدنيا :

﴿ يأياها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾ [الأحزاب : ٢٨ - ٢٩] .

• فما عند الله خير لمن اتقى و ﴿ ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ [آل عمران : ١٤] .

• ويقال للذين آثروا قيم الدين على متع الدنيا :

﴿ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴾ [الزخرف : ٧٠] .

و ﴿ لهم أزواج مطهرة ﴾ [البقرة : ٢٥] .

• ويتراءون في أجمل صورة وأرفع منزلة :

﴿ هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ﴾ [يس : ٥٦] .

وإذا كان القرآن ضرب الأمثلة للناذج الطاهرة فحدثنا عن مريم بنة عمران التي أحصنت فرجها ، فإنه في الجانب المقابل قد وضع أمامنا للعبارة والعظة امرأة نوح وامرأة لوط ﴿ كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين فخانتاهما ﴾ [التحریم : ١٠] .

- ويأتى التحذير مباشرا وصريحا يقرر الواقع الملموس :
﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ .

[١٤ : التغابن]

- وتوضع النقط فوق الحروف فتكشف الآيات عن جانب من طبع المرأة ألا وهو إذاعة السر :

﴿ وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ؟ قال : نبأني العليم الخبير ﴾ [التحریم : ٣] .

- وهن فتنة كما تحدث الناصح الأمين محذرا في الحديث الشريف :
« ما تركت بعدى فى الناس فتنة أضرب على الرجال من النساء » (١) .
« إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا فتنة الدنيا ، واتقوا فتنة النساء ، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء » (٢) .

نجانا الله ووقانا الفتنة ، وهدانا سواء السبيل وجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين .

﴿ ربنا وتقبل دعاء ﴾

[٤٠ : إبراهيم] .

(١) صحيح مسلم .

(٢) صحيح مسلم .

ابن عبد ربه وطبائع النساء

هل تريد أن تضيف أعمارا إلى عمرك !!؟

إذن تعال إلى التاريخ :

فسوف يصحبنا ابن عبد ربه إلى عالم النساء وأسراره ، بما فيه من عجائب وغرائب فيحدثنا عن الحليمة الصالحة ، والزوجة الموافقة ، ومن منا لا يتمنى أن يرزقه الله إياها ، ويغنيه بها عمن سواها ؟ ! .

ثم يقدم إلينا لطائف من أخبار النساء وطرائف من حياتهن ، لنزداد لهن فهما ومنهن قربا ، وبهن معرفة وأنسا ، مما يجعلنا أقدر على حسن اختيارهن ، وكيف لا ، وقد جعلنا نعيش من قيل عنه : عليم بأدواء النساء طيب .. ولا يبتك مثل خبير ! .

حتى إذا اطمأن إلى حسن اختيارنا راح يحدثنا عن المنجبات وأبناء السرارى والإماء ، والهجناء من الأولاد والأدعياء .

وقد يأسرنا الجمال ، ويضيق الصدر بما لا يقال ، بعد أن أضناه عشق الجمال فيصور ذلك كله عارضا رقة التشبيب ، وجميل الغزل متحدثا عما قد يكون من تزين وتطيب ، وما يكتب على العصائب من عبارات للحب مُصورة ، وعن الهيام معبرة ، ولا يفوته أن يصور ما يعتري المحبين من نحول وذبول ، وما يصاحب لحظات الوداع من حنين وأنين وآهات ودموع .

ولكنه يعود فيذكر بطبع الأنثى ؛ فليس لمخضوب البنان يمين ! .

ويحذرنا من أمثال تلك التى يتعوذ الشيطان منها !! .

ولا يفوته أن يحدثنا عما ينتهى إليه حال أولئك .. وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإنه قد راح يحدثنا عن أبغض الحلال ، وعما هو ألد من ليلة العرس ، وعن الكراهية فى قمتها مما يجعلنا نستسلم قائلين معه : « إلى غير رجعة » .

وقد ينقطع الرجاء حيث يكون الفراق ، فتحترق قلوب وتسيل
دموع .. ويتجلى الوفاء فى أروع صورهِ !! .

وأخيراً يعرض علينا نماذج للزعامة وحسن السفارة فيتيح لنا أن نعيش
مع ثمانٍ منهم من صواحب عليّ ، وفدّن على معاوية وكان لهنّ معه شأن
يذكر .

ولا يفوته أن يتناول ما سجلته الأمثال عن النساء ، مما جرى على كل
لسان وأصبح آية فى الفصاحة والبيان ! .

الحق أقول : إنها تجارب كثيرة ، ومواقف مثيرة ، بها تتضح الرؤية ،
وينكشف الغطاء ، وتنقشع السحب والغيوم ، ويدوب الجليد ، وتفتح
مغاليق ، وتهب نفوس ، وتلتئم جراحات ، وكيف لا وسوف نضيف إلى
خيرتنا خبرات ، وإلى أعمارنا سنوات وسنوات ؟ ! .

لقد قالوا :

ليس بإنسان ولا عالم من لا يعى التاريخ فى صدره
ومن درى أخبار من قبله أضاف أعماراً إلى عمره !!
وأخيراً أراك قد عرفت الرفيق على الطريق ... ففى أمان الله ودعواتى
لك بالتوفيق ... مع ابن عبد ربه فى عقده الفريد !!

ولا يفوتنى أن أقدم إليهنّ دعواتى بالتوفيق :

رى سألتك باسمِهِنَّ	أن تُفْرِشَ الدنيا لَهُنَّ
بالوردِ إن سمحتِ يـ	بذاك وبالبنفسجِ بعد هُنَّ
لِطِطْلٍ شمسك فى الصـ	باح وكلّ أم مُطمِئِنَّة

الباب الأول

في اختيار

الخليلة الصالحة والزوجة الموافقة

وما يحمد من عشرة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾

النساء وصفاتهن وما يحمد ويذم من عشرين :

• قال أبو عمر (أحمد بن محمد بن عبد ربه) :

نحن قائلون بحمد الله وتوفيقه في النساء وصفاتهن ، وما يحمد ويذم من عشرين ، إذ كان ذلك مقصوراً على الحليّة (١) الصالحة والزوجة الموافقة .
وبلاء كله موكل بالقرينة السيئة التي لا تسكن النفس إلى كريم عشرينها ، ولا تفر العين برؤيتها !! .

أقوال عنهن في القمة

قال الأصمعي (٢) :

حدثني ابن أبي الزناد عن عروة بن الزبير قال :

• ما رفع أحد نفسه - بعد الإيمان بالله بمثل - منكح (٣) صدق .
ولا وضع أحد نفسه - بعد الكفر بالله بمثل - منكح سوء .

ثم قال :

• لعن الله فلانة ! أَلَفْتُ (٤) بنى فلان ييضاً طوالاً ، فقلبتهم سوداً قصاراً !! .

وفي حكمة سليمان بن داود عليه السلام :

(١) الحليّة : الزوجة التي أحلت بعقد نكاح .

(٢) الأصمعي : أحد أئمة اللغة الأقدمين من البصريين حفظ لغة البدو ولهجاتها ، عهد إليه هارون الرشيد بتعليم الأمين ، له عدة مؤلفات ، ولولاه لذهبت أكثر دواوين العرب .

(٣) منكح : زوجة ؛ لأنها موضع النكاح .

(٤) أَلَفْتُ : وجدت .

● « المرأة العاقلة تبني بيتها ، والسفينة تهدمه » .

وقال :

● الجمال كاذب ، والحسن مُخْلِف ، وإنما تستحق المدح المرأة الموافقة (١) .

★ ★ ★

الرسول ﷺ وعكاف

مكحول عن عطية عن بشر عن عكاف بن وداعة الهلالي أن رسول الله ﷺ قال له : « ياعكاف ، ألك امرأة ؟ قال : لا .

قال : فأنت إذن من إخوان الشياطين !! .

إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم .

وإن كنت منا فانكح فإن من سنتنا النكاح » .

وقالت عائشة رضى الله عنها :

● « النكاح رِقٌّ (٢) ، فليُنظر أحدكم من يُرق كريمة » .

وقال رسول الله ﷺ :

● « أوصيكم بالنساء فإنهن عَوَانٌ (٣) عندكم » .

(١) قد يطرأ على الجمال والحسن ما يغيرهما ، فهما عرض زائل ، أما القيم فتبقى ؛ لأن ما بالذات لا يتخلف .

(٢) كلاهما فيه نوع من التملك ، فالزوج يملك البضع .

(٣) العاني : الأسير والضعيف ، والنساء عَوَانٌ ؛ لأنهم يُظلمون ؛ فلا ينتصرون ! .

قولهم في المناكح

(الزوجات)

صغصعةُ وابنُ الظَّرب :

أتيتي تشتري كبدى

● خطب صغصعةُ بن معاوية إلى عامر بن الظرب حكيم العرب ابنته عمرة - وهى أم عامر بن صغصعة - فقال : يا صغصعةُ : إنك أتيتي تشتري من كبدى ، فارحم ولدى ، قَبْلُكَ أو رَدِّدْكَ ، والحسيب كفاء الحسيب (١) ، والزواج الصالح أبٌ بعد أب ، وقد أنكحتك خشيةً ألا أجد مثلك ، أفر من السر إلى العلانية .. يا معشر عدوان خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رغبة ولا رهبة ، وأقسم لولا قَسْمُ الحظوظ على قدر الجدود ما ترك الأول للآخر ما يعيش به .

ابن حُجْر ، وابن مُحَلَم :

وصية ذهبية

العباس بن خالد السهمي قال :

● خطب عمرو بن حُجْر إلى عوف بن مُحَلَم الشيباني ابنته : أمَّ إياس ، فقال :

نعم أزوَّجُكما على أن أُسمِّيَ بنِهما ، وأزوَّجَ بناتِها ، فقال عمرو بن حُجْر :

(١) الحسيب : ذو الحسب ، والحسب مفاخر الآباء وما يدل على شرف الأصل .

أما بنونا فنسميهم بأسمائنا ، وأسماء آبائنا وعمومتنا . وأما بناتنا
فمنكحهن أكفأهن من الملوك ، ولكنني أُصِدِّقُها (١) عقاراً في كِنْدَةٍ ، وأمنحها
حاجات قومها ، لا ترد لأحد منهم حاجة ! ، فقبل ذلك منه أبوها ، وأنكحه
إياها ، فلما كان بناؤه بها خلت بها أمها (٢) فقالت :

أى بنية ، إنك فارقت بيتك الذى منه خرجت ، وعُشِّك الذى فيه
درجت (٣) إلى رجل لم تعرفه ، وقرين (٤) لم تألفيه ، فكونى له أمةً يكن لك
عبداً ، واحفظى له خصالا عشرة تكن لك ذخراً (٥) :

أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له والطاعة .
وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد (٦) لمواضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه
منك على قبيح ولا يشم إلا أطيب ريح ! .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن حرارة
الجوع ملهبة (٧) وتنغيص (٨) النوم مغضبة ! .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والإرعاء (٩) على حشمه (١٠)
وعياله ، ومِلاك (١١) الأمر فى المال حُسْنُ التقدير ، وفى العيال حسن
التدبير ! .

(١) أُصِدِّقُها : قدم لها صداقها ومهرها .

(٢) أمها : أنامة بنت الحارث : هى زوجة علم الشيباني ، وكانت من النساء اللاتي عرفن بالعقل

(٣) العش الذى فيه درجت : بيت أهلك الذى بدأت خطواتك الأولى فيه .

(٤) قرين : صاحب وزوج .

(٥) تكن لك ذخراً : تدخرينه لما يُصلح حياتك .

(٦) تفقد الشيء : طلبه والاهتمام به ورعاية المظهر الجمال .

(٧) ملهبة : المراد أنه يلهب ويغضب .

(٨) تنغيص : تكدير .

(٩) الإرعاء : الرعاية .

(١٠) حشمه : خدمه .

(١١) ملاك الأمر : قوامه وعماده .

وأما التاسعة والعاشر : فلا تعصن له أمراً ، ولا تُفشين له سرّاً (١) ؛ فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره (٢) ، وإن أفشيت سره ، لم تأمنى غدره ؛ ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتماً (٣) ، والكآبة (٤) بين يديه إن كان فرحاً .

فولدت له الحارث بن عمرو جَدَّ امرئ القيس الشاعر .

زرارة ولقيط وابنة ذى الجدين

من أحسن .. أنا ، أم لقيط ؟

● الشيباني قال : حدثنا بعض أصحابنا أن زرارة بن عدس نظر إلى ابنه لقيط فقال : مالي/أراك مختلاً ؟ كأنك جئتني بابنة ذى الجدين أو مائة من هجائن النعمان (٥) ! فقال : والله لا يمس رأسي دهنٌ حتى آتيك بهما أو أبلى عذراً ! فانطلق حتى أتى ذا الجدين - وهو قيس بن مسعود الشيباني - فوجده جالساً في نادى قوميه من شيبان ، فخطب إليه ابنته علانية ، فقال له : هَلَّا ناجيتني ؟ ومن أنت ؟ قال : لقيط بن زرارة ، قال : لا جرم (٦) ، لا تبيتن فينا عزباً ولا محروماً ! ، فزوجه وساق عنه المهر وبني بها من ليلته تلك .

ثم خرج إلى النعمان ، فجاء بمائتين من هجائنه ، وأقبل إلى أبيه وقد وفى نذره ، فبعث إليه قيس بن مسعود بابنته مع ولده بسطام بن قيس ، فخرج لقيط يتلقاها في الطريق ، ومعه ابن عم له يقال : قراد ، فقال لقيط :

(١) لا تفشين : لا تخرجين ولا تشيرين .

(٢) أوغرت صدره : ملأت صدره غيظاً وحقدًا .

(٣) مهتماً : حزينا مهموماً .

(٤) الكآبة : الانقباض والحزن ، والأم حريصة على تحقيق المشاركة الوجدانية بين الزوجين

حتى تقوم حياتهما على أسس راسخة .

(٥) الهجان من كل شيء : خياره ، ومن الإبل : البيض الكرام ، يستوى فيه الذكر والمؤنث

والجمع .

(٦) لا جرم : أى لا بد ، أو لا محالة ، أو حقاً ، وقد تحول إلى معنى القسم فيقال : « لا جرم

لأفعلن » .

هاجت على ديار الحى أشجاناً

واستقبلوا من نوى (١) الجيران قربانا

تأمت (٢) فؤادك لم تقض التى وعدت

إحدى نساء بنى ذهل بن شيبانا

فانظر قراد ، وهل فى نظرة جزع

عرض الشقائق ، هل بينت أظعانا

فيهن جارية نضح العبير بها

تُكسى ترائبها درأ ومرجانا

كيف اهتديت ولا نجم ولا علم

وكنت عندى نثوم الليل وسنانا

ولما رحل بها بسطام بن قيس قالت : مُروا بى على أبى أودعه ! فلما
ودعته قال لها :

يابنية : كوفى له أمة يكن لك عبداً ، وليكن أطيب طيبك الماء ثم
لا أذكرت (٣) ، ولا أيسرت (٤) ؛ فإنك تلدين الأعداء ، وتقربين البعداء ،
إن زوجك فارس من فرسان مضر ، وإنه يوشك أن يقتل أو يموت ؛ فإذا كان
ذلك ، فلا تخمشى (٥) عليه وجها ، ولا تحلقى شعراً ! .

فلما قتل لقيط تحملت إلى أهلها ، ثم مالت إلى محلة عبد الله بن دارم
فقالت : نعم الأحماء كنتم يابنى دارم ، وأنا أوصيكم بالغرائب خيراً فلم أر
مثل لقيط .

ثم لحقت بقومها ، فتزوجها ابن عم لها ، فكانت لا تسلك عن ذكر
لقيط ، فقال لها زوجها : أى يوم رأيت فيه لقيطاً أحسن فى عينك ؟ .

(١) نوى الجيران : تحولهم وانتقالهم من مكان إلى آخر ، والنوى البعد .

(٢) تيمم الحب : عبده وذله فهو متيم .

(٣) لا أذكرت : لا ولدت الذكور ؛ لأنهم سوف يكونون أولاد أعدائه فمن رأى العرب أن
البنين هم أولاد الأبناء فقط ولذلك يقولون :

بنونا - بنو آبائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباةد

(٤) أيسرت المرأة سهلت عليها الولادة ، ولا أيسرت : دعاء عليها بولادة عسرة .

(٥) خمشى الوجه : خدشه ولطمه .

قالت : خرج يوما يصطاد ، فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتاني مختضباً
بالدماء ، فضمني ضمة ، ولثمني لثمة ؛ فليتني ميتٌ ثمة ؛ فخرج زوجها
ففعل مثل ذلك ثم أتاها ، فضمها ولثمها ثم قال لها : من أحسن ، أنا أم لقيط
عندك ؟ .

فقالت : « مرعى ولا كالسعدان » (١) .

★ ★ ★

(١) السعدان : نبت له شوك ، وهو من أفضل ما ترعاه الإبل ، وفيه يضرب المثل فيقال : مرعى
ولا كالسعدان ! والمقصود : أن لقيطاً لا يفضلُه آخر .

قيس بن زهير والنمر

لا تردوا الأكفاء عن النساء

● حكى أبو الفضل عن بعض رجاله قال :

قدم قيس بن زهير - بعد ما قتل أهل الهبأة - على النمر بن قاسط فقال :
يا معشر النمر ، نزعت إليكم غريبا حزينا ، فانظروا لى امرأة أتزوجها ، قد أذلها
الفقر ، وأدبها الغنى ، لها حسب وجمال ! .

فزوجوه على هيئة ما طلب ، فقال : إني لا أقيم فيكم حتى أعلمكم
أخلاق - إني غيور فخور نفور ، ولكنى لا أغار حتى أرى ، ولا أفخر حتى
أفعل ، ولا آنف حتى أظلم ^(١) .

فأقام فيهم حتى وُلد له غلام سماه : خليفة ، ثم بدا له أن يرحل عنهم
فجمعهم ثم قال :

يامعشر النمر ، إن لكم على حقاً ، وأنا أريد أن أوصيكم فأمركم
بخصال ، وأنهاكم عن خصال : عليكم بالأناة ؛ فإن بها تنال الفرصة ،
وسودوا ^(٢) من لا تُعابون بسؤدده ، وعليكم بالوفاء ؛ فإن به يعيش الناس ،
وبإعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسألة ، ومنع ما تريدون منعه قبل القسم ،
وإجارة الجار على الدهر ، وتنفيس المنازل عن بيوت اليتامى ، وخلط الضيف
بالعيال ، وأنهاكم عن الرهان ؛ فإنى به ثكلت مالكا ، وأنهاكم عن البغى ؛ فإنه
صرع زهيرا ، وعن السرف فى الدماء ، فإن يوم الهبأة أورثنى الذل ،
ولا تعطوا فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق ، ولا تردوا الأكفاء عن النساء
فتحوجوهن إلى البلاء ، فإن لم تجدوا الأكفاء فخير أزواجهن القبور ، واعلموا

(١) أنف من العار : كرهه وترفع عنه وتنزه . ونفر منه .

(٢) سودوا : اجعلوه سيئا عليكم .

أنى أصبحت ظالماً مظلوما : ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا ، وظلمت بقتلى من لا ذنب له .

الفاكه وزوجته هند في رية

إليك عنى !!

● كان الفاكه بن المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش ، وكان قد تزوج هند بنة عتبة ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذن ، فقال (١) يوما في ذلك البيت وهند معه ؛ ثم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعض من كان يغشى البيت ، فلما وجد المرأة نائمة ولى عنها ، فاستقبله الفاكه بن المغيرة ، فدخل على هند وأنبهها ، وقال : من هذا الخارج من عندك ؟ قالت : والله ما انتهت حتى أنهتنى ، وما رأيت أحدا قط . قال : الحقى بأبيك ! وخاض الناس في أمرها ، فقال لها أبوها : يابنية ، العار وإن كان كذبا ، أبشنى شأنك (٢) ؛ فإن كان الرجل صادقا دسست عليه من يقتله فيقطع عنك العار ، وإن كان كاذبا حاكمته إلى بعض كهان اليمن . قالت : والله يا أبت إنه لكاذب !

فخرج عتبة فقال : إنك رميت ابنتى بشيء عظيم ؛ فإما أن تبين ما قلت ، وإلا فحاكمنى إلى بعض كهان اليمن ، قال : ذلك لك .

فخرج الفاكه في جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بنى مخزوم ، وخرج عتبة في رجال ونسوة من بنى عبد مناف .

فلما شارفوا بلاد الكاهن ، تغير وجه هند ، وكسف بالها ، فقال لها أبوها : أى بُنية ، ألا كان هذا قبل أن يشتهر فى الناس خروجنا ؟ !

(١) قال : قضى وقت القيلولة والظهيرة فى مكان ظليل كالبيت ونحوه .

(٢) بث الخبر : أذاعه ونشره ، وأبشنى شأنك أى أطلعنى عليه وكاشفنى به .

قالت : ياأبت ، والله ما ذلك لمكروه قبلى ، ولكنكم تأتون بشرا يخطيء
ويصيب ، ولعله أن يسمنى (١) بسمة تبقى على السنة العرب .

فقال لها أبوها : صدقت ، ولكنى سأخبره (٢) لك ، فصفر بفرسه ،
فلما أدلى (٣) عمد إلى حبة بر فأدخله فى إحليله ، ثم أوكى (٤) عليها وسار ،
فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم ، فقال له عتبة : إنا أتيناك فى أمر ،
وقد خباناً لك خبيثة فما هى ؟ قال : بُرة فى كمره (٥) ، قال : أريد أئين من
هذا ، قال : حبة بر فى إحليل مُهر . قال : صدقت . فانظر فى أمر هؤلاء
النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول : قومى لشأنك ! حتى
إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها وقال : قومى غير رفحاء (٦) ولا زانية ،
وستلدين ملكا يسمى : معاوية .

فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها ، فنترت (٧) يدها من يده وقالت :
إليك عنى ! والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك ! فتزوجها
أبو سفيان فولدت له معاوية .

هند وزواجها من أبى سفيان

إنى لأخلاق مثل هذا لموافقه .. فزوجنيه !!

● وذكروا أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها : ياأبت ، إنك
زوجتنى من هذا الرجل ، ولم تؤامرنى فى نفسى ، فعرض لى معه ما عرض ؛

(١) يسمنى : يصفنى من السمة وهى العلامة المميزة .. وكانت تخاف أن توصف بالزانية .

(٢) سأخبره : سأخبره ؛ لأعرف حقيقته ، ومدى معرفته بالمستور .

(٣) أدلى : أخرج جروانه ليبول أو يضرب .

(٤) أوكى عليها : ربط عليها وغطى .

(٥) بُرة : حبة بر وقمح فى رأس الإحليل .

(٦) رفحه ترفيحا : قال له : بالرفاء واللين .

(٧) نترت يدها : جذبتها بشدة .. وإليك عنى : ابعد عنى ودعنى لشأنى .

فلا تزوجني من أحد حتى تعرض على أمره ، وتبين لي خصاله ، فخطبها سهيل بن عمر ، وأبو سفيان بن حرب فدخل عليها أبوها وهو يقول :

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما رضا لك ياهند الهنود ومقنع
وما منهما إلا يُعاشُ بفضلِهِ وما منهما إلا يضر وينفع
وما منهما إلا كريم مرزأ وما منهما إلا أغر سميدع^(١)
فدونك فاخترى فأنت بصيرة ولا تخدعي إن الخادع يخدع

قالت : يا أبت ، والله ما أصنع بهذا شيئا ، ولكن فسر لي أمرهما ، وبين لي خصالهما ، حتى أختار لنفسى أشدهما موافقة لي ، فبدأ بذكر سهيل بن عمر ، فقال :

أما أحدهما - ففي ثروة واسعة من العيش ، إن تابعته تبعك ، وإن ملت عنه حط إليك ، تحكمين عليه في أهله وماله .

وأما الآخر - فموسع عليه ، منظور إليه ، في الحسب الحسيب والرأى الأريب ، مِدرَةُ أُمِّته^(٢) ، وعِزُّ عشيرته ، شديد الغيرة ، كثير الظهرة ، لا ينام على ضعة ، ولا يرفع عصاه عن أهله .

فقالت : يا أبت ، الأول سيد مضياع للحررة ، فما عست أن تلين بعد إباثها ، وتضيع تحت جناحه ، إذا تابعها بعلها فأشرت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساء عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فإن جاءت بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت ؛ فاطو. ذكر هذا عني ، ولا تسمه عليّ بعد .

وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة^(٣) ، الحررة العفيفة ، وإني للتي لا أريب

(١) السميدع : السيد الكريم السخي .

(٢) المِدرَةُ كميثر : السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة ، والأرومة : الأصل .

(٣) الخريدة : البكر لم تنمس ، والحية المسترة ، طويلة السكوت ، خافضة الصوت .

له عشيرة فتعيه ، ولا تصيره بذعر فتضيره ، وإنى لأخلاق مثل هذا لموافقة
فزوجنيه .

فزوجها من أبى سفيان ، فولدت له معاوية ، وقبله يزيد ، فقال فى ذلك
سهيل بن عمرو :

تُبْتُ هندا تَبَّرَ اللهَ سعيها	تأبَّتْ وقالت : وصفُ أهوج مائق ^(١)
وما هَوَجى يا هندُ إلا سجية	أُجِر لها ذيلُ بحسن الخلائق
ولو شئت خادعت الفتى عن قُلُوصه	ولأطبْتُ بالبطحاء فى كل شارق ^(٢)
ولكننى أكرمت نفسى تكروما	ودافعت عنها الذم عند الخلائق
وإنى إذا ماحرة ساءَ حُلُقها	صبرتُ عليها صبرَ آخر عاشق
فإن هى قالت : خل عنى تركتها	وأقلِل بتركٍ من حبيب مفبارق
فإن سأمحونى قلت أمرى إليكم	وإن أبعدونى كنت فى رأس حالق ^(٣)
فلم تنكحى يا هند مثلى وإننى	لمن لم يمقنى فاعلمنى غير وامق ^(٤)

فبلغ أبى سفيان ، فقال :

والله لو أعلم شيئا يرضى أبى زيد سوى طلاق هند لفعلته !

وألح سهيل فى تنقيص أبى سفيان ، فقال أبو سفيان :

رأيت سُهَيْلاً قد تفاوت شأؤه	وفَرَط فى العلياء كلَّ عِناث
وأصبح يسمو للمعالى وإنه	لذو جفنةٍ مغشيةٍ وقيان ^(٥)
وشرب كرام من لوى بن غالب	عراض المساعى عرضة الحداث
ولكنه يوما إذا الحرب شمרת	وأبرز فيها وجه كل حصان
فأكفیه مالا يستطيع دفاعه	وألقيت فيها كل كللى وجرائى ^(٦)

(١) المائق : الذى كاد يبكى من شدة الغيظ .

(٢) القُلُوص من النوق : الشابة ، وهى بمنزلة الجارية من النساء وجمعها قُلُوص وقلائص ؛ ولذا نراهم يكونون عن الفتيات بالقُلُوص ، والشارق : الشمس حين تشرق .

(٣) الحالق : الجبل المرتفع . (٤) الوامق : المحب ، وفعله : ومقه ، يمه : أى أحبه .

(٥) جفنة مغشية أى : يغشاها الضيوف . دليل الكرم . والقيان جمع قبنة وهى الأمة مغشية كانت أو غير مغشية ، وهى دليل السعة والثراء ، ولكنه مع هذا محتاج إلى من يكفيه مخاطر الحرب .

(٦) الكلكل : الصدر ، والجبران : باطن العنق من البعير وغيره ، ويقال : ألقي عليه جرانه : أى

وصية أبي سفيان وزوجه لابنهما معاوية حين عمل لعمر

- .. ولما قدم معاوية من الشام وكان عمر قد استعمله عليها (١) ،
دخل على أمه هند ، فقالت له :
يا بني ، إنه قلما ولدت حُرَّةً مثلك ! ، وقد استعملك هذا الرجل ،
فاعمل بما وافقه ، أحببت ذلك أم كرهته .
- ثم دخل على أبي سفيان ؛ فقال له :

يا بني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين (٢) سبقونا وتأخرنا عنهم ،
فرفعهم سبقهم ، وقصر بنا تأخرنا ، فضيرنا أتباعاً وصاروا قادة ؛ وقد قلدوك
جسيماً من أمرهم (٣) ؛ فلا تخالفن أمرهم ؛ فإنك تجرى إلى أمد لم تبلغه ، ولو
قد بلغت ، لتنفست فيه (٤) .

سهيل وابن له :

يرجم الله هذا !

- قال : وتزوج سهيل بن عمرو امرأة ، فولدت له ولداً ؛ فبينما هو
سائر معه إذ نظر إلى رجل يركب ناقة ، ويقود شاة ، فقال لأبيه : يا أبت ،
هذه ابنة هذه ؟!! يريد الشاة ابنة الناقة ! فقال أبوه : يرحم الله هذا ! يعني ما
كان من فراستها فيه .

(١) جعله عاملاً له ووالياً عليها . (٢) الرهط : الجماعة من الناس .

(٣) جملوك مسئولية الولاية والحكم وهي مسئولية جسيمة .

(٤) يتوقع له مستقبلاً أعظم ، لم يبلغه بعد ، وعندما يتحقق تستريح نفسه .

الرسول ﷺ وأم هانيء :

خير نساء ركنن الإبل !

• وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله لو تزوجت أم هانيء بنت أبي طالب ، فقد جعل الله لها قرابة ، فتكون صهرها أيضا ! فخطبها رسول الله ﷺ فقالت : والله إنه لأحب إلى من سمعى وبصرى ، ولكن حقه عظيم ، وأنا مومة (١) ؛ فإن قمت بحقه خفت أن أضيع أيتامى ! وإن قمت بأمرهم قصرت عن حقه ! فقال النبي ﷺ : خير نساء ركنن الإبل نساء قريش ، أحناها على ولد في صغره ، وأرعاها على بعل (٢) في ذات يده ، ولو علمت أن مريم ابنة عمران ركبت جملا لاستثنيتها .

زواج الرسول ﷺ من حفصة :

شكوى عمر .. !!

• ولما توفيت رقية بنت رسول الله ﷺ عن عثمان بن عفان ، عرض عليه عمر ابنته حفصة ؛ فسكت عنه عثمان - وقد كان بلغه أن رسول الله ﷺ يريد أن يزوجه ابنته الأخرى - فشكا عمر إلى رسول الله ﷺ سكوت عثمان عنه ؛ فقال له : سيزوجُ الله ابنتك خيرا من عثمان ، ويزوج عثمان خيرا من ابنتك ! فتزوج رسول الله ﷺ حفصة ، وتزوج عثمان ابنته .

(١) مومة : صاحبة يتامى مات عنى زوجى وتركهم لى أرعاهم .

(٢) بعل : زوج .

خطبته ﷺ خديجة :

الزوج المثالي

● ولما خطب رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن عبد العزى ، ذكرت ذلك لورقة بن نوفل - وهو ابن عمها - فقال : هو الفحل ، لا يُقدع أنفه (١) ، تزوجه .

خطبة عمر بن الخطاب لأم كلثوم بنت أبي بكر :

لا حاجة لي فيه ! إنه خشن العيش شديد على النساء !

● .. وخطب عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت أبي بكر ، وهى صغيرة ، فأرسل عمر إلى عائشة ، فقالت : الأمر إليك . فلما ذكرت ذلك عائشة لأم كلثوم قالت : لا حاجة لي فيه ! فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين (٢) ؟ قالت : نعم ، إنه خشن العيش ، شديد على النساء ! فأرسلت عائشة إلى المغيرة بن شعبه فأخبرته فقال لها : أنا أكفيك (٣) ! فأتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، بلغنى عنك أمر أعيذك بالله منه ! قال : ماهو ؟ قال : بلغنى أنك خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر ؟ قال : نعم ، أفرغت بها عنى ، أم رغبت فى عنها ؟ قال : لا واحدة منهما ، ولكنها حدثت (٤) نشأت تحت كنف خليفة رسول الله فى لين ورفق ، وفيك غلظة ، ونحن نهأ بك وما نقدر أن نردك عن خلق من أخلاقك ، فكيف بها إن خالفتك فى شيء فسطوت (٥) بها ؟! كنت

(١) قدغته عنى : كفته يدي أو بلساني . وذاك فحل لا يقدر أى كريم لا يُرد .

(٢) رغب عنه انصرف ولم يلتفت إليه ، وهى عكس رغب فيه فمعناها أقبل عليه .

(٣) أى أتولى عنك إخباره بما لا يسبب الحرج لكليكما .

(٤) صغيرة السن شابة .

(٥) سطوت بها : السطو القهر بالبطش .

قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق لك ! فقال : كيف لي بعائشة وقد كلمتها ؟ قال : أنا لك بها ، وأدلك على خير لك منها ، أم كلثوم بنت علي من فاطمة بنت رسول الله ، تتعلق منها بسبب (١) من رسول الله ﷺ .

علي وعمر في أم كلثوم

ما على الأرض أحد يرضيك من صحبتها بما أرضيك

● وكان علي (٢) قد عزل بناته (٣) لولد جعفر بن أبي طالب ، فلقبه عمر فقال : يا أبا الحسن ، أنكِحني ابنتك أم كلثوم ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قال : قد حبستها لابن جعفر ! قال إنه والله ما على الأرض أحد يرضيك من صحبتها بما أرضيك به ، فأنكِحني يا أبا الحسن . قال : قد أنكِحتُها يا أمير المؤمنين ! .

فأقبل عمر فجلس في الروضة بين القبر والمنبر ، واجتمع إليه المهاجرون والأنصار ، فقال : زفوني ! قالوا بمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : بأم كلثوم . فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل سبب ونسب يتقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي » ! وقد تقدمت لي صُحبة ، فأحببت أن يكون لي معها سبب (٤) . فولدت له أم كلثوم زيد بن عمر ، ورقية بنت عمر ؛ وزيد بن عمر هو الذي لطم سُمرة بن جندب عند معاوية إذ تنقص (٥) عليا فيما يقبال .

(١) السبب : الجبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره .

(٢) ولد في مكة سنة ٦٠٠ م ابن عم النبي ﷺ وصهره وبطل الإسلام ، وهو من أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ .

(٣) أعدهن وخصصهن يقال : عزلهن ، وحسهن كل ذلك بمعنى واحد .

(٤) نسب يوصلني برسول الله ﷺ .

(٥) نال من قدره وعابه .

سلمان وعمر في ابنته :

أمير المؤمنين يتواضع !!

● وخطب سلمان الفارسي إلى عمر ابنته ، فوعده بها ، فشق ذلك على عبد الله بن عمر ، فلقي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فشكا ذلك إليه ، فقال له : فأكفيكه (١) فلقي سلمان ، فقال له : هنيئا لك يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين يتواضع لله عز وجل في تزويجك ابنته ! فغضب سلمان وقال : والله لا تزوجت إليه أبداً ! .

زواج بلال وأخيه :

أنا بلال وهذا أخى قد مَنَّ الله علينا !

● وخرج بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ مع أخيه إلى قوم من بني ليث ، يخطب إليهم لنفسه ولأخيه ، فقال : أنا بلال ، وهذا أخى .. كنا ضالّين ؛ فهدانا الله ، وكنا عبيدين فأعتقنا الله ، وكنا فقيرين فأغنانا الله ؛ فإن تُزَوِّجُونَا ؛ فالحمد لله ؛ وإن تُرَدُّونَا فالمُسْتَعَانُ الله ! .

قالوا : نعم وكرامة (٢) ! فزوجوهما .

★ ★ ★

(١) أكفيكه : أتولى بدلا منك صرفه بطريقتي الخاصة .

(٢) نعم وكرامة : الكرامة الغزاة .

زواج عثمان من نائلة :

مؤهلات ... ومواصفات !

● قالت تماضر امرأة عبد الرحمن بن عوف لعثمان بن عفان (١) : هل لك في ابنة عم لي بكر جميلة ، ممتلئة الخلق ، أسيلة الخد (٢) ، أصيلة الرأى تتزوجها ؟ قال : نعم ، فذكرت له « نائلة بنت الفرافصة الكلبية » فتزوجها وهى نصرانية ، فتحنفت (٣) ، وحملت إليه من بلاد كلب ، فلما دخلت عليه ، قال لها : لعلك تكرهين ما ترين من شيبى ؟ قالت : والله يا أمير المؤمنين ، إني من نسوة أَحَبُّ أزواجهنَّ إليهن الكهل ! قال : إني قد جُزْتُ (٤) الكهول ، وأنا شيخ ! . قالت : أذهبت شبابك مع رسول الله ﷺ في خير ما ذهب فيه الأعمار ! قال : أتقومين إلينا أم نقوم إليك ؟ قالت : ما قطعت إليك من أرض السماوة وأريد أن أنثنى إلى عرض البيت ! وقامت إليه . فقال لها : أنزعي ثيابك . فنزعها ؛ فقال : حلى مِرطك (٥) . قالت : أنت وذاك .

● قال الحسن : فلم تنزل نائلة عند عثمان حتى قتل ؛ فلما دُخل إليه ، وقته بيدها ، فجذمت أناملها (٦) ، فأرسل إليها معاوية بعد ذلك يخطبها ، فأرسلت إليه ما ترجو من امرأة جذماء ! .

● وقيل : إنها قالت لما قتل عثمان : إني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وقد خشيت أن يبلى حزن عثمان من قلبي ! فدعت بفهر (٧) فهتمت فاهها ! وقالت : والله لا أقعد أحد منى مقعد عثمان أبدا !! .

(١) ثالث الخلفاء الراشدين ، سمي ذا النورين لزوجاه بابنتي النبي ﷺ .

(٢) أسيلة الخد : أى لينة الخد مع طوله ، وكل مسترسل فهو أسيل .

(٣) تحنفت اعتزل عبادته ومال عنها ، والحنيف الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه .

(٤) أى تعديت سن الكهولة ، وسن الكهولة بين الثلاثين والخمسين تقريبا .

(٥) المِط : كل ثوب غير مخيط ، كساء من صوف ونحوه يؤترز به .

(٦) جذمت : قطعت ، وامرأة جذماء مقطوعة اليد أو الأنامل .

(٧) الفهر بكسر الفاء : الحجر قدر ما يدق به الجوز أو ما يملأ الكف ويؤنث وجمعه أفهار .

فاطمة بنت الحسين بن علي وابن عمرو

كفى عن وجهك ؛ فإن لنا به حاجة !!

● وكانت فاطمة بنت الحسين بن علي عند حسن بن حسن بن علي ، فلما احتضر (١) قال لبعض أهله : كأني بعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان إذا سمع بموتى قد جاء يتهادى في إزار له موري قد أسبله ، فيقول : جئت أشهد ابن عمي ، وليس يريد إلا النظر إلى فاطمة ، فإذا جاء فلا يدخلن ! .

قال : فوالله ما هو إلا أن أغمضوه ، فجاء عبد الله بن عمرو في تلك الصفة التي وصفها ، فمنع ساعة ، فقال بعض القوم : لا يدخل وقال بعضهم : افتحوا له ؛ فإن مثله لا يُردُّ . ففتحوا له ، ودخل ؛ فلما صرنا إلى القبر قامت عليه تبكى ، ثم اطلعت إلى القبر فجعلت تصك وجهها بيديها حاسرة (٢) ؛ قال : فدعا عبد الله بن عمرو وصيفا له فقال : انطلق إلى هذه المرأة وقل لها : يقرئك ابن عمك السلام ويقول لك : كفى عن وجهك ، فإن لنا به حاجة ! فلما بلغها الرسالة أرسلت يديها فأدخلتهما في كميتها حتى انصرف الناس .

فتزوجها عبد الله بن عمرو بعد ذلك ، فولدت له محمد بن عبد الله ؛ وكان يسمى المذهب ، لجماله ؛ وكانت ولدت من حسن بن حسن ، عبد الله بن حسن الذي حارب أبو جعفر ولديه إبراهيم ومحمداً ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن حتى قتلها .

(١) احتضر : حضرته الوفاة .

(٢) تصك وجهها : تضربه ، وفي القرآن : ﴿ فصكت وجهها ﴾ وحاسرة : مكشوفة الوجه والانحسار : الانكشاف .

محمد بن عبد الله بن عمرو :

كرم الأصل وشرف النسب

• وعن سلمة بن محارب قال : ما رأيت قرشياً قط كان أكمل ولا أجمل من محمد بن عبد الله بن عمرو الذى ولدته فاطمة بنت الحسين .

وكانت له ابنة ولدها رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير (١) : كانت أمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير ، وأم عروة أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وأم محمد فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وأم فاطمة بنت الحسين أم إسحق بنت طلحة بن عبيد الله ، وأم عبد الله بن عمرو بن عثمان سودة بنت عمر بن الخطاب .

شرح والشعبى فى نساء تميم (٢) :

خير زوجة !

• وعن الهيثم بن عدى الطائى قال : حدثنا مجالد عن الشعبى قال : قال لى كشرج : يا شعبى ، عليك بنساء بني تميم ؛ فإنى رأيت لهن عقولاً ، قال : وما رأيت من عقولهن ؟ قال : أقبلت من جنازة ظهراً فمررت بئورهم ؛ فإذا أنا بعجوز على باب دار وإلى جنبها جارية كأحسن ما رأيت من الجوارى ، فعدلت ، فاستسقيت وما بى عطش ، فقالت : أى الشراب أحب

(١) أى كانت من نسلهم ، وسلالتهم ، واجتمع لها هذا الحسب والنسب ؛ فهى تنتمى إليهم وتنسب ، كما هو مبين بعد .

(٢) تميم : قبيلة عربية أنجبت فحول شعراء الجاهلية ولغتها حجة بين لغات القبائل . والشعبى أبو عامر بن شراحيل تابعى محدث . كان مستشار الخلفاء ، وهو علامة الكوفة . روى عن على وأبى هريرة وعائشة . ومن تلاميذه أبو حنيفة .

إليك ؟ فقلت : ما تيسر . قالت : ويحك يا جارية ! ائنيه بلبن ؛ فإنى أظن الرجل غريباً ! قلت : من هذه الجارية ؟ قالت : هذه زينب ابنة جرير ، إحدى نساء حنظلة .

قلت : فارغة أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة . قلت : رَوِّجِينِيهَا .

قالت : إن كنت لها كفئاً ، ولم تقل كفوا ، وهى لغة تميم - فمضيت إلى المنزل فذهبت لأقبل ، فامتعت منى القائلة ، فلما صليت الظهر أخذت بأيدي إخواني من القراء الأشراف : علقمة ، والأسود ، والمسيب ، وموسى ابن عرقطة ، ومضيت أريد عمها ، فاستقبل فقال : يا أبا أمية ، حاجتك ؟ قلت : زينب بنت أخيك . قال : ما بها رغبة عنك ^(١) ! فأنكحنيها ، فلما صارت في حبالي ندمت ، وقلت : أى شيء صنعتُ بنساء بنى تميم ؟ وذكرت غلظ قلوبهن ، فقلت أطلقها ! ثم قلت : لا ، ولكن أضمها إلى ، فإن رأيت ما أحب وإلا كان كذلك . فلو رأيتنى يا شعبي وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أدخلت على ، فقلت : إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلى ركعتين ، فيسأل الله من خيرها ، ويعوذ من شرها ، فصليت وسلمت ، فإذا هى من خلفي تصلى بصلاقي ، فلما قضيت صلاقي أتتني جواربها ، فأخذن ثيابي ، وألبسنني ملحفة قد صبغت في عكر العصفور .

فلما خلا البيت دنوت منها ، فمددت يدي إلى ناحيتها ، فقالت : على رسلك ^(٢) أبا أمية ! كما أنت ! ثم قالت : الحمد لله ، أحمدته وأستعينه ، وأصلى على محمد وآله ، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك فبين لي ما تحب فأتبه ، وما تكره فأزجر عنه . وقالت : إنه قد كان لك في قومك منكح ^(٣) ، وفي قومي مثل ذلك ، ولكن إذا قضى الله أمراً كان ، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به ﴿ إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ ^(٤) . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك .

(١) أى لا ترغب في غيرك ، وهى رغبة فيك .

(٢) على رسلك : أى اتعد وتأن .

(٣) أى تزوجت من قومك قبل .

(٤) البقرة : ٢٢٩ .

... قال : فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع فقلت :

الحمد لله ، أحمدته وأستعينه ، وأصلي على النبي وآله وأسلم ، وبعد ، فإنك قد قلت كلاما إن تثبتى عليه يكن ذلك حَظًّا ، وإن تدعيه يكن حجًّا عليك ؛ أحب كذا ، وأكره كذا ، ونحن جميع فلا تفرق ، وما رأيت من حسنة فانشريها ، وما رأيت من سيئة فاستريها .

وقالت شيئا لم أذكره : كيف محبتك لزيارة الأهل ؟ قلت : ما أحبُّ أن يَمْلَنِي أصهارى . قالت فمن تحب من جيرائك أن يدخل دارك آذن لهم ، ومن تكرهه أكرهه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء .

قال : فبت يا شعبي بأنعم ليلة ، ومكثت معي حولا لا أرى إلا ما أحب ، فلما كان رأسُ الحول ^(١) جئت من مجلس القضاء ؛ فإذا بعجوز تأمر وتنهى في الدار ! فقلت : مَنْ هذه ؟ قالوا : فلانة خنتك ^(٢) ، فسرى عني ما كنت أجد ، فلما جلست ، أقبلت العجوز فقالت : السلام عليك أبا أمية . قلت : وعَلَيْكَ السلام ، من أنت ؟ قالت : أنا فلانة خنتك . قلت : قربك الله . قالت : كيف رأيت زوجتك ؟ قلت : خير زوجة . فقالت لي : أبا أمية ، إن المرأة لا تكون أسوأ منها في حالتين : إذا ولدت غلاما ، أو حظيت عند زوجها ؛ فإن رابك ريب فعليك بالسوط ، فو الله ما حاز الرجال في بيوتهم شرا من المرأة المدللة . قلت : أما والله لقد أدبت فأحسنست الأدب ، ورُضْتُ فأحسنست الرياضة . قالت : تحب أن يزورك ختاتك ؟ قلت : متى شاءوا . قال : فكانت تأتيني في رأس كل حول توصيني تلك الوصية .

فمكثت معي عشرين سنة لم أعتب عليها في شيء إلا مرة واحدة ، وكنت لها ظالما : أخذ المؤذن في الإقامة بعد ما صليت ركعتي الفجر ، وكنت

(١) آخر العام : وسمى العام حولا ؛ لأنه يضم فصولا أربعة ، ينحول فيها الجو من حال إلى حال .

(٢) ختن الإنسان : أصهاره وكل ما كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها ، وكذلك زوج البنت ، وزوج الأخت وأم الزوجة كما هنا .

إمام الحنبي ، فإذا بعقرب تدب ، فأخذت الإناء فأكفأته عليها .

ثم قلت : يا زينب ، لا تتحركي حتى آتي ! فلو شهدتني يا شعبي وقد صليت ورجعت فإذا أنا بالعقرب قد ضربتها ، فدعوت بالسكت والملح ، فجعلت أمغث (١) أصبعها ، وأقرأ عليها بالحمد والمُعوذتين .

● وكان لي جار من كندة يُفزع امرأته ويضربها :

فقلت في ذلك :

كُنْتُمْ زَعَمْتُمْ أَنَّهَا ظَلَمْتَكُمْ كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ بَلْ تَظْلِمُونَهَا
فَإِنْ لَا تَعْدُوا أُمَّهَا مِنْ نَسَائِكُمْ فَإِنْ أَبَاهَا وَالِدٌ لَنْ يَشِينَهَا
وَإِنْ لَهَا أَعْمَامٌ صَدِيقٌ وَإِخْوَةٌ وَشَيْخًا إِذَا شِئْتُمْ تَأَيَّمُ دُونَهَا (٢)
قالت النوار : فإذا لانشاء ! .

لمعاذ بن جبل :

فتنة الضراء وفتنة السراء ! *

● وعن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل قال : إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وإنني أخاف عليكم من فتنة السراء : وهي النساء ، إذا تحلين بالذهب ، ولَبَسْنَ رِيْطَ الشَّامِ (٣) ، وعصب اليمن ، فأتعين الغنى ، وكلفن الفقير ما لا يطاق .

● وقال عبد الملك بن مروان : من أراد أن يتخذ جارية للمتعة ليتخذها بربرية ، ومن أرادها للولد فليتخذها فارسية ، ومن أراد للخدمة ليتخذها رومية .

(١) أمغث إصبعها : المَثُ المرت ، والضرب الخفيف و ذلك .

(٢) تأيم : مكث زمانا لا يتزوج .

(٣) رِيْط : جمع رِبْطَة ، وهي الملاعة إذا كانت قطعة واحدة ونسيجا واحداً .

لابن هبيرة :

مواصفات !

● عن أبي الحسن المدائني قال : قال يزيد بن عمر بن هبيرة : اشتروا لي جارية شقاء ، مقاء ، رَسْحَاء ، بعيدة ما بين المنكبين ، ممسوحة الفخذين (١) .

● وقال الأصمعي - وذكر النساء - بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب ، وما ضرب رعوس الأبطال كابن الأعجمية .

★ ★ ★

يونس ومستشير له في الزواج :

إياك أن تقع في قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم !!

● أبو حاتم الأصمعي عن يونس بن مصعب عن عثمان بن إبراهيم بن محمد قال : أتاني رجل من قريش يستشيرني في امرأة يتزوجها فقلت : يا بن أخي ، إني أعرف في العين إذا عرفت ، وأنكر فيها إذا أنكرت ، وأعرف فيها إذا لم تعرف ولم تنكر : أما إذا عرفت فتتجاوز (٢) ، وأما إذا أنكرت فتجحظ (٣) ، وأما إذا لم تعرف ولم تنكر فتسجو (٤) ؛ وقد رأيت عينك ساجية ؛ فالقصيرة النسب التي إذا ذكرت أباهما اكتفت به ، والطويلة النسب التي تُعرف حين تطيل في نسبتها ، فإياك أن تقع في قوم قد أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم ؛ فتضيع نفسك فيهم ! .

(١) شقاء : يريد كأنها شقة جبل ، مقاء : طويلة ، رَسْحَاء : صغيرة العجيزة أرادها للولد ؛ لأن الأرسح أفرس من العظيم العجيزة ؛ فقد قال عمر بن هبيرة لرجل : ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأرسح فتكون فارسا .

(٢) تتجاوز : الخوص ضيق في مؤخرة العينين أو في إحداها ، والاتفاف حول الشيء .

(٣) تجحظ : يقال : جحظت عينه إذا خرجت مقلتها أو عظمت .

(٤) تسجو : تسكن . ومنه البحر والطرف الساجي ؛ وامرأة سجواء الطرف .

الوليد وعقائله (١) :

نطق من احتاج إلى نفسه وسكت من اكتفى بغيره !

- وعن العتيبي قال : كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل :
لُبابة بنت عبد الله بن عباس ، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية ، وزينب بنت سعيد بن العاص ، وأم جحش بنت عبد الرحمن بن الحارث .
فكن يجتمعن على مائدته ويفترقن فيفخرن ، فاجتمعن يوماً .
• فقالت لبابة : أما والله إنك لتسويني بهن ، وأنت تعرف فضلي عليهن ! .

• وقالت بنت سعيد بن العاص (٢) ، أما كنت أرى أن للفخر على مجازا ، وأنا ابنة ذى العمامة ؛ إذ لاعمامة غيرها ! .

• وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث : ما أُحِبُّ بأى بدلاً ، ولو شئت لقلت فصَدَّقْتُ وَصَدَّقْتُ ! .

• وكانت بنت يزيد بن معاوية (٣) جاريةً حديثة السن ، فلم تتكلم ، فتكلم عنها الوليد فقال :

• نطق من احتاج إلى نفسه ، وسكت من اكتفى بغيره ؛ أما والله لو شاءت لقلت :

• أنا ابنة قادتكم في الجاهلية ، وخلفائكم في الإسلام ! فظهر الحديث حتى تُحَدِّثَ به في مجلس ابن عباس ، فقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

(١) عقائله : زوجاته . جمع عقيلة .

(٢) حاكم الكوفة والمدينة أيام معاوية ، قاد الجيوش في طبرستان وجرجان ، وتوفي في العقيق

٦٨٨ م

(٣) الخليفة الثاني الأموي اشهر بتهنكه ومجونه .

للحجاج في نسوته :

هذه ليلتى !

● الشيباني عن عوانة : قال : ذكر النساء عند الحجاج ، فقال :
عندى أربع نسوة : هند بنت المهلب ، وهند بنت أسماء بن خارجة ، وأم
الجلال بنت عبد الرحمن بن أسيد ، وأمة الرحمن بنت جرير بن عبد الله
البجلي ، فأما ليلتى عند هند بنت المهلب فليلة فتى بين فتیان ، يلعب
ويلعبون ، وأما ليلتى عند هند بنت أسماء فليلة ملك بين الملوك ، وأما ليلتى
عند أم الجلال فليلة أعراني مع أعراب في حديثهم وأشعارهم . وأما ليلتى عند
أمة الرحمن بنت جرير فليلة عالم بين العلماء والفقهاء .

أبو الحر المخنث :

وفر الله لحيتك .. أبا الحر !

● وعن العتبي قال : حدثني رجل من أهل المدينة قال : كان بالمدينة
مخنث يدل على النساء (١) ، يقال له : أبو الحر ، وكان منقطعاً إلى ، فدلني
على غير ما امرأة أتزوجها ، فلم أرض عن واحدة منهن ، فاستقصرت
يوماً (٢) ، فقال : والله يامولاي لأدلك على امرأة لم تر مثلها قط ، فإن لم تر
كما وصفت فاحلق لحيتي ! فدلني على امرأة فتزوجتها ، فلما زفت إلى وجدتها
أكثر مما وصف ، فلما كان في السحر إذا إنسان يدق الباب ، فقلت من هذا ؟
قال : أبو الحر ، وهذا هو الحجام (٣) معه ، فقلت : قد وفر الله لحيتك
أبا الحر ، الأمر كما قلت !

★ ★ ★

(١) يقوم بترشيع النساء لمريدى الزواج (أشبه بالخاطبة في مجتمعنا) .

(٢) استقصرت : نسبت إليه التقصير .

(٣) الحجام : من سيقوم بحلق ذقنه إذا لم تحظ المرأة بالقبول . والحجامة : امتصاص الدماء
بالحجم . وقد كان الحجام يقوم بما يشبه عمل حلاق الصلحة في القرى بحجم ، ويفصد ، ويختن ،
ويحلق !

• للرسول ﷺ في مخنث :

تقبل بأربع وتدبر بثمان !

• ابن بكير عن مالك بن هشام بن عروة عن أبيه : أن مخنثا كان عند أم سلمة زوج النبي ﷺ ، فقال لعبد الله بن أبي أمية ورسول الله ﷺ : يسمع : أبا عبد الله ، إن فتح الله لكم الطائف غدا فأنا أدلك على بنت غيلان ، فإنها تقبل بأربع ، وتدبر بثمان ! (١) .

فقال رسول الله ﷺ : « لا يدخل عليكن هؤلاء » .

رجل من أهل الكوفة وابنة عمه :

الله أجل في قلبي وأعظم !!

• وضرب البعث (٢) على رجل من أهل الكوفة ، فخرج إلى أذربيجان ، فاقتاد جارية وفرسا ، وكان مملكا بابنة عمه ، فكتب إليها ليغيرها :
ألا أبلغوا أم البنين بأننا غنينا وأغنتنا الغطارفة المرد (٣)
بعيد منّا المنكين إذا جرى وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا لأيام العدو وهذه حاجة نفسي حين ينصرف الجند

(١) تقبل بأربع وتدبر بثمان ، يريد عكن البطن ، أنها إذا أقبلت أربع ، وإذا أدبرت ثمان . والعكن ما انطوى وتثنى من لحم البطن . يقصد : أنها سمينة ممتلئة .
(٢) بعثه : أرسله ، والبعث : الجيش .
(٣) الغطارفة : جمع غطريف وهو السيد الشريف ، والمرد : جمع أمرد .. وهو من لا شعر في ذقنه .

فلما ورد كتابه قرأته وقالت : يا غلام ، هات الدواة ، فكتبت إليه
تحيه :

ألا أقره السلام وقل له غنيا - ففيقوا - بالخطارفة المرد
بحمد أمير المؤمنين أقرهم شباباً - وأغزام - خوالف في الجند
إذا شئت غناني غلام مُرَجَّلٌ ونازعته من ماء مُعْتَصِرَ الورد
وإن شاء منهم ناشيء مَدَكْفَه إلى كبدٍ ملساء أو كفل نَهْدٍ
فما كنتم تقضون من حاج أهلکم شهوراً قضيناها على النأى والبُعْد (١)

فلما ورد كتابها ، لم يزد على أن ركب فرسه ، وأردف الجارية ، وألحق
بها ، فكان أول شيء بدأ لها به السلام أن قال :

بالله هل كنت فاعلة ؟ .

قالت : الله أجل في قلبي وأعظم ، وأنت في عيني أذل وأحق من أن
أعصى الله فيك (٢) ! فكيف ذقت طعم الغيرة ؟ ! .
فوهب لها الجارية وانصرف إلى بعته .

★ ★ ★

(١) لقد أثار غيبتها بجاريتها ، فأنارتها هي الأخرى - كلاماً - بغلام مُرَجَّل الشعر إذا شاءت
مكنته مما أحله الله للزوج ! .

(٢) لقد بلغت قمة مراقبة الله عندما قالت : الله أجل في قلبي وأعظم ! وأعطت للأزواج الذين
لا يصونون حق الزوجية درساً يلفتهم إلى ما ينبغي اتباعه مع أم الأولاد ، وما أجهل قولها : وأنت في عيني
أذل وأحق من أن أعصى الله فيك ، فكيف ذقت طعم الغيرة ؟ ! .. وهكذا يعود الزوج إلى نفسه بعد هذا
الدرس ويهب الجارية لزوجته .

• معاوية وابن صوحان :

(أ) أى النساء أشهى إليك ؟!

... وقال معاوية (١) لصعصعة (٢) بن صوحان : أى النساء أشهى إليك ؟ .

قال : المواتية لك فيما تهوى (٣) .

قال : فأين أبغض إليك ؟ .

قال : أبعدهن مما ترضى .

قال : هذا النقد العاجل ! .

فقال صعصعة : بالميزان العادل ! .

(ب) إنهن يغلبن الكرام ويغلبن اللثام !!

وقال صعصعة لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، كيف ننسبك إلى العقل ، وقد غلب عليك نصف إنسان ؟! . يريد غلبة امرأته فاخته بنت قرظة عليه ، فقال معاوية :

إِنَّهُنَّ يَغْلِبْنَ الْكَرَامَ ، وَيَغْلِبْنَ اللَّثَامَ .

(١) هو ابن أبى سفيان ، كان واليا على دمشق زمن الخلفيتين : عمر وعثمان . وهو مؤسس الدولة الأموية سنة ٦٨٣ هـ .

(٢) من المشاهير فى معرفة أنساب العرب .

(٣) التى تكون كما يهوى الإنسان ، وتحقق له ما يأمله فى المرأة .

• جرير البجلي وابن الخطاب :

إن بين جوانحك لعلماً

وعن سفيان بن عُيَيْنَةَ قال :

• شكّا جرير بن عبد الله البجلي إلى عمر بن الخطاب ما يلقي من النساء ، فقال : لا عليك (١) ؛ فإن التي عندي ربما خرجت من عندها فتقول : إنما تريد أن تتصنع لقيان (٢) بنى عدى .

فسمع كلامهما ابن مسعود فقال :

لا عليكما ؛ فإن إبراهيم الخليل شكّا إلى ربه رداءة في خلق سارة ، فأوحى الله إليه : أن البسها على لباسها ما لم تر في دينها وصمة (٣) .

فقال عمر : إن بين جوانحك لعلماً ! .

الحجاج (٤) وابن القرية :

بم يكمل جمال المرأة ؟!

• .. وكتب الحجاج إلى ابن القرية : أن اخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، شريفة في قومها ، ذليلة في نفسها ، مواتية لبعْلِها .

(١) لا حرج عليك ولا بأس .

(٢) القيان جمع قينة ، وهي الجارية ، مغنيّة أو غير مغنية .

(٣) وصمة : عيب ونقص ، وانحراف ، وعلى الإنسان أن يتقبل من زوجته ما لا يرضيه منها ، فإن كره منها شيئاً أحب آخر ، إلا إذا كان ما يعيبه منها متعلقاً بالدين .

(٤) الحجاج بن يوسف أحد ولاة الأمويين على الحجاز ، وعند ثورة مصعب بن الزبير رمى الكعبة بالمنجنيق . ثم تولى على العراق فأخذ الفتنة بقوة . ويعد من أكبر طغاة الولاة .

فكتب إليه : قد أصبَتْها لولا عظم ثديها ! .
فكتب إليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها ؛ فتدفىء الضجيع ،
وتروى الرضيع ! .

أبو العباس وابن صفوان :

أعجب النساء

• وقال أبو العباس أمير المؤمنين لخالد بن صفوان : يا خالد ، إن الناس
قد أكثرُوا في النساء^(١) ، فأيهن أعجب إليك ؟ .

قال : أعجبهن يا أمير المؤمنين التي ليست بالضرع الصغير ولا الفانية
الكبير ، وحسبك من جماها أن تكون فخمة من بعيد ، مليحة من قريب ،
أعلاها قضيب ، وأسفلها كثيب ، كانت في نعمة ، ثم أصابتها فاقة ، فأترفها
الغنى ، وأذهبها الفقر .

ابن صفوان وامرأة :

أريدها بكراً كثيب ، أو ثيباً كبيراً !

• .. ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في المسجد بالبصرة ، فقال :
ما هذه الجماعة ؟ .

قالوا : على امرأة تُدُلُّ على النساء فأتاها ؛ فقال لها : ابغنى امرأة .

(١) قالوا الكثير فيهن .

قالت : صفها لى .

قال : أريدها بكرا كثيب ، أو ثيبا كبكر ، حلوة من قريب ، فخمة من بعيد ، كانت فى نعمة ، فأصابها فاقة ، فمعها أدب النعمة ، وذلل الحاجة ، فإذا اجتمعنا كئنا أهل دنيا ، وإذا افترقنا كئنا أهل آخرة .

قالت : لقد أصبتها لك .

قال : وأين هى ؟ .

فى الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها (١) .

لأعرابى فى النساء :

أفضل النساء ..

● وسئل أعرابى فى النساء ، وكان ذا تجربة وعلم بهن ؛ فقال : أفضل النساء أطولهن إذا قامت ، وأعظمهن إذا قعدت ، وأصدقهن إذا قالت ؛ التى إذا غضبت حلمت ، وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صنعت شيئا جودت ؛ التى تطيع زوجها ، وتلزم بيتها ، العزيزة فى قومها ، الذليلة فى نفسها ، الودود الولود ، وكل أمرها محمود .

غطفانى وعبد الملك :

أحسن النساء

● وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان : صف لى أحسن

(١) هذه المثالية لا وجود لها إلا فى الجنة من بين الحور العين ، فعليه أن يستعد بالعمل الصالح حتى تكون من نصيبه .

النساء . قال : خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ، رَدْمَاءُ الكعبين ^(١) ، مملوءة الساقين ، جَمَاءُ الركبتين ^(٢) ، لَفَاءُ الفخذين ، مقرمة الرُفَين ^(٣) ، ناعمة الأَلَيَيْنِ ^(٤) ، منيفة المأكمتين ^(٥) ، فعمة ^(٦) العضدين ، فخمة الذراعين ، رَخْصَةٌ ^(٧) الكفين ، ناهدة الثديين ، حمراء الخدين ، كحلأ العينين ، رَجَاءُ ^(٨) الحاجبين ، لمياء الشفتين ^(٩) ، بلجاء الجبين ^(١٠) ، شماء العينين ^(١١) ، شبناء ^(١٢) الشعر ، حالكة الشَّعر ، غيداء العنق ^(١٣) ، عيناء العينين ^(١٤) مكسرة البطن ، ناتئة الركب .

فقال : ويحك ! وأنتى توجد هذه ؟ .

قال : تجدها في خالص العرب ، أو في خالص الفرس .

- (١) أى ليس بهما شقوق .
(٢) الشاة الجَمَاءُ التى لا قرن لها ، ويقصد أن ركبتها غير بارزتين وليس عظمهما ناتما .
(٣) الرفغ كما قال ابن السكيت هو : أصل الفخذ وهو يضم الرء مثل قفل وأقفال لغة أهل الحجاز ويفتحها لغة تميم والجمع رفوغ وأرفع مثل : فُلَس وفلوس وأفلس . وثوب مقرمد بالطيب والزعفران أى مطلى به .
(٤) الألية : ألية الشاه وهى مفتوحة الهزمة ، ولا يقال : لية والجمع أليات وامرأة عجزاء قال ثعلب : والقياس أليانة .
(٥) المأكْمُ والمأكْمَةُ وتكسر كافها : لحمه على راس الورك وهما اثنتان أو لحتان وصلتا بين العجز والمثتين ويقصد أنها عظيمة المأكمتين .
(٦) فعم الساعد والإناء : امتلأ . وفعمت المرأة : استوى خلقها ، وغلظ ساقها فهى فعمة .
(٧) ناعمة الكفين لينتهما .
(٨) إذا رق حاجب المرأة فى طول فهى رَجَاءُ والحاجب أَرْجَج والتزجيج حف ما حول الحاجبين من الشعر وإطالتهما بالإتمد .
(٩) اللَّمَى : سواد بالشفة . والتلمية خضاب الشفاه بالإتمد حتى تحكى اللمى الطبيعى .
(١٠) تبلع الصبح أشرق وأنار . والبلج تباعد ونقاوة ما بين الحاجبين ويقصد أن فى جبينها إشراقاً ونوراً .

(١١) العينين الأنف وشماء عالية ويقصد أن فيها عزة وامرأة شماء عالية الأنف .

(١٢) الشنب : بياض الأسنان وحسناها .

(١٣) القيد : ميل العنق ولين الأعطاف والغادة المرأة اللينة البينة الغيد .

(١٤) عيناء العينين : حسنة العينين ، ومنه الحور العين .

أقوال فى هذا المجال :

١ - قال رجل لخاصب : ابغنى امرأة لا تؤنس جاراً ، ولا توهن داراً ، ولا تثقب ناراً .

يريد : لا تدخل على الجيران ، ولا يدخل عليها الجيران ، ولا تغرى بينهم بالشر .

٢ - وفى نحو هذا يقول الشاعر :

من الأوانس مثل الشمس لم يرها
فى ساحة الدار لا بعل ولا جار .

٣ - وقال الأعشى :

لم تمش ميلاً ولم تتركب على جميل ولا ترى الشمس إلا دونها الكلل (١)

٤ - وقال آخر :

ابغنى امرأة بيضاء مديدة ، فرعاء (٢) جعدة ، تقوم فلا يصيب قميصها منها إلا مشاشة (٣) منكبيها ، وحلمتى ثديها ، ورائفتى (٤) أليتيها .

٥ - وقال الشاعر :

أبت الروادف والثدى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهوراً
وإذا الرياح مع العشى تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيورا

٦ - ولآخر :

(١) الكلل : جمع كلة . ما يشبه الستائر ونحوها مما يكون فوق الأسرة ونسميها نحن المصريين (الناموسية) .

(٢) فرعاء : تامة الشعر . وجعد الشعر بضم العين وكسرها إذا كان فيه التواء وتقبط خلاف المسترسل ، شعرها « مموج » .

(٣) المشاشة بالضم : رأس العظم الممكن المضغ .

(٤) الرانفة : أسفل الألية إذا كنت قائماً .

إذا انبطحت فوق الأثافي^(١) رفعها

بثديين في نحر عريض وكعنب

٧ - ونظر عمران بن حطان إلى امرأته وكانت من أجل النساء وكان من أقبح الرجال فقال :
إني وإياك في الجنة إن شاء الله ! .

قالت له : كيف ذاك ؟ .

قال : إني أعطيت مثلك فشكرت ، وأعطيت مثلي فصبرت ! .

من أخبار عائشة بنت طلحة :

صان الله ذلك الوجه

١ - ونظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة فقال : سبحان الله - ما أحسن ما غذاك أهلك ، والله ما رأيت وجهها أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله ﷺ .

وكان معاوية من أحسن الناس وجهها .

٢ - ونظر ابن أبي ذؤيب إلى عائشة بنت طلحة تطوف بالبيت ، فقال لها : من أنت ؟ .

فقالت :

من اللاء لم يحججن بيغن حسبة^(٢) ولكن ليقتلن البريء المغفلا

فقال لها : صان الله ذلك الوجه عن النار ! .

فقيل له : أفتنتك أبا عبد الله ؟ .

(١) الأثافي : جمع أثفية بالضم ويكسر الحجر يوضع عليه القدر . والكعنب : الركب الضخم . زعم أنها إذا بطحت على وجهها لم تمس الأرض بشيء من سائر جسدها إلا نهود ثديها ، وعظم ركبها فصارت لبدنها كالأثافي القدر .

(٢) الحسبة بكسر الحاء : احتساب الأجر على الله وادخاره عنده لا يرجو ثواب الدنيا واللاء ، واللاقي بمعنى واحد .

قال : لا ؛ ولكن الحسن مرحوم .

٣ - وقال يونس : أخبرني محمد بن إسحق قال : دخلتُ عَلَى عائشة بنت طلحة فوجدتها متكئة ، ولو أن بختية (١) نocht خلفها ما ظهرت .

٤ - السرى بن إسماعيل عن الشعبي قال : إني لفي المسجد نصف النهار إذ سمعت باب القصر يفتح ؛ فإذا بمصعب بن الزبير ومعه جماعة فقال : يا شعبي اتبعني . فاتبعته ؛ فأقَى دار موسى بن طلحة ، فدخل مقصورة ، ثم دخل أخرى ، ثم قال : يا شعبي اتبعني ، فإذا امرأة جالسة عليها من الحلى والجواهر ، ما لم أر مثله ، ولهي أحسن من الحلَى الذي عليها . فقال : يا شعبي ، هذه ليلي التي يقول فيها الشاعر :

ومازلت من ليلي لذن طرَّ (٢) شاربي
إلى اليوم أخفى حُبَّها وأداجنُ (٣)
وأحمل في ليلي لقوم ضغينة
وتحمل في ليلي على الضغائن (٤)

هذه عائشة ابنة طلحة ، فقالت له : أما إذ جلوتني عليه فأحسن إليه ! .

فقال : يا شعبي ، رُج العشيّة إلى المسجد ، فرحت ، فقال : يا شعبي ، ما ينبغي لمن جليت عليه عائشة بنت طلحة أن ينقص عن عشرة آلاف فأمر لي بها ، وبكسوة ، وقارورة غالية ، فليل للشعبي في ذلك اليوم : كيف الحال ؟ ! .

قال : وكيف حال من صدّر عن الأمير بيلدة (٥) ، وكسوة ، وقارورة غالية (٦) ، ورؤية وجه عائشة بنت طلحة ! .

-
- (١) البُحْتُ : نوع من الأبل . والواحدة بختية ، ونوخت . أناخت : بركت يقصد ضخامتها .
(٢) لذن طرّشاربي : لذن ظرف مكان بمعنى عند وقد يستعمل في الزمان ، وطرّشاربه نبث ، ويقصد منذ بلوغه .
(٣) داجنة مذاجنة : داهنة ، وخاتله .
(٤) أعادى في حبا وأعادى من أجلها .
(٥) البئرة : عشرة آلاف درهم ، والكمية العظيمة من المال ، والكيس الموضوع فيه .
(٦) الغالية : أخلاط من العطور والروائح ذات الشذى الفواح .

أحسن ما وصفه واصف بنظم أو شعر :

زواج عمرو بن حُجْر من بنت عوف

ما وراءك يا عصام !؟

وكان عمرو بن حُجْر ملك كندة - وهو جد امرئ القيس - أراد أن يتزوج ابنة عوف بن مُحَلَم الشيباني الذي يقال فيه : « لا حُرَّ بوادي عوف » ؛ لإفراط عزه ، وهى أم إياس ، وكانت ذات جمال وكال ؛ فوجه إليها امرأة يقال لها : « عصام » لتنظر إليها وتمتحن ما بلغه عنها .

فدخلت على أمها أُمَامَةَ بنت الحرث ، فأعلمتها ما قدمت له ؛ فأرسلت إلى ابنتها ... ؛ فقالت : أى بُنَيَّةٌ ، هذه خالتك أَتَتْ إليك لتنظر إلى بعض شأنك ، فلا تسترى عنها شيئا أرادت النظر إليه : من وَجْه ، وخلق ، وناطقها فيما استنطقتك فيه . فدخلت « عصام » عليها ، فنظرت إلى ما لم تر عينها مثله قَطُّ بهجة وحسنا وجمالا ، وإذا هى أكمل الناس عقلا ، وأفصحهم لسانا ، فخرجت من عندها وهى تقول :

« ترك الخِدَاعَ من كشف القناع » . فذهبت مثلا .

ثم أقبلت إلى الحارث فقال لها : « ما وراءك يا عصام » ؟ . فأرسلها مثلا .

قالت : « صرح المَحْضُ عن الزبد (١) » . فذهبت مثلا . قال : أخبريني .

قالت : أخبرك حقا وصدقا :

(١) مثل يقال للأمراة إذا انكشف وتبين . والمَحْضُ : الوعاء الذى يضرب ويحرك فيه اللبن حتى يخرج منه الزبد ، والمراد أنها نضجت ، واستوت .

رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة ، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل (١)
المضفورة إن أرسلته (٢) خلته السلاسل ، وإن مشطته قلت عنا قيد كرم جلاها
الوابل (٣) ، ومع ذلك حاجبان كأنهما خطاً بقلم ، أو سوّداً بحمم (٤) ، قد
تقوسا على مثل عين العبرة (٥) ، التي لم يرعها قانص ، ولم يُذرّها قسورة ،
بينهما أنف كحد السيف المصقول ، لم يخنس به قصر ، ولم يُمعن به طول ،
حفت به وجنتان كالأرجوان ، في بياض محض كالجُمان ، شقّ فيه فم
كالخاتم ، لذيد المتسم ، فيه ثنانيا غُر ذوات أشر ، وأسنان كالدر ، وريق
كالخمر ، له نشر الروض بالسجر ، ينقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان ...
يقلبه به عقل وافر ، وجواب حاضر ، تلتقى دونه شفتان حمراوان كالورد
يجلبان ريقا كالشهد ، تحت ذاك عنق كإبريق الفضة ، رُكّب في صدر تمثال
دُمية ، يتصل به عضدان ممثلان لحما ، مكتئزان شحما ، وذراعان ليس فيهما
عظم يحس ، ولا عرق يُجس ، ركبت فيهما كفان دقيق قصبيهما ، لين
عصبيهما ، تعقد إن شئت منهما الأنامل ، وتركّب الفصوص في حفر
المفاصل ، وقد تربع في صدرها حقان كأنهما رمانتان .. يخرقان عليها ثيابها ،
من تحته بطن طوى كطى الطباطبى المدجّة ، كسى عكنا كالقراطيس المدرجة
تحيط تلك العكن بسرة كمدهن العاج المجلو ، خلف ذلك ظهر كالجدول ،
ينتهي إلى خصر لولا رحمة الله لا نخذل ، تحته كفّل يُقعدها إذا نهضت ،

(١) الذنب : الذيل .

(٢) تركته مرسلا دون أن تضفره .

(٣) الوابل : المطر الشديد . وتقصد لمعان شعرها وصفاءه .

(٤) الحُمّة : بوزن رُطبة : ما أجرق من خشب ونحوه . والجمع بمحذف الماء ويقصد كأنما
سودا بفحم . (ويقوم أفلام الكحل في عصرنا بهذه المهمة) .

(٥) العبرة : الرقيقة البشرة الناصعة البياض والسمينة الممتلئة الجسم والجامعة للحسن في الجسم
والخلق ، وقد كان العرب يشبهون عيون المرأة بعيون المها - بقر الوحش - ويرعها : يخفها ، والقسورة
الأسد . ويخنس : يتأخر ، والخنس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة . والجُمان :
الفضة . وغرّ : يبيض . والأشر : تباعد ما بين الأسنان . والنشر : الرائحة العطرة .

وَيُنْهَضُهَا إِذَا قَعَدَتْ (١) ، كَأَنَّهُ دِعْصُ (٢) رَمَلٍ ، لَبْدُهُ سَقُوطُ الطَّلِّ ، يَحْمِلُهُ
فَخَذَانُ لِفَاوَانٍ ، كَأَنَّهُمَا نَضِيدُ الْجُمَانِ (٣) ، تَحْمِلَانِ سَاقَانِ خَدَلْجَتَانِ (٤) ،
وَشَيْتَا (٥) بِشَعْرٍ أَسْوَدَ كَأَنَّهُ حَلَقُ الزَّرْدِ (٦) ، وَيَحْمِلُ ذَلِكَ قَدِمَانِ كَحَذْوِ
اللِّسَانِ ، تَبَارَكَ اللَّهُ ، مَعَ صَغَرِهَا كَيْفَ تَطِيقَانِ حَمْلَ مَا فَوْقَهُمَا ، فَأَمَّا مَا سِوَى
ذَلِكَ ، فَتَرَكْتُ أَنْ أَصِفَهُ غَيْرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ مَا وَصَفَهُ وَاصِفٌ بِنَظْمٍ أَوْ شَعْرٍ .
قال : فَأَرْسِلْ إِلَى أَبِيهَا يَخْطُبُهَا ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهَا مَا تَقْدِمُ ذَكَرَهُ فِي صَدْرِ
هَذَا الْكِتَابِ .

الفرزدق وأمة له :

وقال الفرزدق في أمتة الزنجية

يَأْرُبُّ خَوْدٍ مِنْ بَنَاتِ الزَّجْجِ تَنْقُلُ ثُورًا شَدِيدَ الْوَهْجِ (٨)
أَغْيَرَ مِثْلَ الْقَدَحِ الْخَلْنَجِ يَزْدَادُ طَيِّبًا بَعْدَ طَوْلِ الْمَرْجِ (٩)

يَعْلَى الْهَذَلِيِّ وَطَلْحَةُ الطَّلِحَاتِ :

أَقْدِمُ أَرْوَجَكَ ابْنَتِي وَأَصْنَعُ بِكَ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ !

● وعن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال : حَدَّثَنَا يَعْلَى الْهَذَلِيُّ قَالَ :

- (١) العكن : ما انطوى وتنتى من لحم البطن سِمَنًا . والمُدْهَنُ : آلة الدهن وقاروره والجندول :
النهر الصغير ، والكفل : العَجَزُ ، ومؤخرة الظهر من المرأة وعَجَرَتِهَا .
- (٢) الدعص : الكتيب والمجتمع من الرمل المستدير .
- (٣) نضيد الجمان : اللؤلؤ المنظوم ، والفضة النضيدة التي يكون بعضها فوق بعض .
- (٤) خَدَلْجَتَانِ : مملوءتان . والخَدَلْجَةُ : المرأة الممتلئة الذراعين والساقين .
- (٥) وشيتا : حليتنا وزينتنا .
- (٦) الزرد : الدرع المزرودة .
- (٧) هو أبو فراس همام بن غالب التميمي ، أخذ الشعراء البارزين في العصر الأموي .
- (٨) الخود : المرأة الشابة . والتور : تجويفة اسطوانية من فخار تجعل في الأرض ويخبر فيها .
- (٩) الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الآنية ، والمهرج الاختلاط ومهرج جاريته جامعها .

كنت بسجستان مع طلحة الطلحات ، فلم أر أحدا كان أسخى منه
ولا أشرق نفسا ؛ فكتب إلى عمى من البصرة : إني قد كبرت ، ومالي كثير ،
وأكره أن أؤكله غيرك فأقدم أزوجه ابنتي وأصنع بك ما أنت أهله .

قال فخرجت على بغلة لى تركية فأتيت البصرة فى ثلاثين يوما ، ووافيت
فى صلاة العصر ، فوجدته قاعدا على دكانه ، فسلمت عليه فقال لى : من
أنت ؟ قلت ابن أخيك يعلى ، قال : وأين ثقلك (١) ؟ .

قلت : تعجلت إليك حين أتاني كتابك ، وطربت نحوكم . قال : يابن
أخى ، أتدرى ما قالت العرب ؟ قلت : لا . قال : قالت العرب : شر الفتیان
المفلس الطروب ! قال فقممت إلى بغلتى ، فأعددت سرجى عليها ، فما قال لى
شيئا ، ثم قال : إلى أين ؟ قلت : إلى « سجستان » . قال : فى كنف الله .

قال : فخرجت فبت فى الجسر ، ثم ذكرت أم طلحة ، فانصرفت أسأل
عنها ، حتى أتيت منزلها - وكان طلحة أكرم الناس بها - فقلت : رسول
طلحة ، فقالت : ائذنوا له . فدخلت ، فقالت : ويحك ! كيف أبنى ؟
قلت : على أحسن حال . قالت : فله الحمد ! وإذا بعجوز قد تحدت ،
قالت : فما جاء بك ؟ قلت : كيت وكيت . قالت : يا جارية ائتنى بأربعة
آلاف درهم ! ثم قالت : ائت عمك فابتن بابنته ، ولك عندنا ما تحب !
قلت : لا والله لا أعود إليه أبدا ، قالت : يا جارية ، ائتنى ببغلة رحلتى . ثم
قالت : راوح (٣) بين هذه وبغلتك حتى تأتى سجستان . قلت : اكتبى
بالوصاة لى ، والحالة التى استقبلتها . فكتبت بوجعها التى كانت فيه ، وبعاية
الله إياها ، وبالوصاة لى ، فلم تدع شيئا .

ثم دفعت حتى أتيت سجستان ، فأتيت باب طلحة ، وقلت
للحاجب : رسول صفية بنت الحرث . وأنا عابس بأسر (٤) ، فدخل ؛ فخرج

(١) الثقل : المتاع . وفى القرآن : ﴿ وتحمل أثقالكم ﴾ .

(٢) سجستان : إحدى الولايات الواسعة جنوبى هراة ، وبينها وهراة عشرة أيام .

(٣) راوخ بينهما : أى اركبهما على التبادل ، هذه مرة ، وتلك أخرى .

(٤) عابس بأسر : عابس قطب وجهه ، وبسر الرجل وجهه كلع ؛ يقال : عابس وبسر .

متوشحاً^(١) ، وخلفه وصيف يسعى بكرسى ، فقامت بين يديه ، فقال :
ويلك ! كيف أُمى ؟ ! .

قلت : بأحسن حالة . قال : انظر كيف تقول ؟ قلت : هذا كتابها .

قال : فعرف الشواهد والعلامات ، قلت : اقرأ كتاب وصيتها . قال :
ويحك ! ألم تأتني بسلامتها ؟ حسبك ! فأمر لي بخمسين ألف درهم ، وقال
لحاجبه : اكتبه في خاصة أهلي ، قال فوالله ما أتى على الحول حتى تم لي مائة
ألف .

قال ابن عياش : فقلت له : هل لقيت عمك بعد ذلك ؟ قال : لا والله
ولا ألقاه أبدا .

السلاماني وقريب له :

ما كنت أظن أن امرأة تجترىء على مثل هذا الكلام !!

• وعن الهيثم بن عدي عن ابن عباس قال : أخبرني موسى
السلاماني ، مولى الحضرمي ، وكان أيسر تاجر بالبصرة ، قال : بينا أنا جالس
إذ دخل علي غلام لي فقال : هذا رجل من أهل أمك يستأذن عليك - وكانت
أمه مولاة لعبد الرحمن بن عوف - فقلت : ائذن له . فدخل شاب حلو
الوجه ، يعرف في هيئته أنه قرشي في طمرين^(٢) فقلت : من أنت يرحمك
الله ؟ .

قال : أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري^(٣)
خال رسول الله ﷺ قلت : في الرحب والقرب . ثم قلت : يا غلام ، برّه
وأكرمه ، وأطفه ، وأدخله الحمام ، وأكسه قميصاً رقيقاً ، ومبطناً قوهياً ،

(١) الوشاح ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحتها ، ويقال
توشع الرجل بثوبه وسيفه .

(٢) الطمر : الثوب الخلق البالي .

(٣) عبد الرحمن بن عوف : أحد العشرة الذين بشرهم النبي بالجنة . كان في المهجرتين في الحجاز
والحبشة ، وقاد القتال في دومة الجندل .

ورداء عمريا . وحذونا له نعلين حضرميين ، فلما نظر الشاب في عطفه (١) ، وأعجبته نفسه ، قال : يا هذا أبغنى أشرف أئيم بالبصرة أو أشرف بكر بها ! قلت : يابن أخي ، معك مال ؟ قال : أنا مال كما أنا ! .

قلت : يابن أخي ، كف عن هذا . قال : انظر ما أقول لك ! قلت : فإن أشرف أئيم بالبصرة هند ابنة أوى صُفرة . أخت عشرة ، وعمة عشرة ، وحالها في قومها حالها . وأشرف بكر بالبصرة الملاة بنت زرارة بن أوفى الجرشي قاضى البصرة . قال : اخطبها على . قلت : يا هذا ، إن أباه قاضى البصرة ! قال : انطلق بنا إليه . فانطلقنا إلى المسجد ، فتقدم . فجلس إلى القاضى ، فقال له : من أنت يابن أخي ؟ قال له : عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف خال رسول الله ﷺ . قال : مرحبا بك . ما حاجتك ؟ قال : جئت خاطبا . قال : ومن ذكرت ؟ قال : الملاة ابنتك . قال : يابن أخي ، ما بها عنك رغبة (٢) . ولكنها امرأة يُفتاتُ عليها (٣) في أمرها ، فاخطبها إلى نفسها . فقام إلى فقلت : ما صنعت ؟ قال : قال : كذا وكذا .

قلت : ارجع بنا ولا تخطبها . قال : اذهب بنا إليها ، فدخلنا دار زرارة فإذا دار فيها مقاصير ، فاستأذنا على أمها ، فلقيتنا بمثل كلام الشيخ ثم قالت : وما هي في تلك الحجرة . قلت له : لا تأتها . قال : أليست بكرا ؟ قلت : بلى . قال : ادخل بنا إليها . فاستأذنا فأذنت لنا ، فوجدناها جالسة وعليها ثوب قوهى رقيق معصفر ، تحته سراويل يرى منها بياض جسدتها ، ومرط قد جمعته على فخذيها ، ومصحف على كرسى بين يديها فأشربت (٤) المصحف ثم نحتة ، فسلمنا ، فردت ، ثم رحبت بنا ، ثم قالت : من أنت ؟ قال : أنا عبد الحميد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى خال رسول الله ﷺ !

(١) عطف الرجل : جانباه والجمع : أعطاف .

(٢) رغب فيه أحبه ، ورغب عنه كرهه ، وماها رغبة عنك أى غير كارهة له ، ولا رغبة لها في سواك .

(٣) يفتات عليها الباطل ويختلق ؛ أو يفتات عليها فى أمرها لو لم نرجع إليها وننزل عند رأيها .

(٤) أشربت المصحف أغلقته وضمت أجزاءه بعضها إلى بعض .

ومد بها صوته ، قالت : يا هذا ، إنما يمد هذا الصوت للساسانيين ! قال موسى : فدخل بعضى فى بعض ! ثم قالت : ما حاجتك ؟ قلت : جئت خاطبا . قالت : ومن ذكرت ؟ قال : ذكرتك . قالت : مرحبا بك يا أخا أهل الحجاز . ما الذى بيدك ؟ قال : لنا سهمان بخير أعطاناهما رسول الله ﷺ - ومد بها صوته - وعين بمصر ، وعين باليمامة ، ومال باليمن .

قالت : يا هذا ، كل هذا عنا غائب ، ولكن ما الذى يحصل بأيدينا منك ؟ فأنى أظنك تريد أن تجعلنى كشاة عكرمة ، أتدرى من عكرمة ؟ قال : لا .

قالت : عكرمة بن ربيع ؛ فإنه نشأ بالسواد ، ثم انتقل إلى البصرة وقد تغذى باللبن ، فقال لزوجته : اشترى لنا شاة نحتلبها ، وتصنعين لنا من لبنها شرابا وكاخنا .

ففعلت وكانت عندهم الشاة إلى أن استحرمت (١) ، فقالت : يا جارية ، خذى بأذن الشاة وانطلقى بها إلى التياس ، فانزى (٢) عليها ! ففعلت ، فقال التياس : آخذ منك على النزوة درهما ! فانصرفت إلى سيدتها فأعلمتها . فقالت : إنما رأينا من يرحم ويعطى ، وأما من يرحم ويأخذ فلم نره ! .

ولكن يا أخا أهل المدينة أردت أن تجعلنى كشاة عكرمة . فلما خرجنا قلت له : ما كان أغناك عن هذا ! قال : ما كنت أظن أن امرأة تجترىء على مثل هذا الكلام ! .

ابن علفة وعبد الملك :

جنبى هجناء ولدك !

● وعن الأصمعى قال : كان عقيل بن عُلفَةَ المرى غيورا فخورا ، وكان يُصهر إليه خلفاء (٣) بنى أمية ، فخطب إليه عبد الملك بن مروان ابنته لبعض ولده ، فقال : جنبنى هجناء (٤) ولدك .

(١) استحرمت : الجُرْمَةُ الْعُلْمَةُ ، وطلب الذكر . (٢) يتقدمون لمصاهرته وطلب يد بناته .
(٣) الهجين : الذى أبوه عربى وأمّه أعجمية .
(٤) اجعلى التيس يواقعها .

ابن عُلقَة وأولاده :

وما يُدريك ما نعتُ الخمر ؟!

● وكان إذا خرج يمتار ^(١) خرج بابنته « الجرباء » معه . فخرج مرة فنزلوا ديرا من أديرة الشام يقال له : دير سعد ، فلما ارتحلوا قال عقيل : قضيت وطرا من دير سعد وربما علا عُرضُ ناطحته الجماجم ^(٢) ثم قال لابنه أجز ياعميس . فقال :

فأصبحن بالمومة يحملن فتية تشاوى من الإدلاج ميل العمائم ^(٣) ثم قال لابنته : يا جرباء أجزى ، فقالت :

كأن الرى أسقامهم صرْخِديَّة عُقاراً تمشت في المطا والقوائم ^(٤)

فقال لها : وما يدريك أنت ما نعت الخمر ؟! ثم سل السيف ونهض إليها ، فاستغاثت بأخيها عميس ، فانتزعه بسهم فأصاب فخذه فبرك ، ومضوا وتركوه ، حتى إذا بلغوا أدنى المياه ، قال لهم : إنا أسقطنا جزوراً لنا فأدركوه ، وخذوا معكم الماء ! ففعلوا ، وإذا عقيل برك وهو يقول :

إن بنى زملوني بالدم من يلق أبطال الرجال يُكَلِّم ^(٥)
ومن يكن درءً به يقوم شينشنة أعرفها من أخزم ^(٦)

(١) الميرة : الطعام ، ويمتار لعياله يجمع لهم الطعام والمونة وفي القرآن : ﴿ وغير أهلنا ﴾ .

(٢) العُرض : السحب تعلقه وتناطحه . وفي القرآن ﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ .

(٣) المومة : الصحراء .. والإدلاج : سير الليل كله أو في آخره .

(٤) الصرخدية : شراب منسوب إلى صرخد ، والعقار : الخمر . والمطا : الظهر . والقوائم :

الأرجل .

(٥) الكَلَم : الجرح .

(٦) في مجمع الأمثال للميداني : كان أخزم عاقاً لأبيه فمات ، فوثب أولاده على جدهم فأدموه

فقال : (إن بنى ضرجوني بالدم شينشنة أعرفها من أخزم) والشينشنة الطبيعة والعادة ، يضرب : في قرب الشبه :

الشنشنة : الطبيعة . وأخزم : فحل كريم وهذا مثل للعرب .

عبد الملك وابنة عبد الرحمن :

والله لا تَزَوِّجَنِي أَبُو الذَّبَاب !

● الشيباني عن عوانة قال : خطب عبد الملك بن مروان ابنة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فأبت أن تتزوجه . وقالت : والله لا تَزَوِّجَنِي أَبُو الذَّبَاب ! .

فتزوجها يحيى بن الحكم . فقال عبد الملك : والله لقد تزوجت أفوه أشوه . فقال يحيى : أما إنها أحببت مني ما كرهت منك . وكان عبد الملك ردىء الفم يدمى فيقع عليه الذباب فسمى أبا الذباب .

★ ★ ★

● أخت أبي سفيان :

إن عقيلاً كان مع الأُخبة !

● وعن العتبي قال : خطب « قرية » ابنة حرب أخت أبي سفيان بن حرب أربعة عشر رجلاً من أهل بدر ، فأبتهم وتزوجت عقيل بن أبي طالب . قالت : إن عقيلاً كان مع الأُخبة يوم قتلوا ، وإن هؤلاء كانوا عليهم ! . ولاحته (١) يوماً فقالت : يا عقيل ؛ أين أخوالى ؟ أين أعمامى ؟ كأن أعناقهم أباريق الفضة ! قال لها إذا دخلت النار ، فخذى على يسارك .

(١) لاحتها : الملاحاة المنازعة .

زياد وسعيد بن العاص في ابنته :

كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى !

● وكتب زياد إلى سعيد بن العاص يخطب إليه ابنته ، وبعث إليه بمال كثير وهدايا ، فلما قرأ الكتاب ، أمر حاجبه بقبض المال والهدايا ، وأن يقسمها بين جلسائه . فقال الحاجب : إنها أكثر من ظنك .

قال سعيد : أنا أكثر منها ! ثم وقع إلى زياد في أسفل كتابه :

﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ ^(١) .

★ ★ ★

الحسن ورجل يزوج ابنته :

زوجها ممن يتقى الله !!

● وقال رجل للحسن : إن لى بنية ، فمن ترى أن أزوجهها ؟ قال :

زوجها ممن يتقى الله ! فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها ! .

★ ★ ★

(١) سورة العلق : ٦ .

عبد الملك (١) وعمر بن عبد العزيز (٢) :

وصلك الله يا أمير المؤمنين !

● وقال عبد الملك بن مروان ، لعمر بن عبد العزيز : قد زوّجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة ، فقال عمر : وصلك الله يا أمير المؤمنين ، فقد كفيت المسألة ، وأجزلت في العطية ! .

★ ★ ★

الحسن يستشار :

اليسار يسار العقل والدين !!

● قيل للحسن : فلان خطب إلينا فلانة . قال : أهو موسر من عقل ودين ؟ قالوا : نعم .
قال : فزوجوه .

★ ★ ★

(١) الخليفة الأهمى (٦٤٦ - ٧١٥) المؤسس الثانى لدولة بنى أمية جلس على العرش سنة ٦٨٥ هـ وعرب الدولة ، وعمم استعمال اللغة العربية فى جميع بلاد الدولة .
(٢) من الخلفاء الأمويين . اشتهر بتقواه . أبطل لعن علىّ على المنابر التى سنّها معاوية قال فيه هرقل ملك الروم عندما بلغه وفاته : إن الأختيار لا ييقون عند الأشرار إلا قليلا .

حيوة بن شريح :

تزوج بعشرة وأبق تسعين !

● قال رجل لحيوة بن شريح : إني أريد أن أتزوج . فماذا ترى ؟ .

قال : كم من المهر ؟ .

قال : مائة .

قال : فلا تفعل ، تزوج بعشرة وأبق تسعين ، فإن وافقتك ربحت التسعين ، وإن لم توافقك تزوجت عشراً ؛ فلا بد في عشرة نسوة من واحدة توافقك ! .

★ ★ ★

هبنقة القيسى وراغب في الزواج :

البكر لك والثيب عليك !

● وقال رجل أردت النكاح فقلت : لأستشيرن أول من يطلع على ثم أعمل برأيه ؛ فكان أول من طلع هبنقة القيسى (١) ، وتحتة قصبية ، فقلت له : أريد النكاح فما تشير به علي ؟ قال :

البكر لك ، والثيب عليك ، وذات الولد لا تقربها ، واحذر جوادى لا ينفحك ! .

★ ★ ★

(١) هبنقة : لقب ذى الودعات يزيد بن ثروان - يضرب به المثل في الحمق ؛ لأنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته ، فسئل فقال : لئلا أضل فسرقتها أخوه في ليلة وتقلدها ، فأصبح هبنقة ورآها في عنقه فقال : أخى أنت أنا فمن أنا ؟ وضرب به المثل في الحمق ! .

مكثّر ومُقِلّ في الزواج :

زلقة من غير ماء !!

● وعن الأصمعي قال : أخبرني رجل من بني العنبر عن رجل من أصحابه ، وكان مُقِلًّا (١) ؛ فخطب إليه مكثّر من مال ، مقل من عقل ، فشاور فيه رجلا يقال له : أبو يزيد ، فقال : لا تفعل ، ولا تزوج إلا عاقلا ديناً ، فإنه إن لم يُكْرَمها لم يظلمها . ثم شاور رجلا آخر يقال له : أبو العلاء ، فقال له : زوجة ؛ فإن ماله لها ، وحمقه على نفسه ... فزوجه فرأى منه ما يكره في نفسه وابنته ، وأنشده فقال :

ألْهَفِي إِذْ عَصَيْتَ أَبَا يَزِيدٍ وَلَهْفِي إِذْ أَطَعْتَ أَبَا الْعَلَاءِ
وَكُنْتُ هَفْوَةً مِنْ غَيْرِ رِيحٍ وَكَانَتْ زَلَقَةً مِنْ غَيْرِ مَاءٍ !!

★ ★ ★

زواج معبد بن خالد :

قالت : أنا أسدة من بني أسد .. فخرجت ولم أَعُدْ !!

● المفضل بن محمد الضبي : قال : أخبرني مسعر بن كدام عن معبد ابن خالد الجدلي قال : خطبت امرأة من بني أسد في زمن زياد - وكان النساء يجلسن لخطابهن - قال : فجئت لأنظر إليها وكان بيني وبينها رواق (٢) ؛ فدعت بجفنة عظيمة من الثريد (٣) ، مكللة باللحم ، فأتت على آخرها ، وألقت العظام نقية ، ثم دعت بشن عظيم مملوءة لبنا ، فشربته حتى أكفأته على وجهه .

(١) مقلا : قليل المال . (٢) الرواق : سقف في مُقَدِّم البيت ، والستار .

(٣) الجفنة : وعاء يفت فيه الخبز ويعد بمرق اللحم والدجاج ليصبح ثريداً .

وقالت : يا جارية ، ارفعى السجف ^(١) ؛ فإذا هي جالسة على جلد أسد ، وإذا شابة جميلة ؛ فقالت : يا عبد الله ، أنا أسدة من بنى أسد ، وعلى جلد أسد ، وهذا طعامي وشرابي ؛ فعلام ترانى ؟ فإن أحببت أن تتقدم فتقدم ، وإن أحببت أن تتأخر فتأخر ! فقلت : أستخير الله فى أمرى وأنظر ! .
قال : فخرجت ولم أعد ! .

★ ★ ★

(١) السجف : الستائر .

الباب الثاني

لطائف من أخبار النساء وطرائف من حياتهن

● قال الشاعر العربي :

والليالي من الزمان حبالى
يلدن كل عجب

● وأعجب العجب ما يرويه « ابن عبد ربه » عن النساء من لطائف وطرائف ، فتعال نستمتع معا ببعض ما تضمنته كتب التراث وجمعه لنا ابن عبد ربه في موسوعته الكبرى « العقد الفريد » وكشفت لنا عنه الأيام والليالي .. !

من أخبار النساء :

وعلى الغايات جر الذبول !

لابن أبى ربيعة فى مقتل زوجة المختار

● لما قتل مصعب بن الزبير ابنة النعمان بن بشير الأنصارية ، زوجة المختار بن أبى عبيد ، أنكر الناس ذلك عليه وأعظموه ؛ لأنه أتى بما نهى رسول الله ﷺ عنه فى نساء المشركين ؛ فقال عمر بن أبى ربيعة :

إن من أعظم الكبائر عندى قتل حسناء غادة عَطْبُول^(١) قُتِلَتْ باطلاً على غير ذنب إن لله درها من قتل كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات^(٢) جر الذبول

★ ★ ★

الخوارج وامرأة أرادوا قتلها :

من يُنشأ فى الحلية !!

● ولما خرجت الخوارج بالأهواز ، أخذوا امرأة فهَمُّوا بقتلها ؛

فقال لهم :

أتقتلون من يُنشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين^(٣) ؟ !

فأمسكوا عنها .

(١) غادة عَطْبُول : الغادة الناعمة . والعطبول : طويلة العنق فى اعتدال وحسن .

(٢) الغايات : جمع غانية وهى التى استغنت بحسنها وجمالها الطبيعى عن الزينة فهى تجر ذيلها

اختيالاً .

(٣) كناية عن المرأة .

جارية لأمية وراغب في زواجها :

أنت أسد فاطلب لنفسك ليوّة !

● قال : وحدثنا بعض أصحابنا أن جارية لأمية بن عبد الله بن خالد ابن أسيد ذات ظرف وجمال ، مرت برجل من بنى سعد ، وكان شجاعا فارسا فلما رآها قال : طوى لمن كانت له امرأة مثلك ! (١) .

ثم إنه أتبعها رسولا يسألها : ألها زوج ؟ ويذكره لها ؛ فقالت للرسول ما حرفته ؟ فأبلغه الرسول قولها ؛ فقال : ارجع إليها ، فقل لها :

وسائلة ما حرفتى ؟ قلت : حرفتى مقارعة الأبطال في كل شارق (٢)
إذا عرّضت لى الخيل يوماً رأيتنى أمام رغيل الخيل أحمى حقائقى (٣)
وأصبر نفسى حين لآخر صابر على ألم البيض الرقاق البوارق (٤) !

فأنشدتها الرسول ما قال ، فقالت له : ارجع إليه ، وقل له : أنت أسد ، فاطلب لنفسك ليوّة ! فلست من نسائك ! وأنشدت هذه الأبيات :

ألا إنما أبغى جواداً بماله كريماً يحياه قليل الصدايق
فتى همه مذكّان خوّد كريّة يعانقها بالليل فوق الثمارق (٥)
ويشربها صبراً كُميتاً مُدامة نداماه فيها كل خرق موافق

(١) طوى : منزلة في الجنة . وأيضاً : الغبطة والسعادة وهو المراد هنا .

(٢) الشارق : الشمس حين تشرق والمقصود في أيامى كلها .

(٣) الحقيقة : ما يجب على الإنسان أن يحميه من مال وعرض ووطن وكرامة وأهل .

(٤) السيوف البتارة .

(٥) الخوّد : الشابة حسن الخلق ، والثمارق جمع غمرقة ؛ الوسادة الصغيرة يتكأ عليها .

المغيرة و غلام حارثي :

لا خير لك فيها !

● وعن الشعبي (١) قال : سمعت المغيرة بن شعبة يقول : ما غلبني أحد قط إلا غلام من بني الحارث بن كعب ، وذلك أنني خطبت امرأة من بني الحارث ، وعندى شاب منهم ، فأصغى إلى فقال : أيها الأمير ، لاخير لك فيها ! قلت : يابن أخى ، وما لها ؟ .

قال : إني رأيت رجلا يقبلها !! .

قال : فبرئت منها ؛ فبلغنى أن الفتى تزوجها ، قلت : ألم تخبرنى أنك رأيت رجلا يقبلها ؟ ! قال : بلى رأيت أبأها يقبلها !! .

أبو سعيد وابن سيرين فى الزواج :

لا تتزوج امرأة تنظر فى يدها

● أبو سعيد قال : صحبت ابن سيرين عشرين سنة فقال لى يوما : يا أبا سعيد ، إن تزوجت فلا تتزوج امرأة تنظر فى يدها ! ولكن تزوج امرأة تنظر فى يدك ! .

ما الحب إلا للحبيب الأول :

بين جارييتين

● يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعى قال : تزوج

(١) الشعبي هو : أبو عامر بن شراحيل علامة الكوفة محدث ومستشار (٦٤٢ - ٧٢٣ هـ) .

رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة ، وكانت جارية الجديدة تمر على باب القديمة فتقول :

ومايستوى الرجلان : رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فُشلت ثم مرت بعد أيام فقالت :

ومايستوى الثوبان : ثوبٌ به البلى وثوبٌ بأيدي البائعين جديد فخرجت إليها جارية القديمة فقالت :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما القلبُ إلا للحبيب الأول كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحينئذ أبدأ لأول منزل

● أعرأى وولى امرأة :

الأصمعى (١) قال : أخبرنى أعرأى فقال : خطب منا رجل مغموز امرأة مغموزة (٢) .

فزوجوه ، فقال رجل لولى المرأة : تعمم لكم فلان فزوجتموه ! فقالوا : ماتعمم لنا حتى تبرقعنا له ! (٣) .

لأعرائية تنصح بنات عمها :

● أبو حاتم عن الأصمعى قال : قالت أعرائية لبنات عم لها : السعيدة منكن من يتزوجها ابن عمها ، فيمهرها (٤) بتيسين ، وكليين ، وعيرين ،

(١) أحد أئمة اللغة الأقدمين من البصريين حفظ لغة البدو ولهجاتها ، وكان معلما للأمين ولولاه لذهبت أكثر دواوين العرب .

(٢) غمز الشيء بيده وبعينه طعنه ، وفى القرآن : ﴿ وإذا مروا بهم يتغامزون ﴾ ورجل مغموز أى مطعون فى كرامته وشرفه . ويقال : ليس فى فلان غميرة . أى مطعن .

(٣) تعمم : لبس العمامة وتستر وراءها ، مدعيا الصلاح ، وتبرقت لبست البرقع رمز التصون والحفاظة .

(٤) يمهرها : يعطيها مهرها وصداقها .

ورحيين ، فينبُ التيسان ، وينهق العيران ^(١) ، وينبح الكلبان ، وتدور
الرَّحيان ، فيعج الوادى ^(٢) ؛ والشقية منكن من يتزوجها الحضرى ،
فيكسوها الحرير ، ويطعمها الخمير ، ويحملها ليلة الزفاف على عود . تعنى :
سرجا .

● الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يشار ^(٣) امرأته ، فقالت لها أخته :
أما والله أيام شرخه ^(٤) ، إذ كان ينكتك كما ينكت العظم عن مخه ،
لقد كنت له تبوعا ، ومنه سموعا ! .
فلما لان منه ما كان شديداً ، وأخلق ^(٥) ما كان جديداً تغيرت له ! أما
والله لئن تغير منه البعض لقد تغير منك الكل .

لأعرابى فى زوجته :

● وقيل لأعرابى : كيف حبك لزوجتك ؟ قال : ربما كنت معها على
الفراش ، فمدت يدها إلى صدرى ، فوددت - والله - أن آجره خرت من
السقف فقذت ^(٦) يدها وضلعت من أضلاع صدرى ! ثم أنشأ يقول :
لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتي ولكن قرين السوء باق مُعَمَّر
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلا وعذبا فيه نكير ومُنْكَر
لآخر فى مثله :

● وتزوج أعرابى امرأة فطالت صحبتها له ، فتغير لها وقد طعنت فى

(١) العير : الحمار وحشيا كان أم أهليا .

(٢) يعج الوادى : يمتلئ بالأصوات والحركة والحياة ؛ حيث يختلط نيب النيسين ، بنهق
العيرين ، بصوت الرَّحَّيْن ، بنباح الكلبين فتؤلف جميعها موسيقى حبيبة إلى قلبها .

(٣) يُشار : يخاصم .

(٤) شرخ الشباب : أوله ونضارته .

(٥) أخلق : بلى وقدم .

(٦) الآجر : الطوب الذى يبنى به وهو فارسى معرب . والآجر غير اللَّبْن . فهو طوب عولج

بالنار فاحترق بعد أن كان لبنا ، وقذت : قطعت ومزقت .

السن ، فقالت له : ألم تكن ترضى إذا غضبت ، وتُعْتَبُ (١) إذا عتبت ،
وتشفق إذا أبيت ! فما بالك الآن ؟ .

قال : ذهب الذى كان يصلح بيننا ! .

الأصمعى وأعرأى طلق زوجته :

الأصمعى قال : كنت أختلف (٢) إلى أعرأى أقتبس منه الغريب (٣) ،
فكنت إذا استأذنت عليه يقول : يا أمانة ، إيذنى لى . فتقول : ادخل .
فاستأذنت عليه مراراً فلم اسمعه يذكر أمانة ؛ فقلت له : يرحمك الله ،
ما أسمعك تذكر أمانة منذ حين ! قال : فوجم وجمة (٤) ندمت على ما كان
منى ؛ ثم قال :

ظننت أمانة بالطلاق	ونجوت من غُلِّ الوثاق (٥)
بانت فلم يألم لها قد	بى ولم تدمع مآق (٦)
ودواء مالا تشتت	تهيه النفس تعجيل الفراق
والعيش ليس بطيب بـ	بين اثنين فى غير اتفاق
لو لم أرُخ بفراقها	لأرحت نفسى بالإباق (٧)

لأعرأى طلق امرأته :

● الأصمعى قال : تزوج أعرأى امرأة فآذته ، وافتدى منها بحمار

(١) أعتبه : سره بعد ما ساءه ، واسترضاه فأرضاه .

(٢) أختلف إليه : أنزل عليه زائراً بين وقت وآخر .

(٣) غريب اللغة ؛ فقد كان الأصمعى من طلابه والباحثين عن الدرر فهو أحد أئمة اللغة
الأقدمين من البصريين حفظ لغة البدو ولهجاتها . عهد إليه هارون الرشيد بتعليم الأمين له عدة مؤلفات ،
ولولاه لذهبت أكثر دواوين العرب .

(٤) وجم وجوما اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام .

(٥) ظعن : سار ورحل ، والظعينة المرأة ما دامت فى الهودج . والغُل القيد فى الرقبة ، وأوثقه
فى الوثاق شده .

(٦) بانت طلقت أو بعدت . والمآق مفرد ما مؤق العين : طرفها مما يلى الأنف .

(٧) الإباق : الهرب .

وجبة (١) ، فقدم عليه ابن عم لها من البادية فسأله عنها ! فقال :

حَطَّطُ إِلَى الشَّيْطَانِ لِلْحَيْنِ بَنَتْهُ
فَأَدْخَلَهَا مِنْ شِقْوَتِي فِي جِبَالِيَا
فَأَنْقَذَنِي مِنْهَا جِمَارِي وَجُبَّتِي
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا جُبَّتِي وَجِمَارِيَا !!

لأعراني بين يدي زياد :

● الأصمعي قال : خاصم أعراني امرأته إلى زياد ، فشدد على الأعراني ؛ فقال : أصلح الله الأمير ؛ إن خير عمر الرجل آخره ؛ يذهب جهله ، ويثوب حلمه ، ويجمع رأيه .

وإن شر عُمر المرأة آخره : يسوء خلقها ، ويحد لسانها ، وتعقم رحمها ! قال له : صدقت ، اسفع بيدها (٢) .

لبعض الأعراب في مثله :

● قال : وذكرت أعرابية زوجها وكان شيخا ! فقالت :

ذهب ذَفْرُهُ ، وبقي بَخْرُهُ ، وفتر (....) (٣) .

● الأصمعي قال : كان أعراني قبيح طويل خطب امرأة ؛ فقبل له : أى ضرب (٤) تريدها ؟ .

(١) الجبة : ثوب واسع يلبس فوق الثياب ، ويطلق على ما يرتديه رجال الدين جبة .

(٢) سفع بيده ، وسفع بناصيته أخذ بها وفي القرآن : ﴿ لنسفن بالناصية ﴾ .

(٣) الذفر : شدة ذكاء الرخ طيبة كانت أم نتنة ، وهى تقصد ذهاب الرخ الطيبة ، أما الكلمة

التي بين القوسين فهى تعنى الضعف الجنسي .

(٤) أى نوع أو صنف من النساء ؟ .

قال : أريدها قصيرة جميلة ، فيأتى ولدها فى جمالها وطولى ، فتزوجها على تلك الصفة ، فجاء ولدها فى قصرها وقبحه ! .

● قدم أعرابى من طيىء فاحتلب لبناً ثم قعد مع زوجته ينتجعان (١) ، فقالت له : من أنعم عيشا نحن أم بنو مروان ؟ .

قال لها : بنو مروان أطيب منا طعاما ، إلا أنا أردأ منهم كسوة ، وهم أظهر منا نهاراً ، إلا أنا نحن أظهر منهم ليلاً ! .

لا تفعلى ؛ فإنه وُكَلَّةٌ تُكَلَّةٌ !!

● الأصمعى قال : خاصم أعرابى امرأته إلى السلطان ف قيل له : ما صنعت ؟ قال : خيرا ، كبتها الله لوجهها ، ولو أمرنى إلى السجن ! .

● الأصمعى قال : استشارت أعرابية فى رجل تتزوجه ، ف قيل لها : لا تفعلى فإنه وكلة تكلة ، يأكل خله [أى يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلل] .

قال أبو حاتم : هو الخلالة .

ووكلةٌ تُكَلَّةٌ : أى يكل أمره إلى الناس ويتكل عليهم .

يوم عتاب .. ويوم اكتساب !!

● العتبي قال : خطب إلى أعرابى رجل موسر إحدى ابنتيه ، وكان للخطاب امرأة ، فقالت الكبرى : لا أريده ! قال أبوها : ولم ؟ قالت : يوم عتاب ، ويوم اكتساب ، يبلى فيما بين ذلك الشباب ! .

قالت الصغرى : زوجنيه ! قال لها : على ما سمعت من أختك ؟ .

(١) ينتجعان : ينعمان بشربه هنيئا .

قالت : نعم ، يوم تزين ، ويوم تسمن ، وقد تقرر فيما بين ذلك
الأعين .

لأعرابية ترقص طفلا :

الأصمعي قال : رأيت امرأة ترقص طفلا لها وتقول :
أحبه حب الشحيح ماله قد كان ذاق الفقر ثم ناله
إذا أراد بذله بدا له (١)

أقوال وتعليقات وطرائف

أقوال :

- ذكر عند مالك بن أنس (الباه) (٢) ، فقال :
هو نور وجهك ، وخ ساقيك ! فأقل منه أو أكثر .
- وقال معاوية :
ما رأيت نهما في النساء إلا عرفت ذلك في وجهه !
- وقال كسرى :
كنت أراي إذا كبرت أنهن لا يُحِبِّنَنِي ؛ فإذا أنا لا أحِبُّهُن ! .
وأنشد الرياشي لأعرابي من بني أسد :
تمنيت لو عاد شرخُ الشباب ومن ذا على الدهر يُعْطِي المني ؟
وكنتُ مكيناً لدى الغانيات فلا شيء عندي لها ممكنا
فأما الحسانُ فيأيننني وأما القباح فآبى أنا

(١) بدا له : أى خطر له فيه رأى .

(٢) الباءة : النكاح والتزوج ، ويقال أيضا ؛ الباهة والباه ، وقيل هو : كناية عن الجماع .

- ودخل عيسى بن موسى على جارية ، فلم يقدر على شيء فقال :
النفس تطمح والأسباب عاجزةٌ والنفسُ تهلكُ بين اليأس والطمع
- وقالوا : من قل جماعة فهو أصح بدنا ، وأطول عمرا ، ويعتبرون ذلك بذكر الحيوان ، وذلك أنه ليس في الحيوان أطول عمرا من البغل ، ولا أقل عمرا من العصافير ، وهي أكثر سفادا (١) .

تعليقات :

ما أحسن والله ما أقبل !!

● خاطب يزكيه وسيط :

أبو الحسن المدائني قال : خطب رجل من بنى كلاب امرأة ، فقالت : أمها : دعني حتى أسأل عنك ، فانصرف الرجل ، فسأل عن أكرم الحى عليها ؛ فدلَّ على شيخ منهم كان يحسن التوسط في الأمر ، فأتاه يسأله أن يحسن عليه الثناء ، وانتسب له فعرفه .

ثم إن العجوز غدت عليه فسألته عن الرجل ، فقال : أنا أعرف الناس به ، فقالت : فكيف لسانه ؟ قال : مدرُّه (٢) قومه وخطيبهم . قالت : فكيف شجاعته ؟ قال : منيع الجار (٣) ، حامى الذمار ! . قالت : فكيف حماسه ؟ قال : ثمال قومه (٤) وريبعهم .

وأقبل الفتى ، فقال الشيخ : ما أحسن والله ما أقبل ! ما انثنى

(١) سفادا : نزوا وجماعا .

(٢) المدرُّه : كمنبر السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال .

(٣) جاره في منعه من الأعداء به ، والذمار بالكسر كل ما يجب على المرء حفظه وحمايته .

(٤) ثمال : على وزن كتاب : الغيث الذي يقوم بأمر قومه .

ولا انحنى . ودنا الفتى فسلم ، فقال : ما أحسن والله ما سلم ! ماجأر (١)
ولا اناحر .

ثم جلس . فقال : ما أحسن والله ما جلس ! مادنا ولا نأى (٢) .
وذهب الفتى ليتحرك فضرط ، فقال الشيخ ما أحسن والله ما ضرط ،
ما أطنها (٣) ولا أغنها ، ولا بربرها ولا قررها (٤) .

ونفض الفتى خجلا ، فقال : ما أحسن والله ما نهض ما انفتل (٥)
ولا انخذل وأسرع الفتى ، فقال : ما أحسن والله ما خطا ما ازور (٦)
ولا اقطوطى .

فقال العجوز : حسبك يا هذا ، وجه إليه من يرده فوالله لو سلح (٧)
في ثيابه لزوجناه .

الزبير بن بكار :

أخذ من دنا منى !

● قال : جاءت امرأة إلى ابن الزبير تستعدي على زوجها ، وترغم أنه
يصيب جاريتها ، فأمر به فأحضر ، فسأله عما ادعت ، فقال :

هى سوداء وجاريتها سوداء ، وفى بصرى ضعف ويضرب الليل
برواقه ، فأنا أخذ من دنا منى .

(١) جأر : رفع صوته ، وهو يقصد أنه كان معتدلا فى صوته وسلامه .

(٢) لم يقترب ، ولم يبتعد ، بل جلس مجلسا وسطا .

(٣) الطنين : صوت الذباب والطمست ، وأطن ساقه قطعها ، وأغن الذباب صوت وهو يريد أنه
تحكم فى ضراطه فجاء على صورة جميلة .

(٤) البريرة : صوت المعز وكثرة الصياح والجلبة ؛ والقرقرة : هدير البعير والضحك إذا استغرب
فيه ورجع .

(٥) انفتل : وتفتل ووجهه عنهم : صرفه . وانخذل : أحس بالخذلان والكسوف .

(٦) ازور : مال وانحرف ، واقطوطى ثقل فى مشيه ، وتقصد أنه كان مترنا فى مشيته وكأن
شيئا لم يكن .

(٧) سلح : تبرز .

شهادة أعرابي :

أرأيته ؟!!

• واستشهد أعرابي على رجل وامرأة زنيا ، فقبل له : أرأيته داخلا وخارجا كالمرود في المكحلة ؟ فقال : والله لو كنت جلدة استها ما رأيته .

من طرائف الأعراب :

ما ترى ياربنا فيما ترى ؟!

• الأصمعي قال : أصابت الأعراب مجاعة ، فمررت برجل منهم قاعد مع زوجته بقارعة الطريق ، وهو يقول :

يا رب إني قاعد كما ترى
وزوجتي قاعدة كما ترى
والبطن مني جائع كما ترى
فما ترى يا ربنا فيما ترى ؟!

ياليتني كنت صيبا مرضعاً !!

• ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة ، تسمى ذلفاء ، ومعها صبي يبكي ، وكلما بكى قبلته فأنشأ يقول :

يا ليتني كنت صيبا مرضعاً
تحملني الذلفاء حولا أكتعا (١)
إذا بكيت قبلتني أربعا
فلا أزال الدهر أبكي أجمعا

(١) حولا كاملا .

الباب الثالث

النساء المنجيات

وأبناء السرارى والإماء

قال شاعرنا :

نعم الإله على العباد كثيرة
وأجلهن نجاة الأولاد

فأى النساء أنجب ؟

وأى الأبناء أفضل ؟

أولاد الحرائر أم أبناء السرارى والإماء ؟

وماذا قيل فى المهجناء والأدعياء ؟

ذاك ما يحدثنا عنه الفقيه ابن عبد ربه .

بين يدي هذا الباب للمحقق

السراى والإماء

قد تتراءى لعيوننا أكثر من علامات استفهام حول السراى والإماء ! .

وربما يقول قائل : أليس فى تعدد الزوجات ما فيه الكفاية ؟ .

ويقول الأستاذ العقاد فى كتابه « المرأة فى القرآن » :

« لقد شرع الإسلام العتق ولم يشرع الرق ، فلم يكن للعتق أثر فى شرائع الحضارات التى سبقت ظهور الإسلام .

أما الرق فقد كان معروفاً معترفاً به فى كل حضارة قديمة .

فلما ظهر الإسلام جاء بالعتق ولم يحىء بالرق وسبق التطور الدولى إلى تقرير فك الأسرى عند الأعداء ، وتقرير المن بتسريح الأسرى عنده .

والنساء المملوكات أقدم فى التاريخ من الرجال المملوكين . وتعتبر قضية الإماء والسراى جزءاً من قضية الرق على عمومته لولا أن المرأة المستعبدة تنفرد بمشكلاتها .. فإن كان العتق برا كبيراً بالإنسان الذى سلبت حرته وهانت على الناس كرامته فإن العتق لا يؤول بالجارية إلى حرية تغبط عليها ، وهى بلا عائل ولا زوج وربما نقلها العتق من العبودية لسيد واحد إلى العبودية لكل سيد تأوى إليه .

وقد نظرت شريعة الإسلام إلى الفارق بين الرجل والمرأة فى أمر العتق ، فعملت على نقل النساء المملوكات من رابطة العبودية إلى رابطة الزوجية ، وأمرت المسلمين بتزويجهن والبر بهن :

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [سورة النور : ٣٢] .

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [٣ : سورة النساء] .

وفضلت الزواج بالجارية المملوكة على الزواج بسليمة البيوت من المشركات ولو حسن مرآها في العين :

﴿ وَلَأَمَّةٌ مَوْمَنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ .

[سورة البقرة : ٢٢١]

وفرضت لهن حقوقا كما فرضت للأزواج :

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ .

[سورة الأحزاب : ٥٠]

وجعلت أصحاب المال ومن يملكونهم سواء فيما عندهم من رزق الله :

﴿ فَمَا لِلَّذِينَ فَضُلُوا بِرَأْدِي رَزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ .

[سورة النحل : ٧١]

وحرص الإسلام على البر بهن في عواطفهن وإحساسهن كما حرص على البر بهن في أرزاقهن ومعيشتهن ، فكان عليه الصلاة والسلام ينهى المسلم أن يقول : « عبدى وأمتى » وإنما يقول : « فتاى وفتاى » كما يتحدث عن أبنائه .

وكانت وصيته بالصلاة والرفيق من آخر وصاياه ﷺ قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

وارتفع الإسلام باتباعه إلى منزلة من الإنصاف للرفيق والرفق به لم تبلغها الإنسانية بآدابها وقوانينها ودرساتها وأنظمتها بعد أكثر من ألف سنة .

ومما له دلالة في هذا الصدد أن ارتفاع المهانة عن الممالك في العالم الإسلامي مكنهم غير مرة من إقامة الدول وارتقاء المناصب وولاية الوزارة والقيادة ، ومصاهرة البيوتات من أصحاب الملك والإمارة .
وإليك ما جاء في العقد الفريد عن السراري والإماء :

المنجبات من النساء :

أنجب النساء

- قالوا : أنجب النساء الفُرُوك (١) ؛ وذلك أن الرجل يغلبها على الشبق ، لزهدها في الرجل .
- أبو حاتم عن الأصمعي قال : النجبية التي تنزع بالولد إلى أكرم العرقين .
- وقال عمر بن الخطاب : يا بني السائب ، إنكم قد أضويتم ، (٢)
فانكحوا في النزائع .
- وقالت العرب : بنات العم أصبر ، والغرائب أنجب .
- والعرب تقول : اغتربوا لا تُضَوُّوا : أى انكحوا في الغرائب ، فإن القرائب يُضَوِّينَ البنين .
- وقالوا : إذا أردت أن يَصْلُبَ ولدُ المرأة ، فأغضبها ثم قع عليها ؛ وكذلك الفرعة ! .

(١) الفُرُوك : الزاهدة في الرجال ، ولا تحبهن ، والمبغضة لهن .
(٢) الضوى : الهزال ، ودقة العظم وقلة اللحم ، وأضوى دق وأضعف المرأة ولدت ولدا

ضاويا .

وقال الشاعر :

مِمَّنْ حَمَلْنَ وَهَنَّ عَوَاقِدَ حُبِّكَ النَّطَاقَ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلٍ
حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْعُودَةٍ كُرْهَا وَعَقَدَ نَطَاقَهَا لَمْ يُحَلَّلِ

قالت أم تأبط شرا :

والله ما حملته ترضعا ولا وضعا ، ولا وضعت يتيما ولا أرضعته غيلا ،
ولا أئمته مئقا (١) .

ومن أمثال العرب :

أنا مئق ، وأنت تتق ، فمتى نتفق ؟ (٢) .

إبراهيم عليه السلام وهاجر

• تسرى الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بهاجر ، فولدت له
إسماعيل عليه السلام .

محمد عليه الصلاة والسلام ومارية ثم صفية

• وتسرى النبي عليه الصلاة والسلام مارية القبطية ، فولدت له
إبراهيم .

أبى إسحاق وجدى إبراهيم !

• ولما صارت إليه صفية بنت حُيٍّ ، كان أزواجه يعيرنها باليهودية ،
فشكت ذلك إليه ، فقال لها : أما إنك لو شئت لقلت - فصدقت

(١) قال فى القاموس المحيط : وضعت المرأة حملها وُضعا ، وُضْعًا بضمهما ، وتفتح الأولى ولدته . ووُضْعًا وُضْعًا ، وُضْعًا بضمتين : حملت فى آخر طهرها فى مقبل الحيضة . ووضعت يتيما أى وضعت منكسا ، تخرج رجلاه قبل رأسه . وأرضعته غيلا ، أى لبنا فاسدا ، وذلك عندما تُرضع وهى حامل . وأئمته مئقا : أى غاضبا مغتاظا .

(٢) الملق : المغتاض الباكى والثَّيق : السريع إلى الشر الغضوب . مما يدل على اختلافهما بحيث لا يتفقان ، وفى النسخة المحققة . نتق : أى الذى لا يحتمل شيئا .

وَصُدِّقَتْ - : أَيْ إِسْحَاقَ ، وَجَدَى إِبْرَاهِيمَ ، وَعَمَى إِسْمَاعِيلَ ، وَأَخَى
يُوسُفَ .

هشام وزيد بن علي :

لا يعلم الغيب إلا الله

● ودخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام :
بلغني أنك تحدث نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها ؛ لأنك ابن أمة ! .
فقال له : أما قولك : إني أُحدِّث نفسي بالخلافة ، فلا يعلم الغيب
إلا الله .

وأما قولك : إني ابن أمة ، فإسماعيل ابن أمة ، أخرج الله من صُلبه خير
البشر محمداً ﷺ ، وإسحاق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة
والخنزير ! ⑤

الرجبة في السراى (٢) :

أبناء الإمام يتفوقون !

● قال الأصمعي : وكان أكثر أهل المدينة يكرهون الإمام ، حتى نشأ
منهم عليُّ بنُ الحسين ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وسالم بن عبد الله بن
عمر ، ففاقوا أهل المدينة فقها وعلماً وورعاً ، فرغب الناس في السراى .

★ ★ ★

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ من لعنه الله و غضب عليه وجعل منهم القردة و الخنازير ﴾

[المائدة : ٦] .

(٢) السراى : جمع سُرَّة . وهى الأمة التى بوأتها بيتا منسوبة إلى السر بالكسر للجماع

عبد الملك وابن الحسين في جارية تزوجها :

لا عار على مسلم !

● وتزوج علي بن الحسين جارية له ، وأعتقها ، فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه يؤنبه ، فكتب إليه علي : إن الله رفع بالإسلام الخسيصة ، وأتم به النقيصة ، وأكرم به من اللؤم ؛ فلا عار على مسلم .
وهذا رسول الله ﷺ قد تزوج أمته ، وامرأة عبده ! .
فقال عبد الملك : إن علي بن الحسين يشرف من حيث يتضع الناس .

★ ★ ★

أقوال وتجارب :

عجبي !

● وقال بعضهم : عجبت لمن لبس القصير كيف يلبس الطويل ؟
ولمن أحفى شاربه كيف أعفاه ؟ (١) وعجبا لمن عرف الإماء كيف يقدم على الحرائر .

وقال الشاعر :

أمهات القوم أوعية

لا تشتمن امرأة في أن تكون له أم من الروم أو سوداء عجماء
فإنما أمهات القوم أوعية مستودعات ، وللأحساب آباء (٢)

★ ★ ★

(١) أحفى شاربه حلقه .. وأعفاه : تركه .

(٢) ينسب الأبناء إلى الآباء ويفخرون بحسبهم ، أما المرأة فهي مجرد وعاء .

وقالوا :

شتان ما بينهما !

● الأمة تشتري بالعين ، وترد بالعيب ، والحرّة غُلّ (١) في عنق من صارت إليه !! .

الهجناء (٢)

للعرب والفرس :

أسماء ومسميات

العرب تسمى العجمي إذا أسلم : المسلماني ؛ ومنه يقال : مُسألة السّواد .

والهجين عندهم : الذي أبوه عربي ، وأمه أعجمية .

والمذرّع : الذي أمه عربية ، وأبوه أعجمي .

وقال الفرزدق :

إذا باهلي أنجبت حظليّة له ولداً منها ؛ فذاك المذرّع

والعجمي : النّصراني ونحوه ، وإن كان فصيحاً .

والأعجمي : الأخرس اللسان ، وإن كان مسلماً .

(١) الغل : القيد . والجمع أغلال .

(٢) الهجناء : جمع هجين وهو العربي الذي ولد من أمه . أو من أبوه خير من أمه - القاموس

المحيط .

ومنه قيل : زياد الأعجم ؛ وكان في لسانه لُكنة .

والفرس تسمى الهجين : دوشن ، والعبد : واشي ونجاش ، ومن تزوج أمة : نفاش ، وهو الذى يكون العبد دونه ، وسمى أيضا : بوركان .

والعرب تسمى العبد الذى لا يخدم إلا مادامت عليه عين مولاه : عبد العين .

وكان العرب في الجاهلية لا تورث الهجين .

وكانت الفرس تطرح الهجين ولا تعده (١) ، ولو وجدوا أماً أمة على رأس ثلاثين أماً ، ما أفلح ولدها عندهم ولا كان آزاد ، ولا كان بيده مزاد .
[والآزاد عندهم : الحر ، والمزاد : الریحان] .

★ ★ ★

وقال ابن الزبير لعبد الرحمن بن أم الحكم :

إذا قيل له من أبوك ؟ قال : أمى الفرس !

تبغلت لما أن أتيت بلادهم وفى أرضنا أنت الهمامُ القلمسُ (٢)
ألست ببغل أمُّه عريضة أبوه حمار أدبر الظهر يُنخسُ (٣)
وشبه المذرع بالبغل ؛ إذا قيل له من أبوك ؟ قال : أمى الفرس ! .

(١) أى تطرحه من حسابها ، ولا تعده ممن يتكاثر بهم ويتفاخر .

(٢) القلمس : السيد العظيم . وتبغل : صار بغلا .

(٣) ينخس بالمتخاس لينشط ، والكريم من الحيوانات من ينشط بنفسه .

مما احتج به الهجناء :

سيف أليك زوجه !

● وما احتج به الهجناء : أن النبي ﷺ زوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب من المقداد بن الأسود .

وزوج خالدة بنت أبي لهب من عثمان بن أبي العاص الثقفي ؛ وبذلك احتج عبد الله بن جعفر ، إذ زوج ابنته زينب من الحجاج بن يوسف ، فعيه الوليد بن عبد الملك ، فقال عبد الله بن جعفر : سيف أليك زوجه ! والله ما فديت بها إلا خيط رقتي .

وأخرى أن النبي ﷺ : قد زوج ضباعة من المقداد ، وخالدة من عثمان بن أبي العاص ، ففيه قدوة وأسوة .

● وزوج أبو سفيان أم الحكم بالطائف في ثقيف .

● وقال لهدم الكاتب في عبد الله بن الأهم ، وسأله فحرمه (١) :

وما بنو الأهم إلا كالرحم لا شيء إلا أنهم لحم ودم
جاءت به جذام من أرض العجم أهتم سلاح (٢) على ظهر القدم
مقابل في اللؤم من خال وعم

بنو أمية وأولاد الإمام (٣) :

● وكانت بنو أمية لا تستخلف بنى الإمام ، وقالوا : لا تصلح لهم العرب .

(١) أى لم يعطه .

(٢) السلاح من الطائر كالنقوط من الإنسان .

(٣) الإمام : جمع أمة ، وهى الجارية المستركة .

لايستويان !!

● زياد بن يحيى قال :

حدثنا جبلة بن عبد الملك : قالوا : سابق عبد الملك بن سليمان
ومسلمة ، فسبق سليمان مسلمة ، فقال عبد الملك :

ألم أنهكم أن تحملوا هجئكم على خيلكم يوم الرهان فتدرك (١)؟
وما يستوى المرءان هذا ابن حرة وهذا ابن أخرى ظهرها مُتشرك
وتضعف عضداه ، ويقصر سوطه وتقصر رجلاه ؛ فلا يتحرك
وأدركه خالاته فترعنه ألا إن عرق السوء لأبد يُدرك

ثم أقبل عبد الملك على مصقلة بن هبيرة الشيباني ، فقال :

أتدري من يقول هذا ؟ قال : لا أدري . قال : يقول أخوك الشنّي .

قال مسلمة : يأمر المؤمنين ، ما هكذا قال حاتم الطائي . قال عبد
الملك : وماذا قال حاتم الطائي ؟ فقال مسلمة : قال حاتم :

وما أنكحونا طائعين بناتهم ولكن خطبناها بأسيا فقسرا
فما زادها فينا السباء مذلة ولا كلفت خبزا ، ولا طبخت قدرا
ولكن خلطناها بخير نسائنا فجات بهم بيضا وجوههم زهرا
وكائن ترى فينا من ابن سبية إذا لقي الأبطال يطعنهم شرا
ويأخذ رايات الطعان بكفه فيوردها بيضا ، ويصدرها حمرا (٢)
أغر إذا أغبر اللثام رأيته إذا ما سرى ليل الدجى قمرا بدرا (٣)

(١) يلحق بها الأعداء ويدركونها لأن راكبيها ليسوا فرسانا ، فالفرسية وقف على العرب
الخلص .

(٢) يوردها ويصدرها .. كانت العرب تورد الإبل على الماء وتسوقها لتشرب ، ثم يصدرونها
عائدين بها بعد الورود . ويقصد أنه يحمل الرايات ويقبل بها على المعارك ثم يعود بها ظافرة بعد معارك
منتصرة .

(٣) أغر : أبيض يتراءى النور من جبهته إذا ثار غبار المعركة فغطى لثامه ، وكأنا هو القمر
في ظلام الليل .

فقال عبد الملك كالمستحي :
وما شَرُّ الثلاثة أُمِّ عمرو بصاحبك الذي لاتصبحينا (١)

★ ★ ★

بنو أمية في أولاد الأمهات :

لماذا ؟!

● قال الأصمعي : كانت بنو أمية لاتبايع لبني أمهات الأولاد ؛ فكان الناس يرون أن ذلك لاستهانة بهم ، ولم يكن لذلك .

ولكن لما كانوا يرون أن زوال ملكهم على يد ابن أم ولد ؛ فلما ولي الناقص ظن الناس أنه الذي يذهب ملك بني أمية على يديه - وكانت أمه بنت يزيدجرد بن كسرى - فلم يلبث إلا سبعة أشهر حتى مات ؛ ووثب مكانه مروان بن محمد - وأمه كردية - فكانت الرواية عليه .

ولم يكره لعبد الملك ابن أسد رأيا ، ولا أذكى عقلا ، ولا أشجع قلبا ، ولا أسمح نفسا ؛ ولا أسخى كفا من مسلمة ؛ وإنما تركوه لهذا المعنى .

(١) من معلقة عمرو بن كلثوم وقيله :

صَدَّذْتُ الكَأْسَ عَنَّا أُمُّ عمرو وكان الكأسُ مجراها اليمين

وبعضهم يروى هذين البيتين لعمرو بن أخت جذيمة الأبرش ، وذلك لما وجدته مالك وعقيل في البرية وكانا يشريان ، وأم عمرو هذه المذكورة تصد عنه الكأس ، فلما قال هذا الشعر سقياه ، وحمله إلى خاله جذيمة . ولهما حديث . وهذا البيت من شواهد سيبويه على أن اليمين نصب على الظرفية . كما جاء في شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي .

شيء عن يحيى بن أبي حفصة :

كان يهوديا فأسلم .

● وكان يحيى بن أبي حفصة أخو مروان بن أبي حفصة يهوديا ، أسلم على يد عثمان بن عفان فكثر ماله ، فتزوج خولة بنت مقاتل بن قيس بن عاصم ، ونقدها خمسين ألفا .

ويقول فيه القلائخ :

نبئت خولة قالت حين أنكحها :
أنكحت عبيدين ترجو فضل مالهما
لله در جياد أنت سائسها
لطالما كنت - منك العار - أنتظر
في فيك - ممارجوت - التراب والحجر
برذنتها (١) وبها التحجيل والغرر

فقال مقاتل يرد عليه :

وما تركت خمسون ألفاً لقائل
فإن قلت زوجت مولى فقد مضت
ويقال : إن غيره قال ذلك .
عليك - فلا تحفل - مقالة لائم
به سنة قبلى وحب الدراهم

★ ★ ★

(١) حولتها إلى برازين بعد أن كانت جيادا كريمة محجلة تبدو غرتها . والبرزون الدابة . والبرزون التركي من الخيل وهو خلاف العراب - المصباح المنير .

الأدعياء

زياد بن عبيد :

. أخاف هذا الجالس على المنبر !!

● أول دَعِيٍّ (١) كان في الإسلام واشتهر زياد بن عبيد ، دعى معاوية ، وكان من قصته أنه : وجهه بعض عمال عمر بن الخطاب رضى الله عنه على العراق إلى عمر بفتح كان ، فلما قدم وأخبر عمر بالفتح في أحسن بيان وأفصح لسان ، قال له عمر : أتقدر على مثل هذا الكلام في جماعة الناس على المنبر ؟ . قال : نعم ، وعلى أحسن منه ، وأنا لك أهيب ! .

فأمر عمر بالصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، ثم قال لزياد : قم فاخطب وقص على الناس ما فتح الله على إخوانهم المسلمين . ففعل وأحسن وجوّد ، وعند أصل المنبر عليّ بن أبي طالب ، وأبو سفيان بن حرب . فقال أبو سفيان لعلّ : أيعجبك ما سمعت من هذا الفتى ؟ قال : نعم . قال : أما إنّه ابن عمك ! قال : فكيف ذلك ؟ قال : أنا قدفته في رحم أمه سمية ! قال : فما يمنعك أن تدّعيه ؟ قال : أخاف هذا الجالس على المنبر - يعنى عمر - أن يفسد على إهائى . فلما وُلّي معاوية استلحقه بهذا الحديث ، وأقام له شهوداً عليه ؛ فلما شهد الشهود ، قام زياد على أعقابهم خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هذا أمر لم أشهد أوّله ؛ ولا علم لى بآخره ؛ وقد قال أمير المؤمنين ما بلغكم ، وشهد الشهود بما قد سمعتم ، والحمد لله الذى رفع منا ما وضع الناس ، وحفظ ما ضيعوا ؛ فأما عبيد ، فإنما هو والد مبرور ، أو ربيب مشكور . ثم جلس .

(١) الدعيّ : من ينسب إلى غير أبيه ، وكان العرب يتبنون من يرغبون في إلحاقهم بنسبهم ، فجاء القرآن ، وأبطل التبنى ، وقال : ﴿ ادعوهم لأبائهم ﴾ .

فقال فيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

ألا أبلغ معاوية بن حرب فقد ضاقت بما يأتي اليدان
أتغضب أن يُقال : أبوك عَفٌّ وترضى أن يقال : أبوك زان ؟
وأشهد أن قُربك من زيادٍ كقُرب الفيل من وَلَدِ الأتانِ (١)
وقال زياد :

ما هجيتُ بيت قط أشد على من قول يزيد بن مفرغ الحميري :
فكر ففى ذاك إن فكرت معتبرُ هل نلتَ مكرمةً إلا بتأثير ؟
عاشت سمية ما عاشت وما علمت أن ابنها من قريش في الجماهير
سبحان من ملك عباد بقدرته لا يدفع الناسُ محتوم المقادير
وكان ولد سمية : زياداً ، وأبا بكرة ، ونافعاً ، فكان زياد ينسب في قريش ،
وأبو بكرة في العرب ، ونافع في الموالي ؛ فقال فيهم يزيد بن مفرغ :

إن زياداً ونافعاً وأبا بكرة عندي من أعجب العجب
إن رجالاً ثلاثةً خُلِقُوا من رجم أنثى مخالفي النسب
ذا قُرشي فيما يقول ، وذا مولى ، وهذا ابن أمه عري !

★ ★ ★

● وقال بعض العراقيين في أبي مسهر الكاتب :

حمارٌ في الكتابة يدعمها كدعوى آل حرب في زياد
فدع عنك الكتابة لست منها ولو غرقت ثوبك بالمداد (٢)

★ ★ ★

(١) الأتان : أنثى الحمار .

(٢) المداد : ما يكتب به وقد جاء في الكتاب العزيز : ﴿ قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جفنا بمنزله مدداً ﴾ .

● وقال آخر في دَعَى :
لَعِينُ يورثُ الأبناءَ لعناً ويططخُ كل ذى نسبٍ صحيح

★ ★ ★

يا حَرَسَنِي خذ هذا الحجر ..!

● عبد الله بن حجاج :
ولما طالت خصومة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، ونصر بن حجاج عند معاوية في عبد الله بن حجاج - مولى خالد بن الوليد - أمر معاوية حاجبه أن يؤخر أمرهما حتى يحتفل مجلسه ، فجلس معاوية وقد ترفع بمطرف خز أخضر ، وأمر بحجر فأدنى منه ، وألقى عليه طرف المطرف ، ثم أذن لهما وقد احتفل المجلس ، فقال نصر بن حجاج : أخى وابن أوى ، عهد إلى أنه منه .
وقال عبد الرحمن : مولاي وابن عبد أوى وأمته ، ولد على فراشه . فقال معاوية : يا حرسنى ، خذ هذا الحجر - وكشف عنه - فادفعه إلى نصر بن حجاج . وقال : يانصر ، هذا مالك في حكم رسول الله ﷺ ؛ فإنه قال : « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » فقال نصر : أفلا أجريت هذا الحكم في زياد يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذاك حكم معاوية ، وهذا حكم رسول الله ﷺ .

● وليس في الأرض أحسن من الأدعياء لتستحق بذلك العريية .

قال الشاعر :

دَعَى واحدٌ أجدى عَلَيْهِم من ألقى عالم مثل ابن ذاب
ككلب السوء يحرسُ جانبيه وليس عدوّه غير الكلاب

(١) ينسب إلى من ولد على فراشه ، أما العاهرة فلها الحجر والرجم .

من طباع العرب

للأصمعي في دعي :

● وقال الأصمعي : استمشتى رجل من الأدعياء ، فدخل عليه رجل من أصحابه ، فوجد عنده شيحا وقيصوما ، فقال له : ما هذا ؟ فقال : - ورفع صوته - الطبيعة تتوق إليه ! يريد أن طبيعته من طباع العرب ؛ فقال فيه الشاعر :

يَشْمُ الشَّيْخَ والقيصو مَ كى يستوجب التَّسَبُّ (١)

وليس ضميره في الصد ر إلا التين والعنبا

أبو سعيد الخزومي :

دعي على دعي

● وعن إسماعيل بن أحمد قال : رأيت على أبي سعيد الشاعر الخزومي كردوانيا مصبوغا بتوريد ، فقلت : أبا سعيد ، هذا خز ؟ قال : لا ، ولكنه دعي على دعي ، وكان أبو سعيد دعيا في بني مخزوم ، وفيه قال الشاعر :

متى تاه (٢) على الناس	شريف يا أبا سعد
فته ما شئت إذا كنت	بلا أب ولا جد
وإذا حظك في النسـ	بة بين الحر والعبد
وإذا فارقك الفُحش	ففى أمن من الحد

(١) الشيخ والقيصوم والقرأز : من النباتات التي كان العرب يتوق إلى شحمها . ويتمتع بجمال منظرها حين تطل عليه بمرآها الجميل فيما حوله من صحراء ، وهو يحاكمهم ليقال هو منهم .

(٢) تاه : اختال ، وفخر ، وزها .

تزوج ابن عبد العزيز في عبد القيس :

تعيون أمرا ظاهراً في بناتكم !!

• وعن أحمد بن عبد العزيز قال : نزلت في دار رجل من بني عبد القيس بالبحرين ، فقال لي : بلغني أنك خاطب ؟ قلت نعم . قال : فأنا أزوجك . قلت له : إني مؤلى . قال : اسكت وأنا أفعل ! فقال أبو بجير فيهم :

أمن قلة صرئتم إلى أن قبلتم وأصهّب رومى ، وأسود فاحم شكولهم شتى وكلّ نسيكم متي قال : إني منكم فمصدق أكلهم وافي النساء جدوده وكلهم قد كان في أولية على علمكم أن سوف ينكح فيكم فهلا أيتم عفة وتكرما تعيون أمرا ظاهرا في بناتكم متي شاء منكم مغرم كان جده وحصن بن بدر أو زراة دارم فقد صرت لأدرى وإن كنت ناسياً وعلى رجال الترك من آل مذحج وعلى رجال العجم من آل عالج زعمتم بأن الهند أولاد خندف	دعاوة زراع وآخر تاجر وأبيض جعد من سراة الأحامر لقد جئتم في الناس إحدى المناكر وإن كان زنجياً غليظ المشافر (١) وكلهم أوفى بصدق المعاذر ؟ له نسبة معروفة في العشائر فجدعا ورغما للأنوف الصواغر (٢) وهلا وجلتم من مقالة شاعر ؟ (٣) وفخركم قد جار كل مفاخر عمارة عبس خير تلك العمائر وزبان زبان الرئيس ابن جابر لعل نجاراً من هلال بن عامر وعلى تميم عصابة من يُحابر وعلى البوادي جُدلت بالخواضر وبينكم قرى وبين البرابر
--	--

(١) المشافر والأشفار الشفتان .

(٢) جدعا : قطعاً وفي المثل : « لأمر ما جدع قصير أنفه » ! .

(٣) وجلتم : خفتم .

وَدَيْلَمَ مِنْ نَسْلِ ابْنِ ضَبَّةَ بَاسِلٍ وَتُرْجَانَ مِنْ أَوْلَادِ عَمْرُو بْنِ عَامِرٍ
 بَنُو الْأَصْفَرِ الْأَمْلَاكُ أَكْرَمُ مِنْكُمْ وَأَوَّلَى بَقَرِيَانَا مَلُوكُ الْأَكَاسِرِ (١)
 أَطْمَعُ فِي صَهْرِي دَعِيَا مَجَاهِرَا وَلَمْ نَرِ شَرًّا فِي دَعَى مُجَاهِرٍ
 وَيَشْتَمُ لَوْمًا عَرَضَهُ وَعَشِيرَهُ وَيَمْدَحُ جَهْلًا طَاهِرًا وَابْنَ طَاهِرٍ

★ ★ ★

● وقال زرارۃ بن ثروان أحد بنى عامر بن ربيعة بن عامر :

اختلط الأسافل بالأعلى !

قد اختلط الأسافل بالأعلى وباح الناس واختلط النجار (٢)
 وصار العبد مثل أئى قبيس وسبق مع الملهجة (٣) العشار

جعفر بن سليمان، وولده أحمد :

ثم تريد أن ينجبن !!

● وذكر جعفر بن سليمان بن على يوما ولده ، وأنهم ليسوا كما يحب ، فقال
 له ولده أحمد بن جعفر : عمدت إلى فاسقات المدينة ومكة وإماء الحجاز ،
 فأوعيت فيهم نطفك ، ثم تريد أن ينجبن ؟! ألا فعلت فى ولدك ما فعل أبوك
 فيك حين اختار لك عقيلة قومها ؟!

★ ★ ★

(١) الأكاسر : ملوك الفرس وواحدها : كسرى .

(٢) التجار : الأصل .

(٣) الملهجة : الهجين .

الأشعث وعلى :

من هذه يا أمير المؤمنين !؟

• ودخل الأشعث بن قيس على عليّ بن أبي طالب ، فوجد بين يديه صبية تدرج ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذه زينب بنت أمير المؤمنين . قال : زوجنيها يا أمير المؤمنين ! قال : اغرب (١) بفيك الكيثكث ولك الأثلب (٢) ! أغرك ابن أبي قحافة حين زوجك أم فروة ؟ .

إنها لم تكن من الفواطم ولا العواتك من سليم . فقال : قد زوجتم أخمل مني حسبا ، وأوضع مني نسبا : المقداد بن عمرو ، وإن شئت فالمقداد بن الأسود .

قال علي : ذلك رسول الله ﷺ فعله ، وهو أعلم بما فعل ؛ ولئن عدت إلى مثلها لأسوءئك ! .

• وفي هذا المعنى قال الكميت بن زيد :

وما وجدت بنات بني نزار حلائل أسودين وأحمرينا
وما حملوا الحمير على عتاق (٣) مطهمة فيلقوا مبغلينا
بني الأعمام أنكحنا الأيامى وبالآباء سميننا البنيينا

الهيثم بن عدى :

إذا نسبت عديا .. ؟!

• عن العتبي قال : وكان الهيثم بن عدى فيما زعموا دعيا ، فقال فيه

الشاعر :

(١) اغرب : ابعد عني . ورجل كُث اللحية وكثيها . كثف شعر لحيته .

(٢) الأثلب : ويكسر ، التراب والحجارة ، أو فتاتها . كناية عن رده ردا قبيحا فليس له عنده

إلا أن يحنو في وجهه التراب .

(٣) العتاق : كرام الخيل .

الهيثم بن عدي من تنقله في كل يوم له رحلٌ على حسب
 إذا اجتدى^(١) معشراً من فضل نسبتهم فلم ينيلوه عداهم إلى نسب
 فما يزال له حلٌّ ومرتحل إلى النصرارى وأحياناً إلى العرب
 إذا نسبت عدياً في بنى ثعلب فقدم الدال قبل العين في النسب^(٢)

★ ★ ★

● وقال بشار القصيلي :

عري من زجاج

إن عمراً ، فاعرفوه عري من زجاج
 مظلم النسبة لايعرف إلا بالسراج
 ● وقال فيه :

عري من قوارير

ارفق بنسبة عمر ، حين تنسبه فإنه عري من قوارير
 مازال في كير حداد يردده حتى بدا عرياً مظلم النور
 ● وقال أيضاً في أدعياء :

زائف الحسب

● هم قعدوا فانتقوا لهم حسبا يدخل بعد العشاء في العرب
 والناس قد أصبحوا صيارفةً أعلم شيء بزائف الحسب

(٢) إذا قدمنا الدال قبل العين في (عدي) يصبح (دعياً) .

(١) اجتدى : سأل .

● وقال أبو نؤاس في أشجع بن عمرو :

قل لمن يدعى سليماً سفاهاً لست منها ولا قلامة ظفر (١)

إنما أنت من سليمى كواو ألحقت في الهجاء ظلماً بعمر

● وقال فيه :

أيا متحيراً فيه لمن يتعجب العجب
لأسماءٍ تَعَلَّمَهُنَّ أشجع حين ينتسب
ولأحمد بن الحارث الخراز في حبيب الطائي :

لو أنك إذا جعلت أباك أوساً جعلت الجد حارثة بن لأم
وسميت التي ولدتك سعدى فكنت مقابلاً بين الكرام

● وله فيه :

أنت عندي عربى ليس في ذاك كلام
شعر فخذيك وساقى لك خزامى وُثْمَامُ (١)
وضلوع الصدر من جسمك نبع وبشام (٢)
وقذى عينيك صمغ ونواصيك ثَغَامُ (٣)
لو تحركت كذا لا نُجِفَلت منك نعام

★ ★ ★

(١) قلامة ظفر ، ما يقلم من الأظافر وذلك كناية عن الشيء الصغير الحقير . والمراد أنه ليس بها أدنى اتصال .

(٢) وواو عمرو ليست من بنية الكلمة ، وإنما أخذوها من داود ، ولذا نراه بواو واحدة كما يقال .

(٣) من نبات الصحراء .

(٤) النبع : شجر للقيس وللسهام ، والبشام شجر عطر الرائحة ورقه يسود الشعر ويُستاك بقضبه .

(٥) والثغام نبات أبيض ، وأثغم الرأس صار كالثغامة بياضاً .

الباب الرابع

سمات الجمال وأحوال المحبين

- الحسن من منظور عرى .
- رقة التشيب .
- قولهم فى الغزل .
- التزين والتطيب .
- ما يكتب على العصائب وغيرها .
- ما يعترى المحبين من نحول وشحوب .
- عند الوداع .

بين يدي هذا الباب

تُرى لو سئلت عن أحسن النساء - في عصرنا - فماذا يكون جوابك ؟ .

وهل « مقاييس العصر » تلتقى مع تلك المقاييس التي تحدث عنها ابن عبد ربه ؟ .

وهل ترانا نجد في إجابات الآخرين قدرا مشتركا تلتقى كلمتنا عليه ، إن وجهنا إليهم هذا السؤال ؟ .

وهل الحب أعمى ؟ والأمر قسمة ونصيب !! .

وإلى أى مدى تختلف وجهات النظر في صفات الحسن ، وهل حقاً للناس فيما يعشقون مذاهب ؟ .

● قيل لأعرابي : أتحسن صفة النساء ؟ قال :

إذا عذب ثناياها ، وسهل خذاها ، ونهد ثدياها ، وفعم ساعداها والتف فخذها ، وعرض وركاها ، وجدل ساقاها ، فتلك هم النفس ومناها .

● وقالوا : أحسن النساء : الرقيقة البشرة ، النقية اللون ، يضرب لونها بالغداة إلى الحمرة ، وبالعشي إلى الصفرة ! .

ويحدثنا ابن عبد ربه عن صفات الحسن التي هام بها الشعراء والمحبون وملئوا الدنيا تشبيها وغزلا رقيقا .. وتترأى لنا كما عبروا عنها مجتمعة في محبوبتهم فإذا هي : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ! .

ثم يحدثنا عن التزين والتطيب .. وحب الزينة - كما يقول الأستاذ العقاد في كتابه : « المرأة في القرآن » ... أصل من أصول الرياء يشاركها فيه الرجل في ظاهر الأمر ، ولكنه يخصها في جانب غير مشترك بينها وبين زينة الرجولة ؛ فإن الرجل يتزين ليعزز إرادته .

ولمّا تتزين المرأة لتعزز إرادة غيرها في طلبها ! .

وليست الزينة التي تراد للإغراء بالقبول ؛ كالزينة التي تراد للإغراء بالطلب ؛ فإن الفرق بينهما هو الفرق بين :

الإرادة والانقياد ، وبين من يريد ، ومن ينتظر أن يُراد !! ولا يفوت ابن عبد ربه أن يحدثنا عما يكتب على العصائب من شعارات الحب والهيام .. وما يعتري المحبين من شحوب ونحول . .

وأخيرا يعرض علينا لحظات الوداع والفراق وما يصحبها من :
عبرات تبعث الأسى ... وأنفاس حارة ، ودموع دامية وخوف ألا يكون لقاء ... حيث يفتضح العاشق في يوم الزحيل !! ... عفوا إن كنت أطلت وأرجو ألا أكون قد أثقلت ! ولا أقول وداعا ، ولكن إلى لقاء في الباب القادم بعد أن تستمتع بهذا الباب ! .

★ ★ ★

صفات الحُسن

الحسن كما يروونه :

أهو حمرة في صفرة ؟

عن أبي الحسن المدائني قال :

الحسن أحمر ، وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن (١) ، والتضمخ (٢) . بالطيب ، كما تضرب بيضة الإدحي (٣) ، واللؤلؤة المكنونة .

وقد شبه الله عز وجل في كتابه فقال :

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ (٤) .

وقال الشاعر :

كَأَن بَيْضَ نَعَامٍ فِي مَلَا حِفْهَا إِذَا اجْتَلَاهُن قَيْظُ لَيْلَةٍ وَمَد (٥)

لونُ وردٍ كسا البياضَ احمرارا

وقال آخر :

مروزي (٦) الأديم تغمره الصفرة حيناً لا يستحق اصفرارا
وجرى من دم الطبيعة فيه لون وردٍ كسا البياضَ احمرارا ،

(١) الكن : البيت وجمعه أكنان وأكنة ، والكن وقاء كل شيء وستره .

(٢) ضُمَخَ جسده بالطيب لطحه به .

(٣) الأدحي : مبيض النعام في الرمل .

(٤) الصافات : ٤٩ .

(٥) الوَمَد : محركة الحر الشديد مع سكون الريح أو ندى يجمىء في صميم الحر من قبل البحر

ويقال : لَيْلَةٌ وَمَدٌ ، وومدةٌ . أو شدة حر الليل ، مع وجود رطوبة الجو .

(٦) ثياب مروزية : نسبة إلى مرو من بلاد فارس .

لقد أصبحت جميلا !

وقالت امرأة خالد بن صفوان (١) له :

لقد أصبحت جميلا ! فقال لها : وما رأيت من جمالى وما فى رداء
الحسن ولا عموده ، ولا بُرنسه ؟ قالت : وكيف ذلك ؟ قال :
عمود الحسن : الشَّطَّاط (٢) ، ورداؤه : البياض ، وبرنسه : سواد
الشعر .

رقة البشرة وصفاء الأديم (٣) :

وقالوا : إن الوجه الرقيق البشرة ، الصافى الأديم ، إذا خجل يحمرُّ ،
وإذا فَرِق يصفر .

ومنه قولهم : ديباج الوجه - يريدون تلونه .

حمرة خلطت صفرة فى بياض :

وقال عدى بن زيد يصف لون الوجه :

حمرة خلطت صفرة فى بياض مثل ما حاك حائك ديباجا (٥)

الحسن ... يرون فيه ألوان الشمس بالضحى ... والعرار بالعشى ...
والفضة والذهب والبر .. والعقيق ... والورد ! :

(١) خالد بن صفوان : من فصحاء العرب المشهورين كان يجالس عمر بن عبد العزيز ، وهشام
ابن عبد الملك وله معهما أخبار . وجاء فى كتاب الأعلام للزركلى : إنه لم يتزوج .

(٢) الشَّطَّاط ؛ كسحاب وكتاب : الطول وحسن القوام واعتداله .

(٣) الأديم : الجلد .

(٤) الفرق : الخوف .

(٥) الديباج : حرير سميك .

وقال : إن الجارية الحسنة تتلون بلون الشمس ، فهي بالضحى
بيضاء ، وبالعشى صفراء .

وقال الشاعر :

بيضاء ضَحَوْتُهَا وصفها ———— راءُ العشية كالعرارة (١)

وقال ذو الرمة :

بيضاء صفراء قد تنازعها لوانان من فضة ومن ذهب
ومن قولنا :

بيضاء يحمرُّ خذاها إذا خجلت كما جرى ذهب في صفحتي ورق (٢)

ومن قولنا :

كم شادن (٣) لطف الحياء بوجهه فأصاره ورداً على وجناته

ومن قولنا :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله دُرّاً يعود من الحياء عقيقاً (٤)

ومن قولنا .

عقائل كالآرام (٥) أما وجوهها فدر ، ولكن الخلود عقيق

★ ★ ★

(١) العرار : بهاء البر . واحدته عَرارة ، وزهره أصفر طيب الرائحة ويقول الشاعر :

تفتح من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

(٢) الورق : الفضة .

(٣) شادن الغزال فهو شادن إذا قوى وطلع قرنائه واستغنى عن أمه ويشبهون الفتاة بالغزال .

(٤) العقيق : هناك أنواع من العقيق كثيرة في ألوان بيضاء وسمرءة وحمراء وزرقاء وهناك أنواع

تصيغ حسب الطلب ، وهو من الأحجار الكريمة وكان المعروف لدى الشعراء الأحمر فراحوا يتغنون
بجماله ، والدر أبيض .

(٥) العقيلة من النساء الكريمة المخدرة (المصونة في خدورها) والآرام جمع رئم : الظبي الأبيض .

الجميلة من بعيد ... المليحة من قريب :

ومن قولهم في الجارية :

جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ؛ فالجميلة التى تأخذ بصرك جملة على بعد ، فإذا دنت لم تكن كذلك .

والمليحة : التى كلما كررت فيها بصرك زادتك حسنا .

وقال بعضهم :

الجميلة : السمينة من الجميل ، وهو الشحم .

والمليحة : أيضا من الملحة ، وهو البياض .

والصبيحة : مثل ذلك ؛ يشبهونها بالصبح فى بياضه .

★ ★ ★

قولهم فى رقة التشيب (١)

• ومن الشعر المطبوع الذى يجزى منع النفس رقة ، ويؤدى عن الضمير إبانة ، مثل قول العباس بن الأحنف :

وليلة ما مثلها ليلة	صاحبها بالسعد مفجوع
ليلة جئناها على موعد	نسرى وداعى الشوق متبوع
لما خبت نيرانها وانكفأ الـ	سامر عنها وهو مصروع ^(٢)

(١) لا نكاد نجد فرقا فى الاستعمال اللغوى بين كلمات : الغزل ، والتشيب والنسيب فاللغويون يعرفون إحدى هذه الكلمات بالأخرى ، ومغازلة النساء محادثتهن ، وذكر محاسن المرأة فى الشعر : وإذا كان الغزل فى أصله حديثا إلى النساء فإن النسيب أن ينسب الشاعر إلى نفسه هوى مبرحا وحبا عنيفا وأن يتحدث عما ينسب إلى المرأة من ديار وآثار ، أما التشيب فهو إبراز الصفات وتجليتها للعيون .

(٢) انكفأ السامر : انصرف .

قامت تثنى وهى مرعوبة
حتى إذا ما حاولت خطوة
بكى وشاحاها على متنها
فانتبه الهادون من أهلها
ياذا الذى نمّ علينا لقد
لا تشغلينى أبدا بعدها
مابال خلخالك ذا خرسية
عاذلتى فى حيا أقصرى

تَوَدُّ أَنْ الشَّمْلَ مجموع
والصدر بالأرداف مدفوع (١)
وإنما أبكاهما الجوع (٢)
وصار للموعد مرجوع
قلت ومنك القول مسموع
إلا ونمامك منزوع
لسان خلخالك مقطوع
هذا لعمري عنك موضوع

● وفى معناه لبشار بن برد

سیدی لا تأتِ فى قمر
وتوقّ الطيب ليلتنا
لحديث وارقب الدُرْعَا (٣)
إنه واشى إذا سطعا

● وله أيضا

يقولان لو عزيت قلبك لارَعَوَى (٤) فقلت وهل للعاشقين قلوب !؟

● كثيرٌ وشعر جميل :

الأصمعى قال : سمع كثيرٌ عَزَّةً منشداً ينشد شعر جميل بن معمر الذى

● يقول فيه :

ما أنت والوعد الذى تعدينى
تقضى الديون ولست تقضى عاجلا
إلا كبرق سحابة لم تُمطر
هذا الغريم ولست فيه بمُعسر
يالىتنى ألقى المنية بغتةً
إن كان يوم لقائكم لم يُقدر (٥)

(١) والصدر مدفوع بالأرداف والمراد بها العجز .

(٢) المتن : الظهر .

(٣) ليالٍ دُرْع : ثلاث ليل تلى البيض لاسودادٍ أوائلها ، وليلة درعاء يطلع قمرها عند الصبح .

(٤) ارعوى عن القبيح : ارتدع وأقلع عما كان فيه .

(٥) المنية : الموت .

يهواك ماعشت الفؤاد وإن أمت * يتبع صداى صداك بين الأقبر (١)

فقال كثير :

هذا والله الشعر المطبوع (٢) ، ما قال أحد مثل جميل ، وما كنت
إلا راويةً لجميل (٣) ، ولقد أبقي للشعراء مثالا تحتذى عليه .

الفرزدق وشعر لابن أبي ربيعة :

وسمع الفرزدق رجلا ينشد شعر عمر بن أبي ربيعة الذى يقول فيه

وقالت وأزحت جانب الستر إنما معى فتحدث غير ذى رقية أهلى
فقلت لها : مالى لهم من ترقب ولكن سرى ليس يحمله مثلى

فقال الفرزدق :

هذا والله الذى أرادت الشعراء أن تقوله فأخطأته وبكت على الطلول (٤) .
وإنما عارض بهذا الشعر جميلا فى شعره الذى يقول فيه :

خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حب قاتله قبلى ؟
فلم يصنع عمر مع جميل شيئا ! .

● ولبشار بن برد :

وج قلبى مابه من حبها ضاق من كتمانها حتى علن
لا تلم فيها وحسن حبها كل ما مرّت به العين حسن

(١) الأثير : جمع قبر . والصدى رجع الصوت . ويقصد أن روحه سوف تتابع روحها ، وتظل متعلقة بها .

(٢) الشعر المطبوع : غير المتكلف الصادر عن طبيعة الإنسان واتسم بالصدق .

(٣) الراوية : كان لكل شاعر راوية يحفظ شعره ويردده ويرويه وينشره .

(٤) الطلول : جمع طلل . ما بقى من آثار ديار المحبوبة . حيث كان اللقاء والأنس :

● وله :

كأنَّها روضةٌ منورة تنفست في أواخر السحر

وليشار ؛ وهو أشعر بيت قاله المولدون (١) في الغزل :

أنا والله أشتى سحر عينيـك وأخشى مصارع العشاق

● وله :

حوراء إن نظرت إليـك سقتك بالعينين خمرا

وكأنها برد الشـرا ب صفا ووافق منك فطرا

● ولأبي نواس :

وذات خدٍّ مورّد قوهية المتجرد (٢)

تأمل العين منها محاسنا ليس تنفد

فبعضه في انتهاء وبعضه يتولد

وكلما عدت فيه يكون في العود أحمد

● وله أيضا :

ضعيفة كـر الطرف (٣) تحسب أنها قريبة عهد في الإفاقة من سقم

★ ★ ★

(١) المولّدون : رجلٌ مولّد عرنى غير محض ، وكلام مولّد كذلك . والمولّد المحدث من كل شيء ، والمولدون من الشعراء أو الأدباء سموا بذلك لحلوّثهم ، وذلك عندما اختلط العرب بغيرهم . نشأ جيل المولدين .

(٢) القوهية : ثياب بيضاء ، ويقصد بها بياض جسمها .

(٣) الطرف : العين ، وكر الطرف نظراته مرة بعد أخرى ، وفي القرآن : ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير ﴾ [الملك : ٤] . وفي الشطر الثاني حسن تعليل لما يبدو من ضعف نظراتها ؛ فكأنما هي قريبة عهد في الإفاقة من سقم ومرض - إنه الحب .

قولهم في الغزل

● قال رجل لمحمد بن سيرين :

ما تقول في الغزل الرقيق يُنشده الإنسان في المسجد ؟ .
فسكت عنه حتى أقيمت الصلاة ، وتقدم إلى المحراب ، فالتفت إليه ، فقال :

وتبردُ بردَ رداءِ العُرو س في الصيف رقرقت فيه العبير
وتسخنُ ليلة لا يستطيع نباها بها الكلبُ إلا هريراً (١)
ثم قال : الله أكبر .

● الحجاج وأبو هريرة :

وقال الحجاج :

دخلت المدينة فقصدت إلى مسجد النبي ﷺ فإذا بأبي هريرة قد أكبَّ
الناس عليه يسألونه ، فقلت : هكذا ! افرجوا لي عن وجهه . فأفرج لي عنه .
فقال له : إني إنما أقول هذا :

طاف الخيلان فهاجا سقما خيال أرؤى وخيال تكتما
ثريك وجهاً ضاحكا ومعصما وساعداً عبلاً (٢) وكفا أدرما
فما تقول فيه ؟ قال : لقد كان رسول الله ﷺ يُنشد (٣) مثل هذا في
المسجد فلا ينكره .

(١) العبير : أخلاط من الطيب . والهرير : صوت الكلب أقل وأخفض من النباح لقلة صبره على البرد ويقصد : أنها باردة الصيف . سخنة المشتى .

(٢) عبلاً : ضخماً ممتلئاً ، وكفا أدرما : ناعماً أملس ، لنا واره اللحم .

(٣) ينشد : أى يقال ويلقى في حضرته مثل هذا الشعر فلا ينكره كما سيأتى في أبيات الغزل التي ألحها كعب بن زهير في المسجد بين يديه ، وخلع بردته عليه ، وعفا عنه .

كعب بن زهير بين يدي النبي * ودون القمه لا دهر

ودخل كعب بن زهير على النبي ﷺ فمثل بين يديه وأنشده :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولٌ متيمٌ إثرها لم يُفد مكبولٌ (١)
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغنُ غضيضُ الطرفِ مكحولٌ (٢)
هيفاءً مُقبلةً عجزاءَ مُدبرةً لا يُشتكى قصرٌ منها ولا طولٌ (٣)
فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها كما تَلَوْنُ في أثوابها الغولُ (٤)

* كان واحداً من الشعراء الذين هجوا الرسول ﷺ ولكنه جاء تائباً فقبل الرسول توبته وأهداه برده .
(١) بانت : فارقت فراقاً بعيداً . وسعاد : اسم امرأة . وقيل : هي امرأته وابنة عمه ، وقد خصمها بالذكر لطول غيبته عنها ؛ لهروبه من النبي ﷺ بعد أن هجاه . ومتبول : أسقمه الحب وأضناه . ومتيم : ذليل مستعبد . ولم يفد : لم يخلص من الأسر . ومكبول : مقيد . وهو يريد : أن محبوبته فارقت ، فصار قلبه في غاية الضنى والسقم والذل والأسر ، لا يجد من قيده فكاً ، ولا يستطيع من سجنه خلاصاً .

(٢) الأغن : الظبي الصغير الذى فى صوته غنّة ، وهى صوت يخرج من الخياشيم . والطرف : النظر ، وغضيض الطرف : فاته . ومكحول من الكحل (بفتح الحاء) وهو سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال . شبه محبوبته وقت الفراق بالظبي الموصوف بغنة الصوت ، وغض البصر ، والكحل . وهى من صفات الجمال .

(٣) هيفاء : من الهيف (بتحريك الياء) وهو ضمور البطن ودقة الخافرة . ومقبلة : حال وعجزاء : أى كبيرة العجز وهو الردف . إنه يصفها فى حالٍ إقبالها وإدبارها . لا يشتكى الرأى عند رؤيتها قصرها فيها . وهو يريد : أن محبوبته بحسن منظرها فى كل حالٍ يراها فإذا أقبلت فهى هيفاء ، وإذا أدبرت فهى عجزاء ، وهى متوسطة بين الطول والقصر .

(٤) الغول : ساحرة الجن فى زعمهم . يزعمون أن الغول تُرى فى الصحراء بألوان شتى ، فتأخذ جانباً عن الطريق ، فيتبعها من يراها ، فيضل عن الطريق فيهلك . وهو يريد أن هذه المحبوبة لا تدوم على حال تكون عليها ، بل تتغير من حال إلى حال ، فتتلون بألوان شتى ، وترى فى صور مختلفة كما تتلون الغول فى أثوابها بألوان كثيرة .

ولا تَمْسُكُ بالعهدِ الذى وعدت إلا كما يُمَسِّكُ الماءُ الغراييلُ (١)
 كانت مواعيدُ عُرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ (٢)
 فلا يَغُرُّكَ ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ إنَّ الأمانى والأحلامَ تَضِلُّيلُ (٣)

ثم خرج من هذا إلى مدح الرسول ﷺ فكساه بردا اشتراه منه معاوية بعشرين ألفاً .

● ومن قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فى الغزل :

كتمت الهوى حتى أضربك الكتم ولاملك أقوامٌ ولومُهُمُ ظَلَمٌ
 وتَمَّ عليك الكاشحون (٤) وقبل ذا عليك الهوى قد نَمَّ لو نفع النَمُ
 فيا من لنفسٍ لا تموت فينقضى عَنَّاها ، ولا تحيا حياةً لها طعمُ
 تجهيت إتيان الحبيب تأثماً (٥) ألا إن هجران الحبيب هو الإثم

● ومن شعر عروة بن أذينة ، وهو من فقهاء المدينة وعُبادها ، وكان من أرق الناس تشبيهاً :

قالت وأبشيتها وجدى (٦) وبحت به قد كُنت عندى تُحِبُّ الستر فاستر

(١) تَمَسَّكُ : أى تَمَسَّكْتُ . يشبه تَمَسَّكُها بالعهد بإمساك الغراييل للماء . مبالغة فى النكت والنقض وعدم الوفاء بالعهد ؛ لأن الماء بمجرد وضعه فى الغراييل يسقط منه .
 (٢) كانت : صارت . وعُرقوب (بضم العين) رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد ، فضرب به المثل فى الخلف . والأباطيل جمع باطل .
 (٣) ما مَنَّتْ : ما مَنَّتْك إياه وحملتك على تمنيه أو ما كذبت عليك فيه من الوصل ، وما وعدتك به من ترك الهجر ؛ فإن الأمانى التى يتمناها الإنسان والأحلام التى يراها فى المنام سبب فى الضلال ، وضياح الزمان .

(٤) الكاشحون : جمع كاشح وهو الذى يضيح العنائة .

(٥) تأثماً : تخرجاً .

(٦) وجدى : حى وفى رواية شجوى .

أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي ؟ فَقُلْتُ لَهَا غَطَى هَوَاكَ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي (١)
● وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَيْهِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ :

أَنْتَ الَّذِي يُقَالُ فِيكَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ وَأَنْتَ الْقَائِلُ :
إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ (٢) الْحَبِّ فِي كِبْدِي غَدَوْتُ نَحْوَ سَقَاءِ الْمَاءِ أَتَرَدُ
هَبْنِي بَرْدَتْ بَرْدَ الْمَاءِ ظَاهِرِهِ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَقَدُّ ؟
وَاللَّهِ مَا قَالَ هَذَا رَجُلٌ صَالِحٌ ؛ .

وَكَذِبْتَ عِدْوَةَ اللَّهِ عَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ ؛ بَلْ لَمْ يَكُنْ مَرَاثِيًا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ
مَصْدُورًا فَنفث (٣) .

● وَمِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ (٤) ، وَكَانَ فَقِيهًا نَاسِكًا شَاعِرًا رَقِيقَ
النَّسِيبِ مَعْجَبَ التَّشْيِيبِ حَيْثُ يَقُولُ :

زَعَمُوهَا سَأَلْتُ جَارَتَهَا وَتَعَبْتُ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَرِدُ (٥)
أَكَمَا يَنْعَتُنِي تُبْصِرُنِي عَمَرَ كُنَّ اللَّهُ أُمٌّ لَا يَقْتَصِدُ (٦)
فَتَضَاحَكُنْ وَقَدْ قَلَنْ لَهَا حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ (٧)
حَسَدًا حَمَلْنَاهُ مِنْ شَأْنِهَا وَقَدِيمًا كَانَ فِي الْحَبِّ الْحَسَدُ

● وَقَالَ شَرِيحُ الْقَاضِي وَكَانَ مِنْ جِلَّةِ التَّابِعِينَ وَالْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ ،
اسْتَقْضَاهُ (٨) عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَمَعَاوِيَةَ ، وَكَانَ يَزُوجُ امْرَأَةً مِنْ بَنِي تَمِيمٍ تَسْمَى زَيْنَبَ .

(١) غَطَى هَوَاكَ ... أَي سَتَرَ حَتَّى لَكَ كُلُّ شَيْءٍ عَنِّي فَلَا أَرَى غَيْرَكَ .

(٢) أَوَارَ الْحَبِّ : حَرَهُ وَلَهِيهِ ! .

(٣) يَقْتَصِدُ أَنَّهُ أَخْرَجَ مَا كَانَ يَعْانِي مِنْهُ فِي صَدْرِهِ ، وَصَرَحَ بِمَا يَعْانِيهِ .

(٤) الْأَبْيَاتُ لِلشَّاعِرِ الْقُرَشِيِّ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ زَعِيمِ الْغَزَلَيْنِ وَقَدْ مَاتَ سَنَةَ ٩٣ هـ الْمُتَخَبِّ

مِنْ أَدَابِ الْعَرَبِ وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ الْعَقْدِ وَأَوَّلُ الْقَصِيدَةِ :

لَيْتَ هَذَا أَتَجَزَّتَا مَا تَعَدُّ وَشَقَّتْ أَنْفُسُنَا مِمَّا نَجِدُ

(٥) تَبْتَرِدُ : تَصُبُّ الْمَاءَ الْبَارِدَ عَلَى رَأْسِهَا .

(٦) يَنْعَتُنِي : يَصِفُنِي ، وَعَمَرَ كُنَّ اللَّهُ : أَي أَذْكَرَكَ اللَّهُ . يَقْتَصِدُ : يَعْتَدِلُ فَلَا يَبَالِغُ .

(٧) أَي أَنْ مِنْ تَحِبِّهِ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ حَسَنٌ لَدَى جَمِيعِ النَّاسِ .

(٨) اسْتَقْضَاهُ : وَلَاهُ الْقَضَاءَ .

فنقم عليها فضربها ، ثم ندم فقال :

رأيت رجالا يضربون نساءهم
فشئت يميني يوم أضرب زينبا
أأضربها من غير ذنب أتت به
فما العدل مني ضرب من ليس أذنباً؟
فزنب شمس والملوك كواكب
إذا برزت لم تُبَد منهن كوكبا (١)

★ ★ ★

لبعض الأعراب :

● ذكر أعرابي امرأة فقال :

لها جلد من لؤلؤ مع رائحة المسك ، وفي كل عضو منها شمس
طالعة (٢) ! .

● وذكر أعرابي امرأة ، فقال : كاد الغزال أن يكونها لولا ماتم منها ،
وما نقص منه ! .

● وقال أعرابي في امرأة ودعها للمسير : والله ما رأيت دمعة تترقرق
من عين بإئمة (٣) على ديباجة خد ، أحسن من عبرة أمطرتها عينها ، فأعشِب
لها قلبي ! .

● وقال : سمعت أعرابيا يقول : إن لي قلبا مروعا ، وعينا دموعا ؛
فماذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما دواؤهما ، وسقمهما
شفاؤهما !!؟

(١) هذا البيت مأخوذ من قول النابغة الذبياني للنعمان في الاعتذار والمدح
فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

(٢) مشرقة ومتألقة .

(٣) الإئمة : عنصر معدني يكتمل به (الكحل) .

● وقال أعرابي : دخلت البصرة فرأيت أعينا دعجاً^(١) ، وحواجب زجاً^(٢) ، يسحب الثياب ، ويسلبن الألباب .

● وذكر أعرابي امرأة فقال :

خلوت بها ليلة يزينها القمر ، فلما غاب أرتنيه . قلت له :
فما جرى بينكما ؟ فقال : أقرب ما أحل الله مما حرم : الإشارة بغير
باس والتقرب من غير مساس .

● وذكر أعرابي امرأة فقال : هي أحسن من السماء ، وأطيب من
الماء .

● قال : وسمعت أعرابياً يقول :

ما أشد جولة الرأى عند الهوى ، وفطام النفس عن الصبا^(٣) ، ولقد
تقطعت كبدى للعاشقين ، لوم العاذلين قرطة^(٤) في آذانهم ، ولوعات الحب
جبرات على أبدانهم ، مع دموع على المغاني ، كغروب السواني^(٥) .

● وذكر أعرابي امرأة فقال :

لقد نعمت عين نظرت إليها ، وشفى قلب تضجع عليها ، ولقد كنت
أزورها عند أهلها ، فيرحب بي طرفها^(٦) ، ويتجهمني لسائها . قيل له : فما
بلغ من حبك لها ؟

(١) الدّعج : جمع دعجاء ، وهي شديدة السواد مع سعتها .

(٢) الرّج : الدقيقة ، ويقول الشاعر : « وزججن الحواجب والعينونا والرّجاء : الدقيقة
الحاجبين الممتدتهما حتى كأنهما خطّاه بقلم .

(٣) الصّبا : الشوق والعشق والهيام في الحب .

(٤) ما يعلق في شحمة الأذن جمع قرط .

(٥) المغاني جمع مغنى منزل الحيين حيث يجد الإنسان المحب ما يفتنيه عن كل الدنيا والغروب :

جمع غروب وهو الدلو ، والسواني جمع سانية وهي ما سقى عليه من بعير وغيره .

(٦) كما يقول الشاعر :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها	إشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال : مرحبا	وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم
أو كما يقول آخر : لساني عليه	وقلبي معه

قال : إني ذاكر لها وبينى وبينها عدوة الطائر ، فأجد لذكرها ربح
المسك .

● وذكر أعرابي نسوة خرجن متزهات ، فقال :

وجوه كالدينانير ^(١) ، وأعناق كأعناق اليعافير ^(٢) ، وأوساط كأوساط
الزناير ، أقبلن إلينا بحجول ^(٣) تحفق ، وأوشحة ^(٤) تعلق ، وكم أسير هن ؟
وكم مطلق ؟ .

● قال : وسمعت أعرابيا يقول : اتبعت فلانة إلى طرابلس الشام ،
والحريص جاحد ، والمضل ناشد ، ولو خضت إليها النار ما ألتها .

● قال :

وسمعت أعرابيا يقول :

الهوى هوان ، ولكن غلط باسمه ، وإنما يعرف من يقول : من أبكته
المنازل والطلول .

● وقال أعرابي :

كنت في الشباب أعض على الملام ، عَضَّ الجواد على اللجام ، حتى أخذ
الشيب بعنان شبابي .

● وذكر أعرابي امرأة فقال :

إن لساني لذكرها للذلول ، وإن حبها لقلبي لقتول ، وإن قصير الليل
بها ليطول .

(١) جمع دينار ، ويشبهها بها في الاستدارة واللمعان .

(٢) اليعافير : جمع يَفْقُور ، وهو الظبي بلون التراب أو عام . وقد تضم الياء .

(٣) الحجول : جمع حجل . الخَلخال . وفي القرآن : ﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين ﴾

من زينتهن ﴿

(٤) الأوشحة : جمع وشاح . أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحتها .

- ووصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال فقال :
- كلامهن أقتل من النبل ، وأوقع بالقلب من الويل بالحل (١) ،
فروعهن (٢) أحسن من فروع النخل .
- ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذلفاء ، ومعها صبي
يبكى ، فكلما بكى قبلته ، فأنشأ يقول :
- ياليثى كنت صبياً مرضعاً تحملنى الذلفاء حولاً أكتعا (٣)
إذا بكيت قبلتني أربعاً فلا أزال الدهر أبكى أجمعاً
- العتبي قال : وصف أعرابي امرأة حسناء فقال :
- تبسم (٤) عن خمش اللثا ، كأقاحى النبات ، فالسعيد من ذاقه ،
والشقى من راقه .
- وقال العتبي : خرج ليلة حين انحدرت النجوم ، وشالت
أرجلها ، فمازلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر فإذا بجارية كأنها علم ،
فجعلت أغازلها ، فقالت :
- يا هذا أمالك ناه من كرم ، إن لم يكن لك زاجر من عقل ! قلت : والله
ما يرانى إلا الكواكب ، قالت : فأين مكوكبها ؟!
- ذكر أعرابي امرأة فقال :
- هى السقم الذى لا براء معه ، والبراء الذى لا سقم معه وهى أقرب من
الحشا ، وأبعد من السما .

(١) الويل بالحل : المطر بالأرض الجدباء .

(٢) يقصد الضفائر .

(٣) كاملاً .

(٤) تبسم أى تتبسم فحذفت تأوّه تخفيفاً على التكلم . واللثا جمع لثة . والأقاحى جمع
أقحوان : نبات أوراق زهره مفلجة صغيرة يشبهون بها الأسنان واحده أقرحانة .

● وقال أعرابي - وقد نظر إلى جارية بالبصرة في مأثم - :

بصرية لم تبصر العين مثلها غدت بياض في ثياب سواد
غدت إلى الصحراء تبكين هالكا فأهلكك حيا، كنت أشأم عاد (١) !
فيارب خذ لي رحمة من فؤادها وحل بين عينها وبين فؤادي

● وقال في جارية ودعها :

مالت تودعني والدمع يغلبها كما يميل نسيم الريح بالغصن
ثم استمرت وقالت وهي باكية ياليت معرفتي إياك لم تكن

● العتيبي قال : أنشد أعرابي :

يازين من ولدت حواء من ولد لولاك لم تحسن الدنيا ولم تطب
أنت التي من أراه الله صورتها نال الخلود فلم يهرم ولم يشب
● وأنشد الرياشي لأعرابي :

من دمنة خلقت عيناك في هتن فما يرد البكا جهلاً من الدمن (٢)
ماكنت للقلب إلا فتنة عرضت يا حبذا أنت من معروضة الفتن
تسوء سلمى وأجزئها به حسناً فمن سواي يجازي السوء بالحسن ؟

● قال : وسمعت أعرابيا يصف امرأة فقال :

بيضاء جعدة ، لا يمس الثوب منها إلا مشاشة (٣) كتفها ، وحلمتي
لديها ، ورضفتي ركبتيها ، ورائفتي أليتيها ، وأنشد :

(١) أشأم عاد : الأشأم الذي يأتي بالشؤم . وأشأم عاد كان سبياً في هلاك قومه عاد ، وشؤمهم .

(٢) الدمنة بقية الماء في الحوض . وعين هتون : تصب الدمع .

(٣) المشاشة رأس العظم اللين .

(٤) الرصفة عظام في الركبة كالأصابع المضمومة .

أبت الروادف والندى لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشى تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيورا
● وقال أعرابي :

ليت فلانة حظى من أملى ، ولرب يوم سرته إليها حتى قبض الليل
بصرى دونها ، وإن من كلام النساء ما يقوم مقام الماء فيشفى من الظمأ .
● وذكر أعرابي امرأة فقال :

تلك شمس باهت الأرض شمس سمائها ، وليس لى شفيع فى
اقتضاها (١) ، وإن نفسى لكتوم لدائها ، ولكن تفيض عند امتلائها .
أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

وياشمس أرضيها التى تم نورها فباهت بها الأرضون شمس سمائها
شكوت وما الشكوى لمثل عادة ولكن تفيض النفس عند امتلائها
● وقيل لأعرابي :

ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال :
نعم . كان الحب فى القلب ، فانتقل إلى المعدة ، إن أطعمته شيئا أحبها
ولا فلا .

وكان الرجل يحب المرأة ، يطيف بدارها حولا (٢) ، ويفرح إن رأى
من رآها ، وإن ظفر منها بجلس تشاكيا ، وتناشدا الأشعار ، وإنه ليوم يشير
إليها وتشير إليه ، ويعدها وتعهده ، فإذا اجتمعا لم يشكوا حبا ، ولم ينشدا
شعرا ، ولكن يعاشرها ويطلب الولد .

(١) اقتضاها : طلبها .

(٢) يظل العام كله يطوف بيبتها ، وكان هذا يكفيه منها ويفرحه أن يرى من يراها وكذلك شأن
المحبين فهذا جميل يقول :

لو أبصره الواشى لقرت بلابه
وبالأمل المرجو خاب آمله

وإلى لأرضى من بينة بالذى
بالمنى ، وبألا . أستطيع

● وقال أعرابي :

شكوت ! فقلت ، كل هذا تبرما
فلما كتمت الحب قالت : لشدما
وأدنو فتقصيني ، فأبعد طالبا
فشكواي تؤذيها ، وصبري يسوؤها
فيا قوم هل من حيلة تعلمونها
بحبي أراح الله قلبك من حبي
صبرت ! وما هذا بفعل شجي القلب
رضاها ، فتعتد التباعد من ذنبي
وتجزع من بعدى ، وتنفّر من قرنى
أشيروا بها واستوجبوا (١) الشكر من ربي

التزين والتطيب

● دخل رجل على محمد بن المنكدر يسأله عن التزين والتطيب فوجده قاعداً على حشايا مصبغة ، وجارية تغلله بالغالية (٢) فقال له .

يرحمك الله ، جئت أسألك عن شيء فوجدتك فيه ! .

قال : على هكذا أدركت الناس .

● وفي حديث : أن النبي ﷺ قال : إياكم والشعث ، حتى لو لم يجد أحدكم إلا زيتونة فليعصرها وليدهن بها .

● وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة :

« مالى أراك شعناء ، مرهء ، سلتاء ؟ » .

قالت : يا رسول الله أولسنا من العرب ؟

قال : « بلى ، ربما أنسيت العرب الكلمة ، فيعلمنها جبريل » .

الشعناء : التى لا تدهن .

والمرهء : التى لا تكتحل .

(١) ولكم الشكر جزاء من ربكم على حسن صنعكم .

(٢) الغالية : أخلاط من الطيب ، وتغلبت بالغالية وتغللت إذا تطيبت بها . والحشايا : جمع

حشية وهى ما يجلس عليه .

والسلتاء : التى لا تختضب .

● وقال ﷺ :

« ما نلتُ من دنياكم إلا النساء والطيب » .

● وروى مالك عن يحيى بن سعيد ، أن أبا قتادة الأنصارى قال
يارسول الله ، إن لى جمعة (١) ، أفرجلها يارسول الله ؟ .

قال : « نعم وأكرمها » .

قال : فكان أبو قتادة ربما دهنها فى اليوم مرتين .

★ ★ ★

(١) الجُمعة من الإنسان : مجتمع شعر ناصيته . يقال : هى التى تبلغ المنكبين . والجمع : جمع .
مثل غرفة وغرف .

ما يكتب على العصائب وغيرها

ظلمتى فى الحب يا ظالم !

● أبو الحسن قال : دخلت على هارون الرشيد ، وعلى رأسه جوار كاتماثيل ، فرأيت عصابة منظمة بالدُر والياقوت مكتوبا عليها بصفائح الذهب :
ظلمتى فى الحب يا ظالم والله فيما بيننا حاكم
● قال : ورأيت على عصابة أخرى :

وضع الخد للهوى عزُّ

● قال : ورأيت فى صدر أخرى هلالا مكتوبا عليه :
أفلت من حور الجنان وخلقت فتنة من يرانى
● قال إسحق بن إبراهيم :

دخلت على الأمين محمد بن زبيدة ، وعلى رأسه وصائف فى قراطق (١)
مفروجة بيد وصيفة منهن مروحة مكتوب عليها :

فى وطاب العيش فى الصد	ف وى طاب السرور
ممسكى ينفى أذى الحـ	مر إذا اشتد الحرور (٢)
الندى والجود فى وجـ	ه أمين الله نور (٣)
ملك أسلمه الشـ	بهُ وأخلاه النظر

● وفى عصابة :

ألا بالله قولوا يا رجال أشمس فى العصابة أم هلال

(١) قراطق : جمع قرطق وهو القباء أشبه ب (الروب) . والوصائف جمع وصيفة .

(٢) الحرور : حر الشمس .

(٣) الندى : الكرم والعطاء .

● في أخرى :

أتهوون الحياة بلا جنون فكفوا عن ملاحظة العيون
● وكتبت ورد جارية الماهاني على عصابتها ، وكانت تحيد الغناء مع
فصاحتها وبراعتها :

تمت وتم الحسن في وجهها فكل شيء ما سواها محال
للناس في الشهر هلال ولي في وجهها في كل يوم هلال
● وكتبت في عصابتها بيتين من شعر الحسن بن هاني وهما :

يا راميا ليس يدرى ما الذي فعلا عليك عقلي فإن السهم قد قتلا (١)
أجريت في مجارى الروح من بدني فالنفس في تعب والقلب قد شغلا

● قال علي بن الجهم :

خرجت علينا عالج جارية خالصة كأنها خوط بان وهي تميز في رقة ،
وعلى طرّتها مكتوب بالغالية ، وكانت من مجان أهل بغداد مع علمها بالغناء :

يا هلالا من القصور تجلى صام طرفي لمقلتيك وصلّى
لست أدري ليلي أم لا كيف يدرى بذاك من يتقلّى (٢)
لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعى النجوم كنت محلا

● قال : وخرجت إلينا منال وعليها درع خام على جانبه الأيمن

مكتوب :

كتب الطرف في فؤادي كتابا هو بالشوق والهوى مختم

وعلى الأيسر مكتوب :

كأن طرفي على فؤادي بلاء إن طرفي على فؤادي مشوم

(١) العقل : الدية .

(٢) يتقلّى : يكره النوم ولا يطيقه ، ويتقلب في فراشه .

● قال : وكان على عصابة ظبي جارية سعيد الفارسي مكتوب بالذهب :

العين قارئة لما كتبت في وجنتي أنامل الشجن (١)
وقال : وحدثني الحسن بن وهب قال : كتبت شعب على قلنسوة جارتها شكل :

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه إلا حسبتك ذلك المحبوا
حذرا عليك وإنني بك واثق ألا ينال سوى منك نصيبا
● وكتب شفيع خادم المتوكل على عاتق قبائه الأيمن :

بدر على غصن نضير شرق الترائب بالعبير (٢)
وعلى عاتقه الأيسر :

خطت صحيفة وجهه في صفحة القمر المنير
● وكتبت وصيف جارية الطائي على عصابتها :

فما زال يشكو الحب حتى حسبته تنفس في أحشائه وتكلما
فأبكي لديه رحمة لبكائه إذا ما بكى دمعا بكيت له دما

● وكان على عصابة مزاج وهي من مواجن أهل بغداد وفتاكها :

قالوا عليك دروع الصبر قلت لهم هيهات إن سبيل الصبر قد ضاقت
ما يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقا

● وكتبت عنان جارية الناطفي على عصابتها :

الكفر والسحر في عيني إذا نظرت فاغرب بعينيك يا مغرور عن عيني
فإن لي سيف لحظ لست أغمده من صنعة الله لا من صنعة القَيْن

(١) الشجن : الحزن والهم .

(٢) يفوح العبير من ترائبه . والترائب جمع تريبة وهي العظمة من الصدر . أعلاه والعبير : أخلاط من الطيب .

● وكتبت حداثق فى كفها بالحناء :

ليس حُسن الخضاب زين كفى حُسن كفى زين لكل خضاب
● قال وخرجت علينا جارية حمدان ، وقد تقلدت سيفاً محلى ، وعلى رأسها قلنسوة مكتوب عليها :

تأمل حسن جارية يحار بوصفها البصر
مذكرة مؤنثة فهى أنثى وهى ذكر

● وعلى حمائل سيفها مكتوب بالذهب :

لم يكفه سيف بعينه يقتل من شاء بحديه
حتى تردى مرهفا صارما فكيف أبقى بين سيفيه (١)
فلو تراه لابسا درعه يخطر فيها بين صفيه
علمت أن السيف من طرفه أقتل من سيف بكفيه (٢)

● وكتبت واجد على منطقة جاريته منصف الكوفية :

وفؤادى رق حتى كاد من صدرى ينسل
بعض ماى يصدع القلـ ب فما ظنك بالكل

● ومن قولى فيما كتبت على كأس مذهبة :

اشرب على منظر أنيق وامزج يريق الحبيب ريقى
واحلل وشاح الكعاب رفقا واحذر على خصرها الدقيق (٣)
وقل لمن لام فى التصاى إليك خلى عن الطريق

● وقف صريع الغوانى بباب محمد بن منصور ، فاستسقى ، فأمر

(١) تردى : ارتدى وليس .. والمرهف الصارم : السيف القاطع .

(٢) السيف من طرفه: نظرات عينيه .

(٣) الكعاب : من نهد ثدياها وأصبحت ناضجة .

وصيفا له فأخرج إليه خمرأ في كأس مذهبة ، فلما نظر إليها في راحته قال :

ذهب في ذهب را	ح بها غصن لجين (١)
فأت قرة عني	من يدى قرة عين
قمر يحمل شمسا	مرحبا بالقمرين
لا جرى بيني ولا	بينهما طائر بين
وبقينا ما بقينا	أبدأ متفقين
في غبوق وصبوح	لم نبغ نقداً بدين (٢)

● محمد بن إسحاق قال : حدثني أحمد بن عبد الله قال : رأيت على مروحة مكتوبا :

الحمد لله وحده	وللخليفة بعده
وللمحب إذا ما	حبيبه بات عنده

● وقال : ورأيت في مجلس سريرا مكتوبا عليه بالذهب :

أشهى وأعذب من راح ومن ورد	إفان قد وضعا خدأ على خد (٣)
وضم أحدهما أحشاء صاحبه	حتى كأنهما للقرب في عقد
هذا ييوح بما يلقاه من حزن	وذاك يظهر ما يخفى من الوجد

● وفي عصابة أخرى :

وإن يحجبوها بالنهار فمن لهم بأن يحجبوا بالليل عني خيالها

لعن الله من عذر !!

● قال أبو عبيدة : ورأيت جارية على جبينها مكتوبا :

كتبت في جبينها . بغير على قمر (٤)

(١) اللجين : الفضة .

(٢) الغبوق والصُّبوح : شراب المساء وشراب الصباح .

(٣) الراح : الخمر .

(٤) العبير : أخلاط من طيب وعطور .

في سطور ثلاثة لعن الله من عذر
وتناولت كفهها ثم قلت اسمعي الخير
كل شيء سوى الحيا نة في الحب يغتفر

لا تدعني موسوسة

• قال الأصمعي : رأيت على باب الرشيد وصائف (١) على عصاة
واحدة منهم مكتوبا :

نحن حورٌ نواعم من أراضٍ مقدسة
أحسن الله رزقنا ليس فينا مُنجسة (٢)
فاتق الله يا فتى لا تدعني موسوسة

قولهم في النحول

قال عمر بن أبي ربيعة (٣) القرشي : يصف نحول جسمه وشحوب لونه
في شعره الذي يقول فيه :

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخضر
أخا سفرٍ جَوَابَ أرضٍ تقاذفت به فلوات (٤) فهو أشعث أغبر
قليلاً على ظهر المطية شخصه خلا ما نفى عنه الرداء المحبر

وفي هذا المعنى يقول :

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت مصابيح شبت بالعشاء وأتور (٥)

(١) وصائف : جمع وصيفة .

(٢) منجسة تنحس من يعاشرها ، ويقصد أنهن مُسعدات لمن يقبل عليهن .

(٣) شاعر غزل مفتون بالنساء ، وصاف لمن ، محب إليهن ، لا يمدح سواهن .

(٤) فلوات : جمع فلاة : الصحراء .

(٥) شبت : أوقدت . أتور : نيران جمع نار . إن شئت هزمت وإن شئت لم تهزم .

وغاب قمير كنت أرجو غيوبه وروح رُعيان ونوم سُبُر (١)
 وخفض عني الصوت أقبلت مشية الـ ... حباب وشخصى خيفة القوم أزور (٢)
 فحييت إذ فاجأتها فتلهفت وكادت بمكتوم التحية تجهُر (٣)
 وقالت - وعضت بالبنان - فضحتني وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر (٤)
 أريتك إذ هنا عليك ألم تخف رقيبا وحولى من عدوك حضر (٥)
 فو الله ما أدري أتعجيلُ حاجة سرت بك أم قد نام من كنت تحذر (٦)
 فقلت لها: بل قادنى الشوق والهوى إليك وماعين من الناس تنظر
 فيالك من ليل تقاصر طوله وما كان ليلى قبل ذلك يقصر
 وبالك من ملهى هناك ومجلسي لنا لم يكدره علينا مُكْدُر
 يمجّ ذكى المسك منها مفلج رقيق الخواشى ذو غروب مؤشر (٧)
 وترنو بعينها إلى كآرنا إلى ربرب وسط الخميلة جوذر (٨)

(١) قُمير : تصغير قمر ؛ لأنه كان غير تام ، ويكون ذلك أول الشهر وآخره . رُوْح : ذهب
 عشية . رعيان : رعاة : جمع راع . سُر : جمع سامر ، وهم الجماعة يتحدثون ليلا .
 (٢) الحباب : الحية . أزور : مائل منحرف . ويروى : ونفضت عني العين مكان ونخفض عني
 الصوت . والمعنى : احترست من العين وأمنتها . ومنه النفضة جمع نافض وهم الجماعة يبعثون في الأرض
 لينظروا فيها عدو أم لا ؟ .
 (٣) ويروى فتولفت . بدلا من تلهفت . تخيرت وجزعت . ويمكنون بدلا من بمكتوم .

(٤) ميسور أمرك : السهل منه - والفعل يسر . أعسر : صعب والفعل عسر بضم السين .
 (٥) أريتك وأريتك بمعنى أخبرني .
 (٦) تتساءل عن سر مبادرته بالمجيء .

(٧) يمج : محج الشراب من فيه رمى به وبابه ردّ ، والمراد أن لفها شذا ذكيا . مُفْلَج : الفلج
 في الأسنان تباعد ما بينها ، وفلج من باب طرب . والخواشى : الجوانب جمع حاشية ، والغروب جمع
 غرب ، وهو حد كل شيء ومنه غرب السيف واللسان . والمراد أن أسنانها رقيقة محدة . مؤشر : محرز ،
 ويكون ذلك في الحدائة .

(٨) ترنو : تديم النظر مع سكون الطرف . الربرب : القطيع من البقر الوحشى ، والخميلة :
 الموضع يكثر فيه الشجر . والجوذر بضم الذال وتفتح ولد البقرة الوحشية . يصف هيئة نظرها إليه
 في موضع تقر فيه العيون ؛ حيث الظل والسكينة .

- يرف إذا تفتّر عنه كأنه
فلما تقضى الليل إلا أقله
أشارت بأن الحى قد حان منهم
فلما رأت من قد تثور منهم
فقلت : أباديهم فيما أفوتهم
فقلت : أتحيقيا لما قال كاشح
فإن كان ما لا بد منه فغيره
أقص على أختي بدء حديثنا
لعلها أن تبغيا لك مخرجا
فقلت لأختيها : أعينا على فتى
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا :
يقوم فيمشى بيننا متكرا
فكان مجنى دون من كنت أتقى
فلما أجزنا ساحة الحى قلن لى
- حصى بردٍ أو أقحوانٍ منور (١)
وكادت توالى نجمه تتغور (٢)
هيبٌ ولكن موعدك عزور (٣)
وأيقظهم قالت : أشر كيف تأمر (٤)؟
وإما ينال السيف ثارا فيثأر (٥)
علينا وتصديقا لما كان يؤثر (٦)
من الأمر أدنى للخفاء وأستر (٧)
ومالى من أن تعلمتا متأخر
وأن ترجبا صدرا بما كنت أحصر (٨)
أتى زائرا والأمر للأمر يقدر
أقلى عليك اللوم فالأمر أيسر
فلا سرنا يفسو ولا هو يظهر (٩)
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر (١٠)
ألم تتق الأعداء والليل مقمر ؟

- (١) يرف : يبرق ويتلأأ من رفيف البرق . يفتّر : يضحك ضحكا حسنا . الأقحوان : البابونج . وهو نبت طيب الرائحة حواله ورق أبيض ووسطه أصفر والجمع أفاحي .
(٢) التوالى : التابع . تتغور : تغور فتذهب .
(٣) عزور : موضع قرب مكة .
(٤) تثور : ثار وتحرك . الأيقاظ : جمع يقظ .
(٥) أباديهم : بادی بالعداوة : جاهر بها .
(٦) أتحيقيا : أى أتفعل هذا تحقيا . الكاشح : الذى يضم لك العداوة .
(٧) أدنى للخفاء : أقرب إلى الستر والتخفى .
(٨) ترحبا صدرا : يتسع صدرهما أحصر : أضيق . أى بما كان يضيق به صدرى .
(٩) سقط بيت يقول فيه الشاعر قبل هذا البيت :
وقال الصغرى سأعطيه مطرف
ودرعى وهذا البرد إن كان يحذر
والمطرف بضم الميم وكسرهما واحد المطارف وهى أردية (تلبس فوق الثياب) من خز مربعة لها
أعلام . درعى : قميصى مذكر . وأما درع الحديد فمؤنثة والبرد : ثوب مخطط .
(١٠) مجنى : ثرسى . ثلاث : ذكر اسم العدد لأنه أراد ثلاث فتيات كما بينه بالبدل . الكاعب :
التي نهد ثدياها . والمعصر التي بلغت شباهها وأدركت أو التي راهقت العشرين . والفعل أعصر .

وقلن : أهذا دأبك الدهر سادراً أما تستحي؟ أما ترعوى؟ أم تفكر^(١)؟

• ويروى أن يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عقبة إلى المدينة ، اعترض الناس ، فمر به رجل من أهل الشام معه ترس قبيح ، فقال : يا أبا أهل الشام ، مجن ابن أئى ربيعة كان أحسن من مجنك هذا ! .
يريد قول عمر بن أئى ربيعة .

فكان مجنى دون ماكنت أتقى ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر
• وقال أعرابي فى النحول :
ولو أن ما أبقيت منى معلق بعود ثمام^(٢) ما تأود عودها
• وقال آخر

إن تسألونى عن تباريح الهوى فأنا الهوى وأبو الهوى وأخوه
فانظر إلى رجل أضرب به الأسى لولا تقلب طرفه دفنوه^(٣)
• وقال مجنون بنى عامر فى النحول :

ألا إنما غادرت يا أم مالك صدى أينما تذهب به الريح يذهب
• وللحسن بن هانى :

كما لا ينقضى الأرب	كذا لا يفتر الطلب
ولم يبق الهوى إلا	أقل وهو محتسب
سوى أئى إلى الحيوا	ن بالحركات أنتسب

★ ★ ★

(١) السادر : الذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع ! ويرعوى : ينجس ويعتبر .
(٢) الثمام كغراب : نبت . وتأود : مال وانعطف . يقول : إن الحب لم يبق منه إلا ما لو علق بعود ثمام لم يمل .
(٣) وهذا لولا تحرك عينه لظنوا أنه مات ودفنوه .

● وقال آخر وهو خالد الكاتب :
هذا محبك نضو لا حراك به
لم يبق من جسمه إلا توهمه^(١)

● ومن قولنا في هذا المعنى :
سبيل الحب أوله اغترار
وآخره هموم وادكار
ومثله من قولنا :

لم يبق من جسمانه إلا حشاشة مبيتس^(٢)
قد رق حتى ما يرى بل ذاب حتى ما يحس
● وقال الحسن بن هانئ في هذا المعنى فأرى على الأولين والآخرين :
يامن تموت عمداً فكان للعين أملى
وفي الشعوثة أرى فكان أههى وأحلى
أردت أن تزدرى العيون هيئات كلا
يا عاقد القلب منى قليلا من القليل أقلا
يكاد لا يتجزأ أقل في اللفظ من لا

● ولأبى العتاهية ÷
تلاعبت بي يا عتب ثم حملتني على مركب بين المنية والسقم
ألا في سبيل الله جسمي وقوتي ألامسعد^(٣) حتى أنوح على جسمي؟
● وله :

لم تبق منى إلا القليل وما أحسبها ترك الذى بقي

★ ★ ★

(١) النضو : المهزول من الإبل وغيرها .
(٢) الحشاشة : بقية الروح في جسم المريض .
(٣) مُسْعِدٌ : مساعِدٌ . وَغَتَبَ منادى مُرْتَحِمٍ (حذف آخره) وعتبة جارية كان أبو العتاهية يحبها ولم تكن تبادلها حبا يحب وكانت جارية لريطة بنت أبي العباس السفاح .

في التوديع :

ابن حميد وجارية له :

● قال سعيد بن حميد الكاتب وكان على الخراج ^(١) بالركة : ودعت جارية لي تسمى « شفيعا » وأنا أضحك وهي تبكي ، وأقول لها :

إنما هي أيام قلاقل ! قالت : إن كنت تقدر أن تخلف مثل شفيع فنعم ! فلما طال بي السفر ، واتصلت بي الأيام ، كتبت إليها كتابا ، وفي أسفله : ودعتها والدمع يقطر بيننا . وكذاك كل ملذع بفراق شغلت بتفويض ^(٢) الدموع شملها ويمينها مشغولة بعناق

قال : فكتبت إلى في طومار ^(٣) كبير ليس فيه إلا : بسم الله الرحمن الرحيم في أوله ، وفي آخره ياكذاب ، وسائر الكتاب أبيض .

قال : فوجهت الكتاب إلى ذي الرياستين : الفضل بن سهل وكتبت إليها كتابا على نحو ما كتبت ليس فيه إلا بسم الله الرحمن الرحيم في أوله ، وفي آخره أقول :

فودعتها يوم التفرق ضاحكا إليها ولم أعلم بأن لا تلاقيا
فلو كنت أدري أنه آخر اللقاء بكيت وأبكيْتُ الحبيب المصافيا

قال : فكتبت إلى كتابا آخر ليس فيه إلا بسم الله الرحمن الرحيم في أوله ، وفي آخره :

(١) الخراج : ما يحصل من غلة الأرض وقد أطلق على الجزية ، وعامل الخراج من يتولى تحصيله .

(٢) تفويض الدموع : مسحها .

(٣) طومار : قال في القاموس : الطامور والطومار الصحيفة جمعه طوامير .

أعنيك بالله أن يكون ذلك ! فوجهته إلى (ذى الرياستين الفضل بن سهل) ، فأشخصني إلى بغداد ، وصيرني إلى ديوان الضياع .

ابن يحيى وجاريتان

● محمد بن يزيد الربيعي عن الزبير عن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل قال : إنه لما نفاه المتوكل إلى جزيرة أقریطش ، فطال مقامه بها ، تمتع بجارية رائعة الجمال ، بارعة الكمال ، فأنسته ما كان فيه من رونق الخلافة وتديرها ، وكان قبل ذلك متيما ^(١) بجارية خلفها بالعراق فسلا ^(٢) عنها ؛ فبينما هو مع الإقريطشية في سرور وحبور يحلف لها ألا يفارق البلد ما عاش ، إذ قدم إليه كتاب جاريته من العراق وفيه مكتوب :

كيف بعدى لاذقتم النوم أنتم • خبروني مذ بنت عنكم وبنتم
بمراض الجفون من خرد العـ — — — — —
يا أخلاى إن قلبي وإن بـ — — — — —
فإذا ما ألى الإله اجتماعاً فللنايا على وحدي وعشتم

● أخذت هذا المعنى من قول حاتم :

إذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموت فكن أنت الذي تتأخر
فلم يباشر لذة بعد كتابتها ، حتى رضى عنه المتوكل وصرفه إلى أحسن حالاته .

● المعتز وجارية لابن رجاء :

الزبيرى قال : حدثني ابن رجاء الكاتب قال : أخذ مني الخليفة المعتز جارية كنت أحبها وتحبني فشربا معا في بعض الليالي فسكر قبلها ، وبقيت وحدها ، ولم تبرح من المجلس هيبة ، فذكرت ما كنا فيه من أيامنا ، فأخذت

(١) التيم : يقال تامته المرأة أو العشق والحب تيماً وتيمته تيماً عبْدته وذللته ، فهو متيم .

(٢) سلا : نسي .

العود فغنت عليه صوتا حزينا من قلب قريح (١) وهى تقول :

لا كان يوم الفراق يوما	لم يبق للمقلتين نوما
شتت منى ومنك شملا	فسر قوما وساء قوما
يا قوم من لى بوجد قلب	يسومنى فى العذاب سوما
ما لامنى الناس فيه إلا	بكيت كيما أزداد لوما

فلما فرغت من صوتها ، رفع المعترز إليها رأسه والدموع تجري كالفرند
انقطع سلكه ، فسألها عن الخير وحلف لها أن يبلغها أملها ، فأعلمته القصة ،
فردّها إلى ، وأحسن إليها ، وألحقنى فى ندمائه وخاصته .

● أبو أحمد وجارية له :

وكان لأبى أحمد صاحب حرب المعتمد جارية فكتبت إليه وهو مقيم
على العلوى بالبصرة تقول :

لنا عبرات بعدكم تبعث الأسى	وأنفاس حزن جمّة وزفير
ألا ليت شعرى بعدنا هل بكيتم	فأما بكائى بعدكم فكثير

قال أبو أحمد : فلم يكن لى هم بعدها حتى قفلت من غزاقى ! (٢) .

● مروان وجارية له :

وكتب مروان بن محمد وهو منهزم نحو مصر إلى جارية له خلفها بالرملة :

ومازال يدعونى إلى الصدمأرى	فأنأى (٣) ويشينى الذى لك فى صدرى
وكان عزيزا أن بينى وبينها	حجابا فقد أمسيت منك على عشر
وأنكاهما والله للقلب فاعلمى	إذا ازددت مثليها فصرت على شهر

(١) قريح : جريح ، وفى القرآن : ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ [آل عمران : ١٤٠] . (٢) قفلت من غزاقى : رجعت من الغزو .

(٣) أنأى : أبعد ، وفى القرآن : ﴿ أعرض ونأى بجانبه ﴾ [الإسراء : ٨٣] .

وأعظم من هذين والله أنسى أخاف بأن لا نلتقى آخر الدهر
سأبكيك لا مستبقيا فيض عيرة ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

● ابن بكار ورجل بالشعر :

الزبير بن بكار قال : رأيت رجلا بالشعر ، وعليه ذلة واستكانة وخضوع ،
وكان يكثر التنفس ، ويخفى الشكوى ، وحركات الحب لا تخفى ، فسألته وقد
خلوت به فقال وقد تحدر دمه :

أنا في أمرى رشاد	بين غزو وجهاد
بدنى يغزو الأعادي	والهوى يغزو فؤادي
يا عليما بالعباد	رُدَّ إلّفى (١) ورقادي

● وقال أعرابي يصف البين (٢) :

أدمت أناملها عضا على البين	كما انثنت فرأتني دامع العين
وودعتني إيماء وما نطقت	إلا بسبابة منها وعينين
وجدى كوجدك بل أضعافه فإذا	عنى تواريت قاب الرمح وأحيني (٣)
وإن سمعت بموتى فاطلبي بدمي	هواك والبين واستعدى على البين (٤)

● وقال آخر :

مالت تودعنى والدمع يغلبها	كما يميل نسيم الريح بالغصن
ثم استمرت وقالت وهى باكية :	ياليت معرفتى إياك لم تكن !

● وقال آخر :

إذا انفتحت قيود البين عنى	وقيل أتيح للنائى سراح
---------------------------	-----------------------

(١) الإلف : الحبيب ، فهو يطلب من الله أن يعيد إليه ما يمنحه هدوء النفس فيسترخ وتنام عيناه
بعد سهر الليالي يشكو الفراق .

(٢) البين : الفراق .

(٣) إذا غبت عنى مقدار الرمح فقد حان أجلى والحين الهلاك وفى القرآن : ﴿ قاب قوسين ﴾ .

(٤) فإذا مت فأنا شهيد الهوى والبين وليليك أن تستعدى عليهما وتطلبي النار منهما .

أبت حلقاته إلا انفالا ويأى الله والقدر المتاح
ومن لى بالبقاء وكل يوم لِسَهَمَ الين فى كبدى جراح

● وقال محمد بن أبى أمية الكاتب :

يا غريباً يبكى لكل غريب لم يذق قبلها فراق حبيب
عزه الين فاستراح إلى الدمع وفى الدمع راحة للقلوب
ختلته (١) حوادث الدهر حتى أقصده منها بسهم مصيب
أى يوم أراك فيه كما كنت قريباً فأشتكى من قريب

● وقال أبو الطيامير :

أقول له يوم ودعته وكل يوم بعبرته مبلس (٢)
لئن رجعت عنك أجسامنا لقد سافرت معك الأنفس

● وقال أبو العتاهية :

أبيت مسهداً قلقاً وسادى (٣) أروح بالدموع عن الفؤاد
فراقك كان آخر عهد نومى وأول عهد عيني بالسهاد

فلم أر مثل ما سلبته نفسى وما رجعت به من سوء زاد

● وقال محمد بن يزيد التستري :

رفعت جانباً إليك من الكلل —————
نظرت نظرة الصباية لا تم —————
ثم ولت وقد تغير ذاك الصب —————
ة (١) قابلته طرفاً كحيلًا
ملك للين دمعها أن يحولا
بح من خدها فعاد أصيلاً (٢)

(١) ختلته : خدعته .

(٢) مبلس : البلس محرّكة : من لا خير عنده . أو عنده إبلاس وشز .

(٣) الوساد : جمع وسادة ، وقلقاً وساده : كناية عن السهر والأرق .

(٤) الكلّة : الستارة ، وكل ما يوضع على السرير فيحجب التوام .

(٥) الأصيل : آخر النهار ، ويقصد أنه تحول من الإشراق إلى الضفرة !

● وقال يزيد بن عثمان :

دمعة كاللؤلؤ الرطـ
وجفون تنفث السـ

إنما يفتضح العاشـ

● وقال علي بن الجهم :

يا وحشتا للغريب في البلد
فارق أحبابه فما انتفعوا
يقول في نأيه (١) وغريته

● وقال آخر :

بانوا (٢) وأضحى الجسم من بعدهم
يا أسفى منهم ومن قولهم
بأى وجه ألتقاهم

● وقال آخر :

أترحل عن حبيبك ثم تبكى
عليه فمن دعاك إلى الفراق ؟
● وقال هذبة العذرى :

ألا ليت الرياح مسخرات
فنخبرنا الشمال إذا أتنا
عسى الكرب الذى أمسيت فيه
فيأمن خائف ويفك. عان (٤)

بحاجتنا تباكر أو تتوب (٣)
وتخبر أهلنا عنا الجنوب
يكون وراءه فرج قريب
ويأتى أهله النائى الغريب

(١) النأى : البعد والفراق .

(٢) بانوا : بعدوا . قُبَا : فيأى ظلًّا وذلك كناية عن النحول .

(٣) تباكر : تأتى في الصباح الباكر ، وتتوب : تعود ومنه الإياب .

(٤) العانى : الأسير .

• وقال آخر :

لا بارك الله في الفراق ولا
لو ذبح الهجر والفراق كما
شربت كأس الفراق مترعة^(١)
يا سيدى والذى أوْمله
بارك في الهجر ما أمرها
يذبح ظبى لما رحمتها
فطار عن مقتلئ نومها
ناشدتك الله أن تذوقهما

• وقال حبيب الطائى :

الموت عندى والفرا
يتعاونان على النفوس
لو لم يكن هذا كذا
ق كلاهما مالا يطاق
فذا الحمام وذا السياق^(٢)
ما قيل موتٌ أو فراق

• وقال آخر :

شتان ما قبلُة التلاق^(٣)
هذى حياة وتلك موت
وقبلُة ساعة الفراق
بينهما راحة العناق

• وقال سعيد بن حميد :

موقف البين مآثم العاشقين
إن فى البين فرحتين : فأما
فاعتناق لمن أحبُّ وتقييد
ثم لى فرحة إذا قدم النا
لا ترى العين فيه إلا حزينا
فرحتى بالدواع للظاعنين
ل ولمس بحضرة الكاشحين
س لتسليمهم على القادمينا

وقال أعرابى :

ليل الشجى على الخلى قصير
بان الذين أحبهم فتحملوا
وبلا المحب على المحب يسير^(٤)
وفراق من تهوى عليك عسير

(١) مترعة : مليئة .

(٢) الحمام : بكسر الحاء الموت . والفراق يسوقنا إليه فهو موت معنوى .

(٣) التلاق : التلاقى .

(٤) الشجى والخلى : الشجى : المشغول ، والخلى : الخالى .

فلأبعثن نياحة لفراقهم
ولألبسن مدارعا مسودة
ولأذكرنك بعد موتي خاليا
ولأطلبنك في القيامة جاهدا
فبجنة إن صرت صرت بجنة
والمستهام بكل ذاك جدير
فيها تُلطم أوجهٌ وصُدور
لبس الثواكل إذ دهاك مسير
في القبر عندى منكر ونكير
بين الخلائق والعباد نشور
ولئن حواك سعيها فسعير
والذنب يغفر والإله شكور

● ومن قولنا في الين :

هيج الين دواعى سقمى
أيها الين أقلنى مرة
ياخلى الروع نم في غبطة
ولقد هاج لقلبي سقما
كسا جسمي ثوب الألم
فاذا عدت فقد حل دمي (١)
إن من فارقه لم ينم !
ذكر من لو شاء داوى سقمى

● ومن قولنا في المعنى :

ودعنتى بزفرة واعتناق
وتصدت فأشرق الصبح منها
ياسقيم الجفون من غير سقم
إن يوم الفراق أعظم يوم
ثم نادت: متى يكون التلاق ؟
بين تلك الجيوب والأطواق (٢)
بين عينيك مصرع العشاق
ليتتى مت قبل يوم الفراق

● ومن قولنا فيه :

فررت من اللقاء إلى الفراق
سقانى الين كأس الموت صرفا
فيا برد اللقاء إلى فؤادى
فحسبى مالقيت وما ألاق
وما ظنى أموت بكف ساقى
أجرنى اليوم من حر الفراق

(١) أقلنى : من عثرى .. خذ يدي .. اجمع بيني وبينها .. ولك أن تفعل بي ما تشاء .. لو فارقتها

(٢) الجيوبُ والأطواق . جمع جيب وهو الفتحة في أعلى الثوب والطوق معروف .

● وقال مجنون بنى عامر :

وإني لمن دمع عيني من البكا
وقالوا : غدا أو بعد ذاك بليلة
وما كنت أخشى أن تكون منيتي

● وقال أبو هشام الباهلي :

خليلي غدا لا شك فيه مودع
فواحننا إن لم أودعه غدوة
فإن لم أودعه غدا مت بعده
أنا اليوم أبكيه فكيف به غدا
لقد سخنت عيني وجلت مصيبتى
فيايوم لا أدبرت هل لك محبس ؟

● وقال بشار بن برد :

نبت عيني عن التغميض (٢) حتى
أقول وليتني ترداد طولاً
كأن جفونها عنها قصارُ
أما لليل بعدكم نهار ؟

● وقال المعتصم لما دخل مصر وذكر جارية له :

غريب في قرى مصر
لليلك كان باليلد
يقاسى الهم والسقما
ان أقصر منه بالفرما

● وقال آخر :

وداعك مثل وداع الريح
عليك سلام فكم من ندى
وفقدك مثل افتقاد الدائم (٣)
فقدها منك وكم من كرم

(١) حان أجله : حل .. وحائن : واقع .

(٢) نبت : بعدت ، فلا يغمض لها جفن وفي الشطر الثاني حسن تعليل : كأن جفونها عنها

قصار !!

(٣) الدائم : جمع ديمة السحابة المطرة .

الباب الخامس

طبعُ الأنثى وما يذم من عشرة النساء

- شر النساء .
- إياك وهؤلاء .
- خضراء الدمن .
- شرك الصياد .
- ومن الرجال ماساء خلقه .
- احذر امرأة سَمْعَتَه نَظَرَتَه .
- غيرة وحق .
- ثلاث خلال .
- في امرأة قبيحة .
- صنف منهن .
- بكر حواء .
- غودج كربه .
- يتعوذ الشيطان منها .
- جاهل مغرور من غره
- النساء بود .
- ليس مخضوب البنان
- يمين .
- فاحبسه عن بيتها
- يحابس الفيل ! .
- ياليتي المجهول في
- النار .

• الغانيات والشيب



بين يدي هذا الباب

إن الغرائز المختلفة التي تعلل محاسن المرأة ، تعلل لنا نقائصها التي تعاب عليها من بعض جهاتها ، وقد لخصها المتنبي ولخص ماقيل في معناها حيث قال :
..... فمن عهدها ألا يدوم لها عهد !

فهى تتقلب ، وتراوغ ، وتترأى ، وتكذب وتحزن ، وتميل مع الهوى وتنسى في لحظة واحدة عشرة السنين الطوال (١) .

تحب المرأة الشباب ، ومن ذا الذى لا يحب الشباب ؟ ! .

ثم تحب المرأة المال ، ومن ذا الذى يكره المال ؟ ! .

وهى أبدا بين نقيضين فى أمومتها ، وفى حبها !! .

ولابد من التناقض فى طبع الأثنى ؛ لأنها شخصية حية خاضعة للمؤثرات التى تتناوبها من عدة جهات ! .

إن الصفة التى وصفت بها المرأة فى القرآن هى الصفة التى خلقت عليها ، أو هى صفتها على طبيعتها التى تحيا بها مع نفسها ومع ذويها .

لقد جاء وصف النساء بالكيد فى ثلاثة مواضع من القرآن الكريم :
مرتين على لسان يوسف عليه السلام .

ومرة على لسان العزيز (فى سورة يوسف) .

١ - ﴿ قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾ (٢) .

(١) « المرأة فى القرآن » للأستاذ عباس محمود العقاد .

(٢) يوسف : ٣٣ .

٢ - ﴿ وقال الملك ائتوني به ، فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله
مابال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم ﴾ (١)

٣ - ﴿ فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن
عظيم ﴾ (٢) .

والكيد صفة مذكورة في مواضع كثيرة من القرآن بعضها منسوب إلى
الإنسان وبعضها منسوب إلى الشيطان .

ومن الرجال الذين نسبت إليهم صالحون مؤمنون ، ومنهم كفرة مفسدون
بل وردت وصفا لله تعالى مع المقابلة بين الكيد الإلهي وكيد المخلوقات ، وبغير
مقابلة في الآيات .

ويدخل في الكيد صفات كثيرة تمدح وتذم ، وتطلب وتمنع ، تشترك كلها
في معاني التدبير والمعالجة والحيلة .

وقد يجمع الحميد والذميم منها قولهم : « الحرب مكيدة » لأنها تدبير
ومعالجة وحيلة تتطلبها مواقف القتال .

وقد تذم أحيانا في هذه المواقف كما تذم في سواها .

وقد جاء وصف الكيد في سورة يوسف نفسها منسوبا إلى إخوة
يوسف إذ جاء فيها على لسان يعقوب عليه السلام :

﴿ قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا ﴾ (٣) .

وجاء منسوبا إلى الله تعالى بمعنى التدبير :

﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ (٤) .

(٢) يوسف : ٢٨ .

(٤) يوسف : ٧٦ .

(١) يوسف : ٥٠ .

(٣) يوسف : ٥٠ .

أما الكيد الذى وصفت به امرأة العزيز وصاحباتها فهو كيد يعهد فى المرأة ولا ينسب إلى غيرها ، أو هو كيدهن الذى به يتسمن ويصدر عن خلائقهن وطبائعهن كما يفهم من الإضافة المتكررة فى الآيات الثلاث .

ويدل عليه عمل امرأة العزيز فيما غشت به زوجها واحتالت له من مراودة غلامها عن نفسه ، ثم من اتهامه بمراودتها ، وتنصلها من فعلها ، وكلها أعمال تتلخص فى « الرياء » أو فى إظهار غير ما تبطنه واحتياها للدس والإخفاء .

فتعال نتابع مع ابن عبد ربه ما جمعه فى هذا المجال بعد أن عرضنا عليك رأى العقاد فيما يذم من عشرة النساء .

* * *

أَعْلَمُ النَّاسُ بِالنِّسَاءِ !!

لعبدۃ بن الطیب :

● قال أبو عمرو بن العلاء :

أَعْلَمُ النَّاسُ بِالنِّسَاءِ عُبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ حَيْثُ يَقُولُ :

فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي

عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ (١) النِّسَاءِ طَيِّبٌ

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ

فَلَيْسَ لَهُ فِي وَدْهَنْ نَصِيبٌ

يُرَدُّ ثَرَاءُ الْمَرْءِ حَيْثُ عَلِمَتْهُ

وَشَرَحَ (٢) الشَّبَابَ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ

★ ★ ★

وهذه الأبيات لعقمة بن عبدة المعروف « بالفحل » .

وأول القصيدة :

« طحا (٣) بك قلبٌ في الحسان طروب »

شر النساء :

● وقيل لأعرابي عالم بالنساء ، صف لنا شر النساء . قال :

(١) الأدوية جمع داء ، وهو المرض والعلة ، ومنه الأدوية الاجتماعية والخلقية .

(٢) شرح الشباب : أوله وريعانه .

(٣) طحا بك : رمى بك .

شهرن :

النحيقة الجسم ، القليلة اللحم . .

المحياض الممرض (١) الصفراء . .

المستومة العسراء .

السليطة الذفراء (٢) .

السريعة الوثبة ، كأن لسانها حربة ! .

تضحك من غير عجب ، وتقول الكذب ، وتدعو على زوجها
بالحرب (٣) ، أنف في السماء ... واست (٤) في الماء .

إياك وهؤلاء ...

• وفي رواية محمد بن عبد السلام الخشني قال :

إياك وكل امرأة مذكورة منكورة ، حديدة العرقوب ، بادية الظنوب (٥) ،
منتفخة الوريد ، كلامها وعيد ، وصوتها شديد ، تدفن الحسنات ، وتفشي
السيئات ، تعين الزمان على بعلمها ، ولا تعين بعلمها على الزمان ، ليس في قلبها له
رأفة ، ولا عليها منه مخافة ؛ إن دخل خرجت ، وإن خرج دخلت ، وإن
ضحك بكيت ، وإن بكى ضحكك ، وإن طلقها كانت حرفته ، وإن أمسكها
كانت مصيبته ، سفعاء ورهاء (٦) ، كثيرة الدعاء ، قليلة الإزعاء ، تأكل لما ،
وتوسع ذما ، صخوب غضوب ، بذية ذنية ، ليس تطفأ نارها ، ولا يهدأ
إعصارها ، ضيقة الباع ، مهتوكة القناع ، صبيها مهزول ، وبيتها مزبول ، إذا

(١) المحياض : كثيرة الحيض . والممرض : كثيرة المرض .

(٢) الذفر : شدة ذكاء الريح كالذفرة - أو - يخصص برائحة الإبط المتن وهو المراد .

(٣) الحرب : بفتح الراء : الهلاك .

(٤) الامست العجز ، أو حلقة الدبر .

(٥) الظنوب - كما جاء في القاموس - حرف الساق من قُدم أو عظمه ، أو حرف عظمه .

(٦) سفعاء تسفعه بنارها . ورهاء : حقاء .

حدثت تشير بالأصابع ، وتبكي في المجمع ، بادية من حجابها ، نباحة على بابها تبكي وهي ظالمة ، وتشهد وهي غائبة ، قد دلى لسانها بالزور ، وسال دمعها بالفجور .

خضراء الدمن :

● قال النبي ﷺ : « إياكم وخضراء الدمن » يريد الجارية الحسناء في المنبت السوء .

شرك الصياد :

● وفي حكمة داود « المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلا من رضى الله عنه » .

النساء ثلاثة :

● روى الأصبغى عن أبي عمرو بن العلاء قال : قال عمر بن الخطاب : النساء ثلاثة : هينة عفيفة مسلمة ، تعين أهلها على العيش ، ولا تعين العيش على أهلها .
وأخرى وعاء للولد .

وثالثة : غُلٌّ قَمَلٌ يلقيه الله في عنق من يشاء من عباده (١) .

ابن قتيبة بين امرأة وزوجها :

ومن الرجال ماساء خلقه !

● نافرت امرأة فضالة زوجها (٢) إلى مسلم بن قتيبة ، وهو والى خراسان فقالت : أبغضه والله لخلال فيه . قال : وماهى ؟ قالت :

(١) غُلٌّ قَمَلٌ : قال في القاموس المحيط : وأصله أنهم كانوا يَغْلُون الأسير وعليه الشعر فيَقْتَمَل .

(٢) أبدت كراهيتها له وخاصمته لدى الوالى .

قليل الغيرة ، سريع الطيرة ، شديد العتاب ، سريع الحساب ، قد أقبل
بحره ، وأدبر ذفره (١) ، وهجمت عيناه ، واضطربت رجلاه ، يُفَيِّقُ سريعا ،
وينطق رجيعا (٢) ، يصبح حلساً ويمسى رجساً ، إن جاع جزع ، وإن
شبع جشع .

احذر امرأة سَمْعَنَةَ نَظَرُهَا !

● ومن صفة المرأة السوء يقال لها : « امرأة سمعنة نظرنه » وهى التى إذا
تسمعت أو تبصرت فلم تر شيئا تظننته تظنيا ! .

قال أعرابى :

إن لنا لكنه سمعنة نظرنه
معننة مفنة كالريح حول القنة
إلا تره تظنه

ولا تنكحن هؤلاء :

● وقال يزيد بن عمر بن هبيرة :

لا تنكحن برشاء (٣) ولا عمشاء ، ولا وقصاء (٤) ولا لثغاء ، فيجيثك ولد
ألثغ ؛ فوالله لولد أعمى أحب إلى من ولد ألثغ ! .

عمر الرجل وعمر المرأة :

● وقال آخر :

عمر الرجل خير من أوله ، يثوب حلمه ، وتثقل حصاته (٥) وتحمد
سريره ، وتكمل تجاربه .

(١) ظهرت رائحته واشتدت فمن الأمام بحره ومن الخلف نتته .

(٢) الرجيع من الكلام المردود إلى صاحبه .

(٣) ما كان على جلدهما نقط بيض . أو يخالف لونها لون الجلد .

(٤) الوقصاء قصيرة العنق .

(٥) حصاته : عقله ورأيه .

• وآخر عُمر المرأة شر من أوَّلِه ، يذهب جمالها ، ويذرب (١) لسانها ،
وتعقم رحمها ، ويسوء خلقها .

شر النصفين :

• وعن جعفر بن محمد عليهما السلام : إذا قال لك أحد : تزوجت
نصفاً (٢) ، فاعلم أن شر النصفين ما بقى في يده ! وأنشد :
وإن أتوك وقالوا إنها نصف فإن أطيّب نصفها الذى ذهباً !

امرأة الخطيئة :

• وقال الخطيئة فى امرأته :
أطوف ما أطوف ثم آوى إلى بيت قعيدته لكاع

أم الخطيئة :

• ويقول لأمه - ولم يسلم من لسانه أحد :
تنحى فاجلسى منى بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغربالا إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدثينا؟
حياتك - ما علمت - حياة سوء وموتك قد يسرّ الصالحينا
نمذج آخر من الإمام اللاتى ساء خلقهن وأعوذ بالله من شرهن :

• قال زيد بن عمير فى أمته :

أعاتبها حتى إذا قلت أقلعت أنى الله إلا خزيها فتعود
فإن طمشت قادت، وإن طهرت زنت فهي أبداً يزنى بها وتقود

(١) ذرب اللسان : سلاطته .
(٢) النصف : متوسط العمر ، ويقال : رجل نصف وجمعه نصفون وأنصاف ، وامرأة نصف وجمعه نُسُف ونُصُف وأنصاف .

علامة الحب والبغض :

ويقال : إن المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها ، فعلمة ذلك أن تكون عند
قربه منها مرتدة الطرف عنه ، كأنها تنظر إلى إنسان غيره . وإذا كانت محبة له
لا تقلع عن النظر إليه .

المرأة اللثغاء :

وقال آخر يصف امرأة لثغاء :

أول ما أسمع منها في السحر تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر (١)
والسوءة السوءاء في ذكر القمر

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي ! :

ولآخر في زوجته :

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي ولكن قرين السوء باق معمر
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً وعذبها فيه نكير ومنكر

عبد الملك وابن زنباع

إنها كمشجب بال قد أسىء صنعه

● كان روح بن زنباع أثراً عند عبد الملك ، فقال له يوماً :

أرأيت امرأتى العيشمية ؟ قال : نعم : قال : بماذا شبتها ؟ قال :
بمشجب بال قد أسىء صنعه (٢) . قال : صدقت ، وما وضعت يدي عليها قط إلا

(١) السحر : قيل انصداع الفجر .

(٢) المشجب : خشبات موثقة توضع عليها الثياب وتشر (الشماعة) .

كأنى وضعتها على الشكاعى . وأنا أحب أن تقول ذلك إلى ابنها : الوليد ،
وسليمان ! فقام إليه فزعا فقبل يده ورجله ، وقال :

أنشدك الله ياأمير المؤمنين ، ألا تعرضنى لهما ! قال : مامن ذلك بُدّ ! .

وبعث من يدعوها ، فاعتزل روح ، وجلس ناحية من البيت ؛ فقال
لهما عبد الملك : أتدريان لم بعث إليكما ؟ إنما بعثت لتعرفا لهذا الشيخ حقه
وحرمة ! ثم سكت .

★ ★ ★

ابن زنباع وزوجه :

... غيرة ... وحمق !!

• روى أبو الحسن المدائنى : كان عند روح بن زنباع هند بنت
النعمان بن بشير ، وكان شديد الغيرة ، فأشرفت يوما تنظر إلى وفد جذام وقد
كانوا عنده ، فزجرها ؛ فقالت : والله إني لا بغض الحلال من جذام فكيف
تخاف على الحرام فيهم ؟ ! .

وقالت له يوما : عجباً منك ! كيف يُسودُّك قومك^(١) ، وفيك ثلاث
خلال ؟ .

أنت من جذام . وأنت جبان . وأنت غيور .

فقال لها :

أما جذام : فإنى فى أرومتها^(٢) ، وحسب الرجل أن يكون فى
أرومة قومه .

(١) يجعلونك سيداً فيهم .

(٢) الأرومة ، وتضم : الأصل .

وأما الجبن : فإنى مالى إلا نفس واحدة ، فأنا أحوطها ؛ فلو كانت لى
غير نفس واحدة ، جدت بها .

وأما الغيرة : فأمر لا أريد أن أشارك فيه ، وحقيق ^(١) بالغيرة من كانت
عنده حمقاء مثلك ، مخافة أن تأتيه بولد من غيره فتقذفه فى حجره ^(٢) ! فقالت :
وهل هند إلا مهرة عريية سليلة أفراس تجللها ^(٣) بغل
فإن أنجبت مهرا عريقا فبالحرى وإن يك إقراف ^(٤) فما أنجب الفحل

رجل وامرأة تخطب له :

وثلاث خصال فى الزوج هل تطاق وتحتمل ؟

● وعن الأصمعى قال : قال أبو موسى : جاءت امرأة إلى رجل تدله
على امرأة يتزوجها ، فقال :

أقول لها لما أتتني تدلنى على امرأة موصوفة بجمال
أصبت لها والله زوجاً كما اشتيت إن احتملت منه ثلاث خصال
فمنهن عجز لا ينادى وليده ورقة إسلام وقلّة مال ^(٥)

★ ★ ★

(١) جدير ، وأهل .

(٢) تنسبه إليه .

(٣) علاها وواثها .

(٤) المقرف كمحسن من الفرس وغيره ما يدانى الهجنة . أى أمه عريية لا أبوه لأن الإقراف
من قبل الفحل ، والهجنة من قبل الأم - القاموس المحيط .

(٥) لا ينادى وليده : جاء فى أساس البلاغة : ومن المجاز : هو فى أمر لا ينادى وليده (كناية عن
عجزه) . ورقة الإسلام ضعفه ، فهو متهم فى دينه أيضا ، فإذا أضيف إليهما قلة المال فمن يحتمله ؟ .

فى امرأة قبيحة :

وذكر أعرابى امرأة قبيحة فقال :

ترخى ذيلها على عرقوبى نعامه ، وتسدل خمارها على وجه كالجمالة (١) .

صنف منهم :

وصاحب أعرابى امرأة فقال لها :

والله إنك لمشرفة الأذنين ، جاحظة العينين ، ذات خلق متضائل يعجبك
الباطل ، إن شبيت بطرت ، وإن جعت صخبت ، وإن رأيت حسنا دفنتيه ،
وإن رأيت سيئا أذعته ، تكرمين من حقرك ، وتحقرين من أكرمك .

حمدونة بنت المهدي

ودخلت أعرابية على حمدونة بنت المهدي ، فلما خرجت سئلت عنها ،
فقالت : والله لقد رأيتها فما رأيت طائلا ، كأن بطنها قربة ، وكأن ثديها
دبة (٢) ، وكأن استها رقعة ، وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عفريته يقاتل
ديكا (٣) .

★ ★ ★

(١) الجمالة : الجمالة الخرقه التى تنزل بها القدر عن النار ، والجعل الرجل الأسود الدميم ،
ودويبة كالخنفساء .

(٢) الدبة : واحدة الدب ، وهو القرع ، والدباء القرع أيضا كالذبة .

(٣) عفريّة الديك : ريش عنقه .

بكر حواء !!

- وهجا أعرانى امرأته فقال :
يلبكر حواء (١) من الأولاد وأُم آلف من العباد
عمرك ممدود إلى التناد فحدثينا بحديث عاد
والعهد من فرعون ذى الأوتاد يا أقدم العالم فى الميلاد
إنى من شخصك فى جهاد

خطبها شابة طرية ودرسوا إليه عجوزاً !

- وقال أعرانى فى امرأة تزوجها وقد خطبها شابة طرية ودرسوا إليه
عجوزاً :

عجوز ترجى أن تكون فتية وقد نخل الجنبان واحدودب الظهر
تدس إلى العطار سلعة أهلها وهل يصلح العطار ماأفسد الدهر؟
تزوجتها قبل المحاق (٢) بليلة فكان محاقا كله ذلك الشهر
ما غرني إلا خضاب بكفها وكحل بعينها وأثوابها الصفر
● وقال فيها :

نموذج كرية !

ولا تستطيع الكحل من ضيق عينها فإن عاجلته صار فوق المحاجر

(١) فهى معمرة بلغت من الكبر عتيا فهى كما قال : أقدم العالم فى الميلاد .
(٢) انمحق الهلال لثلاث ليال فى آخر الشهر لا يكاد يُرى لخفائه والاسم : المحاق بالضم . والكسر

وفي حاجبها حزة كغرارة (١) فإن حلقا كانا ثلاث غرائر
وثديان : أما واحد فهو مزود (٢) وآخر فيه قربة للمسافر

● وقال فيها :

يتعوذ الشيطان منها !

لها جسم برغوثٍ وساقا بعوضةٍ ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
وتبرق عيناها إذا ما رأيته وتعبس في وجه الضجيع وتكلح
لها مضحك كالخش (٣) تحسب أنها إذا ضحكت في أوجه القوم تسلح
وتفتح - لا كانت - فما لو رأيته توهته بابا من النار يفتح
إذا عاين الشيطان صورة وجهها تعوذ منها حين يمسي ويُصبح

● وقال أعرابي في سوداء :

كأنها والكحل في مرودها تكحل عينها ببعض جلدها

● وقال فيها :

أشبهك المسك وأشبهته قائمة في لونها قاعدة
لا شك إذ لونكما واحد أنكما من طينة واحدة

★ ★ ★

(١) الغرارة : الجوالق . « الجوال » .

(٢) المزود : وعاء يحمل فيه الزاد .

(٣) الخش : (مثلثة) المخرج ؛ لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين .

فى مكر النساء وكيدهن

الفسانى والكندى وهند :

جاهل مغرور من غره النساء بود !

• وقال الهيثم بن عدى : غزا الفسانى الحارث بن عمرو آكل المزار الكندى ، فلم يصبه فى منزله ، فأخذ ما وجد له ، واستاق امرأته ، فلما أصابها أعجبت به ، فقالت له : انج ، فوالله لكأنى أنظر إليه يتبعك فاعرا فاه ، كأنه بعير آكل مزار ! وبلغ الحارث ، فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله ، وأخذ ما كان معه ، وأخذ امرأته ، فقال لها : هل أصابك ؟ .

قالت : نعم والله ما اشتملت النساء على مثله قط ! .

فأمر بها فأوقفت بين فرسين ، ثم استحضرهما حتى تقطعت ثم قال : كل أنثى وإن بدا لك منها آية الود حبها خيثعور^(١) إن من غره النساء بود بعد هند لجاهل مغرور

أقوال فى مكر النساء وكيدهن :

• وقالت الحكماء : لا تثق بامرأة ، ولا تغتر بمال وإن كثر .

• وقالوا : النساء حبايل الشياطين ! .

(١) امرأة خيثعور : لا يدوم ودها .

ليس مخضوب البنان يمينا !

● قال الشاعر :

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن
وصنها وإن كانت تقي لك ، إنها
وإن هي أعطتك اللبان فإنها
وإن حلفت لا ينقض النأى عهدا
وإن أسبلت يوم الفراق دموعها
جزوعاً إذا بانث فسوف تبين^(١)
على مدد الأيام سوف تخون
لآخر من طلابها سلتين
فليس لمخضوب البنان يمينا^(٢)
فليس لعمر الله - ذاك يقين

★ ★ ★

● وقالت الحكماء : لم تنه امرأة قط عن شيء إلا فعلته !

★ ★ ★

● وقال طفيل الغنوى :

إن النساء متى ينهين عن خلق
فإنه واقع لابد مفعول

فاحبسه عن بيتها يا حابس الفيل

● وعن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال :

أرسل عبد الله بن همام السلولى شابا إلى امرأة ليخطبها عليه . فقالت
له : فما يمنعك أنت ؟ فقال لها : ولى طمع فيك ! .

(١) البين البعد والفراق ، ومصر المجتمعين يفترقان وبينان .

(٢) مخضوب البنان : كناية عن المرأة ؛ هى التى تخضب أصابعها بالخضاب والحناء .

قالت : ماعنك رغبة^(١) ! فتزوجها ثم انصرف إلى ابن همام ، فقال له : ما صنعت ؟ قال : والله ماتزوجتني إلا بعد شرط ! .

قال : أو لهذا بعثتك ؟ .. ثم قال في ذلك :

رأت غلاماً على شرط الطلبة لا يعيا بإرقاص بردى الخلاخيل^(٢)
مبطناً بدخيس اللحم تحسبه مما يصور في تلك التماثيل
أكفا من الكفاء في عقد النكاح وما يعياه حل هميان السراويل^(٣)
تركها والأيامي غير واحدة فاحبسه عن بيتها يا حابس الفيل

★ ★ ★

السلولى وامرأة خطبها :

ياليتى المجمعول فى النار !

● وعن الهيثم بن عدى عن ابن عياش قال :

كان النساء يجلسن لخطابهن ، فكانت امرأة من بنى سلول تخطب ، وكان عبد الله ابن همام السلولى يخطبها ؛ فإذا دخل عليها تقول له : فداك أبى وأمى ! وتقبل عليه تحذته .

● وكان شاب من بنى سلول يخطبها ، فإذا دخل عليها الشاب وعندها عبد الله بن همام قالت للشباب : قم إلى النار ! .

وأقبلت بوجهها وحديثها على عبد الله ، ثم إن الشاب تزوجها ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن همام قال :

(١) رغب فيه ، أراده ، ورغب عنه كرهه ، وقد قالت له : ما عنك رغبة : أى لست منصرفة عنك إلى غيرك وإنى لراغبة فيك .

(٢) قادر على المعاشرة الجنسية هى كناية جميلة ، وقريب منه : رقصت على قدميه .

(٣) السراويل : ما يلبس أسفل الجسم . والجمهور على أنها أعجمية وقيل عربية .

أودى بحب سليمى فاتك لقن (١) كحبة برزت من بين أحجار
إذا رأتنى تفدينى وتجعله فى النار ، ياليتنى المجمعول فى النار

★ ★ ★

ماذا تظن سليمى ؟!

● وله فيها :

ماذا تظن سليمى إن ألم بها رجل الرأس ذو بردين مزاح
حلّو فكاهته ، خز (٢) عمامته فى كفه من رقى الشيطان مفتاح

★ ★ ★

● وفى حكمة داود :

وجدت من الرجال واحدا فى ألف ! .

ولم أجد واحدة فى النساء جميعا ! .

الشيب والنساء

الغانيات والشيب :

● قال محمود الوراق :

لاتطلبن أثرا بعين فالشيب إحدى الميتين
أبدى مقابح كل شين ومحا محاسن كل زين

(١) لقن كَفَرَح : السريع الفهم .

(٢) الخز : الحرير ، وما نسج من صوف وحرير . كناية عن الترف والغنى .

رأين منك غراب بين (١)	فإذا رأيت الغانيات
لك وكن طوعا لليدين	ولربما نافسن في—
وأنت سهل العارضين (٢)	أيام عممك الشباب
ب وصرت بين عمامتين	حتى إذا نزل المشي
ضياء المناشر كاللجين (٣)	سوداء حالكة وي—
لهن فكن أمراً بين (٤)	مزج الصدود وصا
د على مصانعة ودين	وصبرن ما صبر السوا
ب فحاز قطر الحاجين	حتى إذا شمل المشي
وأخذن منك الأطييين	قفين شر قفية
سك أو فناد الفرقدين	فاقن الحياء وسل نف—
ب بكل مكروه وشين	ولئن أصابتك الخطو
بك ناظر أبدا بعين	فلقد أمنت بأن يصي—

• وقال حبيب الطائي :

لما تمكن حبا من مقلتي	نظرت إلى بعين من لم يعدل
صدت صدود مجانب متحمل	لما رأيت وضع المشيب بلمتي
والشيب يغمرها بالأا تفعل	فجعلت أطلب وصلها بتلطف

• وقال آخر :

عنى بمطروفة إنسانها (٥) غرق	صدت أمانة لما جئت زائرها
كذاك يصفر بعد الخضرة الورق !	وراعها الشيب في رأسي فقلت لها:

(١) البين : الفراق ، وغراب البين ينذر بفراق عندما ينطق .

(٢) العارض : صفحة الخد ، وسهولة الخد رمز الشباب ، فلم تحمل به بعد تجاعيد الشيخوخة .

(٣) اللجين : الفضة .

(٤) بين إقبال وتمتع .

(٥) إنسان العين : حدقتها .

● وقال محمد بن أمية :

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحَ بَعَارِضِي فَأَعْرَضَنِي عَنِ الْخُدُودِ الْنَوَاضِرِ
وَكَنْتُ إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَوْ سَمِعْتَنِي دُنُونُ فِرْقَعِنِ الْكُؤَى بِالْمَحَاجِرِ

● وقال العلوي :

عَيَّرْتَنِي بِشَيْبِ رَأْسِي نَوَارُ يَا بَنَةَ الْعَمِّ ، لَيْسَ فِي الشَّيْبِ عَارُ
إِنَّمَا الْعَارُ فِي الْفِرَارِ مِنَ الزَّحَا — فِإِذَا قِيلَ : أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ !؟

● وقال آخر :

مَاذَا تَرِيدِينَ مِنْ جَهْلِي وَقَدْ غَبِرْتُ^(١)

سَنُو شِبَابِي وَهَذَا الشَّيْبُ قَدْ وَخَطَا
أَرْقَعَ الشَّعْرَةَ الْبَيْضَاءَ مَلْتَقَطَا
فَيَصْبِحُ الشَّيْبُ لِلْسُودَاءِ مَلْتَقَطَا
وَسَوْفَ لَا شَكَّ يَعْينِي فَأَتْرَكُهُ
فَطَلَمَا أُعْمَلُ الْمَقْرَاضُ وَالْمَشْطَا

أَبُو دَلْفٍ وَالْمَأْمُونُ :

● دخل أبو دلف على المأمون ، وعنده جارية له ، وقد ترك الخضاب
أبو دلف ، فغمز المأمون الجارية ، فقالت له : شبت أبا دلف ، إنا لله وإنا إليه
راجعون لا عليك ! .

فسكت أبو دلف ، فقال له المأمون : أجيبا أبا دلف ، فأطرق ساعة ثم
رفع رأسه فقال :

تَهَزَّأتُ أَنْ رَأَيْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَهَزَّيْ مِنْ يَطْلُ عَمْرُهُ يَشِبُّ
شَيْبُ الرِّجَالِ لَهُمْ زَيْنٌ وَمَكْرَمَةٌ وَشَيْبُكَ لَكِنَّ الْوَيْلَ فَاكْثَشِبِي
فِينَا لَكِنْ - وَإِنْ شَيْبٌ بَدَا - أَرَبُّ وَلَيْسَ فَيَكُنْ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ أَرَبِّ^(٢)

(١) غبرت : مرت ومضت .

(٢) أرب : رغبة وحاجة .

الباب السادس

أبغض الحلال إلى الله

(الطلاق)

- من ملح الأصمعي وغريبه
- المغيرة وزوجته فارعة
- الحسن وعائشة بنت طلحة
- إلى غير رجعة !
- فارقها قبل أن تفرق شمله .
- قمة الكراهية .
- هكذا تكون الإخوان !
- بانث فلم يَألم لها قلبى !
- ألد من ليلة العرس !
- تلك راضية بموضعها
- محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها
- وصلتك رَحِمَ
- من طلق امرأته ثم تبعها نفسه
- إن الغزال الذى ضيعت مشغول
- ما كنت لتعذب عينين نظرنا إلى سعدى
- ابن أبى بكر وامرأته .
- وكانت جنتى فخرجت منها !
- من أخبار النوار
- إن فى نفسى من النوار شيئا
- أبعد صحبة خمسين عاما ؟

رُضت الصعاب فلم تُحسن رياضتها

بين يدي هذا الباب للمحقق

بنى الطلاق ، كما بنى الزواج ، في المجتمعات الأولى على عادات الفطرة :
الذكر يطلب الأنثى ولا تطلبه .

والرجل يخطب المرأة ولا تخطبه .

وعلى هذه العادة الفطرية درج نظام الطلاق مع الزواج باختيار الرجل وحده ، وجرى القانون على ما جرى به العرف بعد قيام القوانين بعد المرحلة البدائية من مراحل الاجتماع ^(١) .

وشريعة القرآن الكريم في مسألة الطلاق شريعة دنيا ودين تنظر إلى طبائع الرجال والنساء . .

فالطلاق في الإسلام قسوة مكروهة ؛ لأنه أبغض الحلال إلى الله كما قال النبي ﷺ .

ولم تخل آية عرضت للطلاق من تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن الإساءة والإيذاء والحث على مغالبة الشح والتقتير .

وما من وسيلة تنجح في اجتناب الفرقة بين الزوجين إلا ونصح بها القرآن الكريم لكل منهما فيما يطلب من الرجل أو يطلب من المرأة ، وترجى منه الفائدة في الواقع .

فإذا نفدت حيلة المراجعة ، وانتظار المهلة ، وبطلت مساعي الصلح بين الأهل والأقارب وأسفرت تجربة الطلقة الراجعة مرة بعد مرة عن قلة اكتراث للجفاء وإصرار على الفراق فليس في الزواج إذن بقية تحمى من الطلاق .

(١) عباس محمود العقاد في كتابه « المرأة في القرآن » .

ولعل الطلاق يومئذ أرحم بالمرأة من علاقة منغصة تربطها برجل
يجفوها ، ويخل عليها بقوتها ويتمنى لها الموت ليبعد عنها ، إذ كانت عشرتها
غلا في عنقه لا يفصمه غير الموت .

ولا إيذاء في هذا الطلاق للزوج ولا للزوجة ولا للمجتمع إذ لابقاء إذن
لشيء يصح أن يسمى بالزواج .

وإليك ما قدمه ابن عبد ربه :

الرشيد والأصمعي

ملح الأصمعي وغرائبه :

وأنت أيضا طالق إن أجاز زوجك !!

• محمد بن الغار قال : حدثني عبد الرحمن بن محمد ابن أخي
الأصمعي قال : سمعت عمي يقول : توصلت بالملح ، وأدركت بالغريب .

• وقال عمي للرشيد في بعض حديثه :

بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلا من العرب طلق في يوم خمس نسوة ! .

قال : إنما يجوز ملك الرجل على أربع نسوة ، فكيف طلق خمسا ؟ .

قال : كان لرجل أربع نسوة ، فدخل عليهن يوما ، فوجدهن متلاحيات
متنازعات ، - وكان شنطيرا (١) - فقال : إلى متى هذا التنازع ؟ .

ما إخال هذا الأمر إلا من قبلك - يقول ذلك لامرأة منهن - اذهبي
فأنت طالق ، فقالت له صاحبتها :

عجلت عليها بالطلاق ، ولو أدبتها بغير ذلك لكان حقيقا ! .

فقال لها : وأنت أيضا طالق .

(١) الشنطير السوء الخلق الفحاش .

فقلت له الثالثة :

قبحك الله ! فو الله لقد كانتا إليك محسنتين ، وعليك مفضلتين ! .

فقال : وأنت أيتها المعددة أيديهما طالق أيضا ! .

فقلت له الرابعة : وكانت هلالية وفيها أناة شديدة :

ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق ! .

فقال لها : وأنت طالق أيضا ! .

وكان ذلك بمسمع جارة له ، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه ،

فقلت :

والله ماشهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم
ووجدوه فيكم أبيت إلا طلاق نسائك في ساعة واحدة ! .

قال : وأنت أيضا أيتها المؤنبة المتكلفة طالق ، إن أجاز زوجك ، فأجابه
من داخل بيته : قد أجزت ! قد أجزت ! .

★ ★ ★

المغيرة وزوجته فارعة

كُنْتُ فَبْنْتُ !!

● ودخل المغيرة بن شعبة على زوجته فارعة الثقفية وهى تتخلل حين انفلت من صلاة الغداة ، فقال لها : لئن كنت تتخللين من طعامك اليوم إنك لجشعة ، وإن كنت تتخللين من طعام البارحة إنك لشبعة ، كنت فبنت ! . فقالت : والله ما اغتبطنا (١) إذ كنا ، ولا أسفنا إذ بنا (٢) ، وما هو لشيء مما ذكرت ، ولكنى استكت فتخللت لسواك ، فخرج المغيرة نادما على ما كان منه ، فلقيه يوسف بن أبى عقيل فقال له :
إنى نزلت الآن عن سيدة نساء ثقيف ، فتزوجها ، فإنها ستنجب فتزوجها فولدت له الحجاج .

الحسن وعائشة بنت طلحة

رد الجميل :

● وقال الحسن بن على بن حسين لامراته عائشة بنت طلحة : أمرك بيدك ! فقالت : قد كان عشرين سنة بيدك ، فأحسنست حفظه ، فلم أضيعه إذ صار بيدي ساعة واحدة ، وقد صرفته إليك ! فأعجبه ذلك منها وأمسكها .

لرجل فى طلاق امرأته

إلى غير رجعة ! :

● وقال أبو عبيدة : طلق رجل امرأته وقال :

لقد طلقت أخت بنى غلاب طلاقا ما أظن له ارتداداً

(١) ما اغتبطنا : ما سررنا بزواجنا منك .

(٢) بنا : ولا حزنا إذ كان الفراق ! .

ولم أك كالمعدل أو أويس إذا ما طلقا ندما فعادا (١)

فارقها قبل أن تفرق شمله :

• ونكح رجل امرأة من عدى فلما اهتداها رأت ربع داره أحسن ربع ،
وشمل عياله أجمل شمل ، فقالت :

أما والله لئن بقيت لهم ، لأشتن أمرهم ، وقالت :
في ذلك :

أرى ناراً سأجعلها إرينا وأترك أهلها شتى عزيزنا
فلما انتهى ذلك إلى زوجها طلقها وقال في ذلك :

ألا قالت هدى بنى عدى أرى ناراً سأجعلها إرينا (٢)
فبينى قبل أن تلحى عصانا ويصبح أهلنا شتى عزيزنا

قمة الكراهية !

• وقيل لابن عباس :

ما تقول في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء ؟ .

قال : يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزاء ! (٣) .

لا أمل فيه ! .

• وقيل لأعرابي : هل لك في النكاح ؟ .

قال : لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها !! .

(١) قال أبو عبيدة : طلاق المعدل وأويس يضرب به المثل . (٢) نيراناً .

(٣) الجوزاء برج في السماء .

هكذا تكون الإخوان !

• وعن الزهرى قال :

قال أبو الدرداء لامرأته : إذا رأيتنى غضبت فترضينى ، وإن رأيتك
غضبت ترضيتك ، وإلا لم نصطحب ! .

قال الزهرى : وهكذا تكون الإخوان ! .

بانت فلم يَألم لها قلبى !!

• قال الأصمعى :

كنت أختلف إلى أعرابى أقتبس منه الغريب ، فكنت إذا استأذنت عليه
يقول : يا أمانة ائذننى له . فتقول : ادخل .

فاستأذنت عليه مرارا فلم أسمع به يذكر أمانة ، فقلت : يرحمك الله ، ما
أسمعك تذكر أمانة ، قال : فوجم وجمة ، فندمت على ما كان منى ، ثم أنشأ
يقول :

ظننت أمانة بالطلاق	ونجوت من غل الوثاق
بانت فلم يَألم لها	قلبى ، ولم تبك المآق
لو لم يرح بطلاقها	لأرحت نفسى بالإباق (١)
ودواء مالا تشتهي	له النفس تعجيل الفراق
والعيش ليس يطيب من	إلفين من غير اتفاق

ألد من ليلة العرس !

• وعن الشيبانى : طلق أبو موسى امرأته وقال فيها :

تجهزى للطلاق وارتحلى فذا دواء المجانب الشرس

(١) الإباق : الحرب .

ما أنت بالحنة الولود ولا
لليلى حين بنت طالقة
بت لديها بشر منزلة
تلك على الخسف لانظير لها
عندك نفع يُرجى للتمس
ألد عندى من ليلة العرس
لا أنا فى لذة ولا أنس
وإننى ما يسوغ لى نفسى^(١)

ابن زَبَّان والزَّيْبِر :

تلك راضية بموضعها

● أقبل منظور بن زبان بن سيار الفزارى إلى الزبير فقال : إنما زوجناك ولم
نزوج عبد الله ! .

قال : ماله ؟ قال : 'إنها تشكوه' . قال : يا عبد الله طلقها ! .

قال عبد الله : هى طالق ! قال ابن منظور : أنا ابن قهرم .

قال الزبير : أنا ابن صفية . أتريد أن يطلق المنذر أختها ؟ .

قال : لا . تلك راضية بموضعها .

خديجة بين محمد وإبراهيم :

محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها !

● وتزوج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان خديجة بنت
عروة بن الزبير ، فذكر له جمالها - وكان يقال له : المذهب من حسنه وكان
رجلا مطلقا - فقالت : محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها ! فلما طلقها خطبها
إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ؛ فكتب إليها :

(١) الخسف : الذل .

أعيزك بالرحمن من عيش شقوة وأن تطمعي يوماً إلى غير مطمع
إذا ما ابن مظعون تحدر وسقه عليك فبؤى بعد ذلك أو دعى (١)

الحجاج وزواجه بابنة جعفر :

وصلتك رَحْمٌ

● وعن العتيبي عن أبيه قال : أمهر الحجاج ابنة عبد الله بن جعفر تسعين ألف دينار ، فبلغ ذلك خالد بن يزيد بن معاوية ، فأهل عبد الملك ، حتى إذا أطبق الليل ، دق عليه الباب ؛ فأذن له عبد الملك ، ودخل عليه ، فقال له : ما هذا الطروق أبا يزيد ؟ قال : أمر والله لم ينتظر له الصبح ، هل علمت أن أحداً كان بينه وبين من عادى ما كان بين آل أبي سفيان وآل الزبير بن العوام ؟ فإني تزوجت إليهم ، فما في الأرض قبيلة من قريش أحبُّ إلى منهم ، فكيف تركت الحجاج وهو سهم من سهامك يتزوج إلى بني هاشم ، وقد علمت ما يقال فيهم في آخر الزمان ؟ قال : وصلتك رَحْمٌ .

● وكتب إلى الحجاج يأمره بطلاقها ، وألا يراجعه في ذلك ، فطلقها ، فاتاه الناس يعزونه ، وفيهم عمرو بن عتبة ، فجعل الحجاج يقع بخالد ويتنقصه ويقول : إنه صير الأمر إلى من هو أولى به منه ، وإنه لم يكن لذلك أهلاً ! .
فقال له عمرو بن عتبة : إن خالداً أدرك من قبله ، وأتعب من بعده وعلم علماً فسلم الأمر إلى أهله ، ولو طلب بقديم لم يغلب عليه ، أو بحديث لم يسبق إليه .

فلما سمعه الحجاج استحي ، فقال : يا بن عتبة ، إننا نسترضيكم بأن نعتب عليكم ونستعطفكم بأن ننال منكم ؛ وقد غلبتم على الحلم فوثقنا لكم به ، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا ، فتعرضنا للذين تحبون .

(١) بؤى : عودى .

من طلق امرأته ثم تبعها نفسه

بين العريان وبنت عمران :

إن الغزال الذى ضيعت مشغول

● الهيثم بن عدى قال : كانت تحت العريان بن الأسود بنت عم له ، فطلقها فتبعها نفسه ؛ فكتب إليها يُعرض لها بالرجوع فكتبت إليه :
إن كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا إن الغزال الذى ضيعت مشغول
فكتب إليها :

من كان ذا شُغلٍ فالله يكلِّه وقد هونا به والحبل موصول
وقد قضينا من استطرافه طرفاً وفى الليالى وفى أيامها طول !!

الوليد وزوجته سعدى :

ماكنت لتعذب عينين نظرنا إلى سعدى !

● وطلق الوليد بن يزيد امرأته سعدى ، فلما تزوجت اشتد ذلك عليه ، وندم على ما كان منه ؛ فدخل عليه أشعب ، فقال له : أبلغ سعدى عنى رسالة ، ولك منى خمسة آلاف درهم ! فقال : عجلها ، فأمر له بها ، فلما قبضها قال : هات رسالتك .

فأنشده :

أسعدى ما إليك لنا سبيل ولا حتى القيامة من تلاقٍ ؟!
بلى ، ولعل دهرأ أن يوائى بموت من خليلك أو فراق !!

فأتاها فاستأذن ، فدخل عليها ، فقالت له : ما بدالك في زيارتنا
يا أشعب ؟ .

فقال : ياسيدي ، أرسلني إليك الوليد برسالة . وأنشدها الشعر ، فقالت
لجواربها : خذن هذا الخبيث ! .

فقال : ياسيدي ، إنه جعل لي خمسة آلاف درهم ! .

قالت : والله لأعاقبك أو لتبلغن إليه ما أقول لك .

قال : سيدتي اجعلي لي شيئا .

قالت : لك بساطي هذا .

قال : قومي عنه ! فقامت عنه ، وألقاه على ظهره ، وقال : هاتي
رسالتك ، فقالت :

أنشده :

أتبكي على سعدى وأنت تركتها فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع ؟
فلما بلغه وأنشده الشعر ، سقط في يده ، وأخذته كظمة ، ثم سرى
عنه .

فقال : اختر واحدة من ثلاث :

إما أن نقتلك ، وإما أن نطرحك من هذا القصر ، وإما أن نلقيك إلى
هذه السباع ! فتحير أشعب وأطرق حيناً ؛ ثم رفع رأسه فقال : ياسيدي ،
ما كنت لتعذب عينيّن نظرنا إلى سعدى ! فتبسم وخلي سبيله .

ابن أبي بكر وامراته

في غير شيء تطلق !

• ومن طلق امرأته فتبعها نفسه ، عبد الرحمن بن أبي بكر : أمره أبوه
بطلاقها ، ثم دخل عليه فسمعه يتمثل :

فلم أر مثلى طلق اليوم مثلها ولم أر مثلها فى غير شىء تطلق
فأمره بمراجعتها .

الفرزدق ونوار :

وكانت جنتى فخرجت منها !

● ومن طلق امرأته فتبعها نفسه ، الفرزدق الشاعر : طلق النوار ، ثم
ندم فى طلاقها وقال :

ندمت ندامة الكسعى لما	غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها	كآدم حين أخرجه الضرار
فأصبحت الغداة ألوم نفسى	بأمر ليس لى فيه خيار

من أخبار النوار :

● وكانت النوار بنت عبد الله قد خطبها رجل رضىته ، وكان وليها غائباً ،
وكان الفرزدق وليها إلا أنه كان أبعد من الغائب ؛ فجعلت أمرها إلى الفرزدق ،
وأشهرت له بالتفويض إليه ، فلما توثق منها بالشهود ، أشهدهم أنه قد زوجها من
نفسه ! فأبت منه ، ونافرته إلى عبد الله بن الزبير ، فنزل الفرزدق على حمزة بن
عبد الله [ابن الزبير] ، ونزلت النوار على زوجة عبد الله بن الزبير ، وهى بنت
منظور بن زيان ، فكان كل ما أصلح حمزة من شأن الفرزدق نهراً أفسدته المرأة
ليلاً ، حتى غلبت المرأة ، وقضى ابن الزبير على الفرزدق ، فقال :

أما النون فلم تقبل شفاعتهم وشُفَعَتْ بنت منظور بن زياناً
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتراً مثل الشفيع الذى يأتيك عرياناً

● وقال الفرزدق فى مجلس ابن الزبير :

وما خاصم الأقوام من ذى خصومة كورهاء (مدنؤ) إليها خليلها (١)
فدونكها يابن الزبير فإنها ملعنة يوهى الحجاره قيلها (٢)

(٢) قولها يفلق الحجر ويضعفه .

(١) الورهاء : الخرقاء .

فقال ابن الزبير :

إن هذا شاعر ، وسهبجوني ، فإن شئت ضربت عنقه ، وإن كرهت ذلك ؛ فاختارى نكاحه ، وقرى . فقرت واختارت نكاحه ، ومكثت عنده زمانا ، ثم طلقها ، وندم في طلاقها .

★ ★ ★

إن في نفسي من النوار شيئا !

● وعن الأصمعي عن المعتمر بن سليمان عن أبي مخروم عن رواية الفرزدق قال : قال لي الفرزدق يوما :

امض بنا إلى حلقة الحسن فإني أريد أن أطلق النوار ! فقلت له : إني أخاف أن تتبعها نفسك ، ويشهد عليك الحسن وأصحابه . قال : انهض بنا . فجئنا حتى وقفنا على الحسن ، فقال الفرزدق : كيف أصبحت أبا سعيد ؟ قال : بخير ، كيف أصبحت يا أبا فراس ؟ فقال : تعلمن أني طلقت النوار ثلاثا ! قال الحسن وأصحابه : قد سمعنا ، فانطلقنا ، فقال لي الفرزدق : يا هذا ، إن في نفسي من النوار شيئا ! فقلت : جذرتك ! فقال :

ندمت ندامة الكسعي لما	غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها	كآدم حين أخرجه الضراؤ
ولو أني ملكت بها يميني	لكان على للقدر الخيار

قيس بن ذريح وطلاق امرأته :

فأصبحت الغداة ألوم نفسي !

● ومن طلق امرأته وتبعها نفسه ، قيس بن ذريح ، وكان أبوه أمير بطلاقها فطلقها وندم ، فقال في ذلك :

فوا كبدي على تسريح لبنى فكان فراق لبنى كالخداع
تكنفنى الوشاة فأزعجوني فيا للناس اللواشى المطاع
فأصبحت الغداة ألوم نفسى على أمر وليس بمستطاع
كمغبون يعرض على يديه تبين غبنه بعد البيع

أبعد صحبة خمسين سنة ؟!

● وطلق رجل امرأته فقالت : أبعد صحبة خمسين سنة ؟!

فقال : مالك عندنا ذنب غيره !! .

رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها

ابن أم الحكم بين رجل وامرأته :

● العتبى قال : جاء رجل بامرأة كأنها برج فضة ، إلى عبد الرحمن بن أم الحكم وهو على الكوفة ، فقال : إن امرأتى هذه شجتنى ! فقال لها : أنت فعلت به ؟ .

قالت : نعم ، غير متعمدة لذلك ؛ كنت أعالج طيباً ، فوقع الفهر من يدي على رأسه ، وليس عندي عقل ، ولا تقوى يدي على القصاص ! .

فقال عبد الرحمن للرجل : يا هذا علام تحبسها وقد فعلت بك ما أرى ؟ قال : أصدقته أربعة آلاف درهم ، ولا تطيب نفسى بفراقها ! .

قال : فإن أعطيتها لك أتفارقها ؟ قال : نعم . قال : فهى لك . قال :

هى طالق إذا ! فقال عبد الرحمن : احبسى علينا نفسك . ثم أنشأ يقول :

ياشيخ ويحك من دلاك بالغزل قد كنت ياشيخ عن هذا بمعتزل
رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها فاعمد لنفسك نحو الجلة الذل^(١)

(١) الجلة : الأجلاء ، الذلل المتواضعين . اسلك نفسك مع هؤلاء فلا شأن لك بالغزل .

الباب السابع

في النوادر والتعازي والمراثي

• قال الحكماء :

« أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء » .

• وقالوا :

« كل شيء يبدو صغيرا ثم يعظم إلا المصيبة فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر !! » .

• قيل لأعرابي :

ما بال المراثي أشرف أشعاركم ؟ .

قال : « ... لأننا نقولها وقلوبنا محترقة !! » .

• مع الفطن الذكية ، والألفاظ الشجية التي ترق القلوب القاسية ،

وتذيب الدموع الجامدة .. مع النوادر والمراثي .. والتعازي .. مع

« ابن عبد ربه »

في النوادب والتعازي والمرائي

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

... ونحن قائلون بعون الله في النوادب والمرائي ، والتعازي بأبلغ ما وجدناه من الفطن الذكية ، والألفاظ الشجية ، التي ترق القلوب القاسية ، وتذيب الدموع الجامدة ، مع اختلاف النوادب عند نزول المصائب :

فنادبة تثير الحزن من ربضته ، وتبعث الوجد من رقدته ، بصوت كترجيع الطير ، وتقطع أنفاس المآثم ، وترك صدعا في القلوب الجلامد ! .
ونادبة تحفض من نشيجها ، وتقصد في نحيبها ، وتذهب مذهب الصبر والاستسلام ، والثقة بجزيل الثواب ! .

- قال عمرو بن ذر : سألت أبا ، ما بال الناس إذا وعظتهم بكوا ، وإذا وعظهم غيرك لم يبكوا ؟ .
- قال : يا بني ، ليست النائحة التكلي مثل النائحة المستأجرة ! .
- وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : ما بال المرائي أشرف أشعاركم ؟ قال : لأننا نقولها ، وقلوبنا محترقة .

- وقال الحكماء : أعظم المصائب كلها انقطاع الرجاء ! .
- وقالوا : كل شيء يبدو صغيرا ثم يعظم إلا المصيبة فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر ! .

البكاء على الميت

- لإبراهيم بن محمد بن عبد ربه : لا يكون البكاء إلا من فضل ، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء . وأنشد :

فلئن بكيناه لحق لنا ولئن تركنا ذاك للصبر
فلمثله جرت العيون ذماً ولمثله جمدت فلم تجر

الأحف وباكية !

● مر الأحنف بامرأة تبكي ميتاً ، ورجل ينهاها ، فقال له : دعها ، فإنها
تندب عهداً قريباً ، وسفراً بعيداً .

النبي وباكيات من الأنصار

● ولما بكت نساء أهل المدينة على قتلى أحد قال النبي ﷺ : « لكن حمزة
لاباكية له ذلك اليوم ! » فسمع ذلك أهل المدينة ، فلم يقيم لهم مأتم إلى اليوم
إلا ابتدأن فيه البكاء على حمزة ! .

وقال النبي ﷺ : « لولا أن يشق على صفية مادفنته حتى يحشر من
حواصل الطير وبطن السباع » .

القول عند الموت

الرسول ﷺ في قبضه :

● حماد بن سلمة عن ثابت بن مالك قال : كانت فاطمة جالسة عند
رسول الله ﷺ ، فتواكدت (١) عليه كرب الموت ، فرفع رأسه وقال :
واكرباه ! .

فبكت فاطمة وقالت : واكرباه لكربك يَا بُتَاهُ ! قال : لا كرب على
أبيك بعد اليوم ! .

فاطمة رضي الله عنها - مع أبيها عند قبضه

● الرياشي عن عثمان بن عمر عن إسرائيل عن ميسرة بن حبيب ، عن

(١) تواكدت : اشتدت .

المنهال بن عمرو ، عن عائشة بنت طلحة ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :
مارأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله ﷺ من فاطمة .

وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها فقبلها ، ورحب بها وأجلسها في
مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ، ورحبت به ، وأخذت بيده فقبلتها .
فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه ، فأسر إليها فبكت ، ثم أسر إليها
فضحكت ، فقلت : كنت أحسب لهذه المرأة فضلاً على النساء ، فإذا هي
واحدة منهن ، بينما هي تبكي إذ هي تضحك ! .

فلما توفي الرسول ﷺ سألتها ؛ فقالت : أسرّ إلى فأخبرني أنه ميت ؛
فيكيت !؛ ثم أسرّ إليّ أني أول أهل بيته لحوقاً به فضحكت ! .

عائشة - رضى الله عنها - مع أبيها في احتضاره

● القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - أنها
دخلت على أبيها في مرضه الذي مات فيه ، فقالت له : يأبت ، اعهد إلى
خاصتك ، وأنفذ رأيك في عامتك ، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك ؛
وإنك محضور ^(١) ، ومتصل بقلبي لوعتك ، وأرى تخاذل أطرافك ، وانتقاع
لونك ^(٢) ؛ فإلى الله تعزيتي عنك ، ولديه ثواب حزني عليك ، أرقاً فلا
أرقاً ^(٣) ، وأشكواً فلا أشكواً ^(٤) .

فرفع رأسه فقال : يابنية ، هذا يوم يحل فيه عن غطائي ، وأعابني
جزائي ، إن فرحاً فدائم ، وإن نوحاً فمقيم .

(١) أي حضرته الوفاة .

(٢) انتقع لونه : تغير واختطف لأمر أصحابه كالخزن والنزع (لغة في امتنع) .

(٣) أحاول تخفيف دمي فلا يجف ولا يسكن .

(٤) عندما أشكوا لا يزيل أحد شكواي بعد فقدك .

إني اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم ، حيث كان النكوص (١) إضاعة ،
والحذر تفريطاً ؛ فشهدى الله ما كان بقلبي إلا إياه ؛ فتبلغت بصحفتهم (٢) ،
وتعللت بذرة لقحتهم (٣) ، وأقمت صلاي معهم ، لا مختالاً أشراً ،
ولا مكابراً بطراً ، لم أعد سداً لجوعة ، وتوريةً لعورة ، طوى ممغص تهفو له
الأحشاء ، وتجب له الأمعاء ؛ واضطرتت إلى ذلك اضطرار الجرض إلى المعيف
الآجن (٤) ، فإذا أنا مت فردى إليهم صحفتهم ، ولقحتهم ، وعبدتهم ، ورحالهم ،
ودثارة (٥) ما فوق اتقيت بها أذى البرد ، ودثارة ما تحتى اتقيت بها أذى
الأرض . كان حشوهما قطع السعف .

عمر وعائشة رضى الله عنهما مع أبى بكر فى احتضاره

● ودخل عليه عمر فقال : يا خليفة رسول الله ﷺ ، لقد كلفت
القوم بعدك تعباً ، ووليتهم نصباً ، فهيئات من شق غبارك (٦) ! وكيف
باللحاق بك ؟!

وقالت عائشة وأبوها يُغمضُ :
وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى ، عصمة للأرامل
فنظر إليها وقال :

ذلك رسول الله ﷺ . ثم أغمى عليه ، فقالت :
لعمرك ما يُغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

-
- (١) تحملت مسئوليتهم وقتما كان التراجع عن تحمل المسئولية إضاعة للمسلمين .
(٢) تبلغت بصحفتهم : شاركهم طعامهم ، والبلغة ما يتبلغ به من العيش .
(٣) شاركهم شهرهم مرة بعد أخرى . واللقحة : الناقة الحامل .
(٤) الجرض : من جف ريقه ويغص به وفى هذه الحالة يرضى بما تعافه النفس من الماء الآجن
الذى تغير طعمه ولونه .
(٥) الدثارة : ما يتدثر به الإنسان ويتغطى .
(٦) شق غباره : لحق به وهيئات ذلك . وبعد على كل من يحاول ومثله قول عمر رضى الله عنه
فى أبى بكر بعد أن تولى الخلافة عقبه : لقد أجهد من يأتى بعده .

قالت : فنظر إلى كالغضبان وقال لى :
﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ (١) .
ثم قال : انظروا ملاءتني فاعسلوهما ، وكفنوني فيهما ؛ فإن الحى أحوج إلى
الجديد من الميت ! .

لما عاوية فى النساء

• وقال معاوية ، - وذكر عنده النساء - :
ما مرض المرضى ، ولا ندب الموتى مثلهن .

الوقوف على القبور والقول عند الموت

• فاطمة على قبر أبيها :

وقفت فاطمة - رضى الله عنها - على قبر أبيها عليه السلام فقالت :
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها (١) وغاب مذهب عنا الوحى والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا . لما نعت وحالت دونك الكتب (٢)

• حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : لما فرغنا من دفن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلت على فاطمة فقالت : يا أنس ، كيف طابت أنفسكم ، أن
تحشوا على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟
ثم بكى ، ونادت : يا أبتاه ! أجاب ربا دعاه ؛ يا أبتاه ! من ربه ما أدناه ؛

(١) قبر : ١٩ .

(٢) الوابل : المطر ، وهو حياة الأرض ، وما أشد شوقها إليه حين ينقطع عنها ! .

(٣) الكتب : جمع كتيب ، وهو الكومة من الرمال . فعندما ندفن بحال بيننا وبين أهلينا

ودويتنا .

يأبتاه ! من ربُّه ناداه ، يأبتاه ! إلى جبريل ننعاه ؛ يا أبتاه ! جنة الفردوس مأواه .

قال : ثم سكنت فما زادت شيئاً (١) .

عائشة - رضى الله عنها - على قبر أبى بكر

• ووقفت عائشة على قبر أبى بكر فقالت : نضر الله وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ؛ فقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها ، وكنت للآخرة مُعِزّاً بإقبالك عليها .

ولكن كان أجَلَ الحوادث بعد رسول الله ﷺ رزؤك (٢) .

وأعظم المصائب بعده فقدك - إن كتاب الله ليَعِدُّ بحسن الصبر فيك ، وحسن العوض منك ، فأنا أُنَجِّزُ (٣) موعود الله ، وأستعِضُّ مِنكَ بالاستغفار لك ، فعليك السلام ورحمة الله ، توديع غير قالية (٤) لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك ! ثم انصرفت .

لعللى فى فاطمة

• المدائنى قال : لما دفن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فاطمة عليها السلام تمثل عند قبرها فقال :

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذى دون الممات قليل
وإن افتقادی واحداً بعد واحد دليل على ألا يدوم خليل

(١) ولا عجب ؛ فقد تربت في بيت النبوة ، وعرفت ما يقال ، وما لا يقال !

(٢) الرُّزء : الفقر والمصيبة .

(٣) لقد بشر الله الصابرين ، وقد صبرت ؛ ولذا أطمع في إنجاز الوعد .

(٤) القال : الكاره ، وفي القرآن : ﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ ، فهى تودعه وداع من كان

يحب حياته ، ومع هذا فهى راضية بقضاء الله غير زارية على القضاء ! وهذا هو الصبر والإيمان بقضاء الله ! أليست أم المؤمنين ، والأسوة الحسنة ؟!

امراة الحسن على قبره

● لما مات الحسن بن على عليهما السلام ضربت امرأته فسطاطا (١) على قبره ، وأقامت حَوْلًا ، ثم انصرفت إلى بيتها ، فسمعت قائلا يقول : أدركوا ما طلبوا .

فأجابه مجيب : بل ملؤا فانصرفوا .

نائلة على قبر عثمان

● ابن الكلبي قال : وقفت نائلة بنت الفرافصة الكلية على قبر عثمان فترجمت عليه ثم قالت :

ومال لا أبكى وتبكى صحابتي وقد ذهبت عنا فضول أوى عمرو

ثم انصرفت إلى منزلها ، فقالت :

إنى رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب ، وقد خفت أن يبلى حزن عثمان في قلبى ! ، فدعت بفهر (٢) فهشمت فاما ، وقالت : والله لا قعد منى رجل مقعد عثمان أبداً (٣) ! .

لأعرابية فى أبيها

● وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت : يا أبت ، إن فى الله تبارك وتعالى من فقدك عوضاً ، وفى رسول الله ﷺ من مصيبتك أسوة .

ثم قالت : اللهم نزل بك عبدك مقفراً من الزاد (٤) مُحْشَوْشِينَ المهاد (٥)

(١) الفسطاط : الخيمة .

(٢) فهر : حجر صغير .

(٣) لن أكون لغيره زوجة .

(٤) لا زاد معه .

(٥) مهاده وسريره خشن ، فهو ينام على تراب .

غنيا عما في أيدي العباد (١) ، فقيرا إلى مافي يديك يا جواد (٢) ، وأنت أيُّ ربٍّ خير من نزل به المؤمنون (٣) ، واستغنى بفضل المقلون (٤) وولج (٥) في سعة رحمته المذنبون .

اللهم فليكن قري (٦) عبدك منك رحمتك ، ومهاده جنتك ...
ثم انصرفت ! .

لأعرابية في رثاء ابنها

● قال عبد الرحمن بن عمر : دخلت على امرأة من نجد بأعلى الأرض في خباء لها ، وبين يديها بُنى لها قد نزل به الموت ، فقامت إليه ... فأغمضته وعصبته ، وسجته (٧) ، وقالت : يا بن أخي ، قلت : ماتشائين ؟ .

قالت : ما أحق من ألبس النعمة ، وأطيلت به النَّظرة ، أن لا يدع التوثق من نفسه قبل حل عقده ، والحلول بعفو ربه ، والمحالة بينه وبين نفسه !؛ قال : وما يقطر من عينها دمة صبراً واحتساباً .

ثم نظرت إليه فقالت :

والله ما كان ماله لبطنه ، ولا أمره لعرسه ، ثم أنشدت :

رُحيب الذراع بالتي لا تشينه وإن كانت الفحشاء بها ذراعاً

(١) فلم يعد في حاجة إلى ما يحتاج إليه أهل الدنيا من مال ومتاع . .

(٢) من رحمة ومغفرة ورضوان .

(٣) الذين علقوا آمالهم على رحمتك وكرمك ومغفرتك .

(٤) المقل : قليل الفضل .

(٥) ولج : دخل .

(٦) القري : ما يقدم للضيف .

(٧) سجته : غطته بثوب ونحوه .

لجارية على قبر أبيها

- سمع الحسن من جارية واقفة على قبر أبيها وهى تقول :
يا أبت ، مثل يومك لم أره ! قال : الذى - والله - لم يرمثل يومه
أبوك ! (١) .

أبيات قيل : إنها لأبى نواس

- وجد على قبر جارية إلى جنب قبر أبى نواس ثلاثة أبيات ؛ فقيل : إنها
من قول أبى نواس ، وهى :

أقول لقبر زرتَه متلثماً (٢) سقى الله برد العفو صاحبة القبر
لقد غيبوا تحت الثرى قمر الدجى وشمس الضحى بين الصفائح (٣) والعفر
عجبت لعين بعدها ملت البكا وقلب عليها يرتجى راحة الصبر

أعرابية مات ابنها

- قيل لأعرابية مات ابنها . ما أحسن عزاءك ؟ قالت : إن فقدى إياه
أمننى كل فقد سواه ، وإن مصيبتى به هونت على المصائب بعده !
ثم أنشأت تقول :

من شاء بعدك فليمت	فعليك كنت أحاذر
كنت السواد لناظرى	فعمى عليك الناظر
ليت المنازل والديا	ر حفائر ومقابر
إنى وغيرى لاحالة	حيث صرت لصائر (٤)

(١) نعم فأيام الدنيا متشابهة ، فى سرائها وضرائها ، أما هذا اليوم الذى يسلم فيه الإنسان
روحه ، ويفارق دنياه ، فإنه يرى ما ليس له مثيل من قبل فى دنياه ... لقد انتقل من عالم إلى عالم .

(٢) متلثماً : يقبل ذا الجدار وذا الجدار .

(٣) بين الصفائح والعفر بين الأحجار والتراب .

(٤) كلنا للموت صائرُونَ .

● وقالت أعرابية ترثي ولدها :

يا فرحة القلب والأحشاء والكبد
لما رأيته قد أدرجت في كف
أيقنت بعدك أني غير باقية
ياليت أمك لم تحبل ولم تلد
مطيبا للمنايا آخر الأبد
وكيف يبقى ذراع زال عن عضد

● وقالت أعرابية :

أبني غيبك المحل الملهو
أنت الذي في كل ممسى ليلة
إما بعدت فأين من لا يبعد
تبلى وحزنك في الحشا يتجدد

● وقالت فيه :

لئن كنت لي هوا لعين وقره
وهون حزني أن يومك مدركي
لقد صرت سقما للقلوب الصحاح
وأنى غدا من أهل تلك الضرائح^(١)

● أبو عبيد البجلي قال : وقفت أعرابية على قبر ابن لها يقال له : عامر ، :

● فقالت :

أقمت أبكيه على قبره
تركتني في الدار لي وحشة
من لي من بعدك يا عامر
قد دل من ليس له ناصر
وقالت فيه :

هو الصبر والتسليم لله والرضا
إذا نحن أبنا^(٢) سالمين بأنفس
إذا نزلت لي خطبة لا أشاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة إنها
كرام رجت أمراً فخاب رجاؤها
ولا بر إلا مادون ما بر عامر
تتوب ويبقى ماؤها وحيائها
هو ابني أمسى أجره لي وعزني
ولكن نفسا لا يدوم بقاؤها
فإن أحسب أوجر^(٣) وإن أبكه أكن
على نفسه رب إليه ولاؤها
كباكية لم يحى ميتا بكاؤها

(١) الضرائح : جمع ضريح . القبر .

(٢) أبنا : عدنا ورجعنا وفعله أب .

(٣) ينالني الأجر لأنني احتسبته عند الله .

لهذيلية في رثاء إخوة وابن

● الشيباني قال : كانت امرأة من هذيل ، وكان لها عشرة إخوة وعشرة أعمام ، فهلكوا جميعا في الطاعون ، وكانت بكراً لم تتزوج فخطبها ابن عم لها فتزوجها ، فلم تلبث أن اشتملت (١) على غلام فولدته ، فبيت نباتا كأنما يمد بناصيته (٢) وبلغ ، فزوجته وأخذت في جهازه ، حتى إذا لم يبق إلا البناء (٣) ، أتاه أجله ، فلم تشق لها جيبا ، ولم تدمع لها عين ؛ فلما فرغوا من جهازه ، دعيت لتوديعه ، فأكبت عليه ساعة ، ثم رفعت رأسها ، ونظرت إليه وقالت :

ألا تلك المسرة لا تدوم ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثان (٤) غفر بشاهقة (٥) له أم رؤوم

ثم أكبت عليه أخرى ، فلم تقطع نحيبها حتى فاضت نفسها فدفنا جميعا .

لشيبانية في حزنها على أهلها

● خليفة بن خياط قال : ما رأيت أشد كمداً من امرأة من حمى شيبان ، قتل ابنها ، وأبوها ، وزوجها وأمها ، وعمتها ، وخالتها مع الضحاك الحرورى ، فما رأيته قط ضاحكة ، ولا متبسمة حتى فارقت الدنيا ، وقالت ترثيهم :

(١) اشتملت : حملت .

(٢) كان سريع التواء والطول .

(٣) البناء على الزوجة الدخول بها .

(٤) يقال نزلت به حوادث الدهر وأحداثه ، ومن ينجو من الحدثان ؟ .

(٥) ليس ينجو أحد وإن كان بمكان عالٍ شاق ترعاه أم حانية وتحوطه وتحميه ، ويضرب المثل بالفقر في البعد والمنعة والحصانة فيقال : أبعد من معقل الغفر ، بل من مطلع الغفر ، وهما ولد الأزويز ومنزل من منازل القمر .

من لقلب شفة الحزن ولنفس ماله سكن
ظعن (١) الأبرار فانقلبوا خيرهم من معشر ظعنوا
صبروا عند السيوف فلم ينكلوا عنها ولا جبنوا

رثاء أخت النضر له

قال ابن إسحق - صاحب المغازي - لما نزل رسول الله ﷺ الصفراء - وقال ابن هشام الأثيل - أمر على بن أبي طالب بضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف صبراً (٢) ، بين يدي الرسول ﷺ . فقالت أخته : قتيلة بنت الحارث ترثيه (٣) :

يا راكباً إن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق (٤)
بلغ به ميتاً فإن تحية ما إن تزال بها الركائب تحفوق (٥)

(١) الظعن : السفر والارتحال .

(٢) كل ذى روح يوثق حين يقتل فقد قتل صبراً .

(٣) هى من الشعراء المخضرمين . وكان النضر أخوها يؤذى رسول الله ﷺ والمسلمين ويقول : يأتيكم بأخبار عاد وثمود ، وأنا آتيكم بأخبار الأكرسة والقياصرة ، فلما قتل قالت هذا الأبيات ترثيه - وقيل في شعرها : أكرم شعر موتور ، وأعفه ، وأكفه ، وأحلمه .

(٤) الأثيل : موضع فيه قبر النضر ، والمظنة موضع الظن . تريد أن الأثيل مظنة أن تصل إليه صبيحة ليلة خامسة ، وقولها : وأنت موفق : أى حين لا تفضل طريقك . والمعنى : يا راكباً ، إن الأثيل يظن أن تبلغه في صبح الليلة الخامسة إن وفقت إلى الطريق ولم ترغ عنه .

(٥) ما - إن - تزال : إن زائدة للتوكيد . وتحفوق : تتحرك .

- مَنْى إِلَيْكَ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ حَادَتْ بِوَكَافِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ (١)
 هَلْ يَسْمَعُنِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتَهُ أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيْتٌ لَا يَنْطِقُ (٢)
 أَمَحْمَدُ يَا خَيْرَ ضَنْءٍ كَرِيمَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مَعْرُقُ (٣)
 مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا مِنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِیْظُ الْمَحْنَقُ (٤)
 فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مِنْ أَسْرَتِ قَرَابَةٍ وَأَحْقَهُمْ إِنْ كَانَ عَتَقًا يَعْتَقُ (٥)
 ظَلَّتْ سَيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشْتَقُّ (٦)
 صَبْرًا يَقَادُ إِلَى الْمَنِيَةِ مَتَعِبًا رَسْفَ الْمَقِيدِ وَهُوَ عَانٍ مُوْتَقُ (٧)

عمر بن الخطاب والخنساء في أخويها

- الأصمعي قال : نظر عمر بن الخطاب إلى خنساء وبها ندوب (٨)
 في وجهها فقال : ماهذه الندوب يا خنساء ؟! قالت : من طول البكاء على
 أخوى ! ، قال لها : أخواك في النار ! قالت : ذلك أطول لحزنى عليهما ، إنما
 كنت أشفق عليهما من القتل ، وأنا اليوم أبكى لهما من النار ، وأنشدت
 تقول :

- (١) مسفوحة : مصبوبة . ومعنى البيتین : إذا وصلت إلى هذا المكان فبلغ ساكنه تحية لا تزال
 الركائب تتحرك بها منى إليه وبلغه عبرة مصبوبة ، وأخرى بالخلق تخنقه .
 (٢) إنها تتساءل في حيرة .. هل يسمعها أخوها ، ولكنها سرعان ما تقول : كيف يسمع
 من لا ينطق ؟! وإن كانت السنة الشريفة أخبرتنا أن الميت يسمع وقع النعال .
 (٣) الضنء الولد . والمعرق : من له عرق في الكرم . والمعنى : يا محمد ، إن التى ولدتك كريمة
 قومها ، والذي ولدك سيد عريق في الكرم ، فأنت خلاصة شريفي .
 (٤) المعنى : وإذا كنت كذلك فما الذى يضرك لو مننت على أخى وأطلقته وليس هذا غيبا
 عليك إذ قد يعفو الفتى مع انطوائه على الغيظ والحنق .
 (٥) إن النضر أقرب الأسراء الذين أسرهم إليك وأحقهم بالعتق إن وقع فكاك أو عتق .
 (٦) تنوشه : تناوله . واللام في - لله - للتعجب . والمعنى : لم يقتله أحد غير بنى أبيه فعجبا
 من أرحام تنقطع هناك .
 (٧) إنه يقاد إلى الموت متعبا في قيوده .

- (٨) الندوب ما تتركه الدموع وغيرها في الوجه من آثار وكأما هى مجارٍ للدموع .

وقائلة - والنفس قد فات خطوها لتدركه - يالهف نفسي على صخر
ألا ثكلت (١) أم الذئب غدوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر ؟!

عائشة والحنساء في صدار (٢) كانت تلبسه :

دخلت حنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وعليها صدار
من شعر قد استشعرته إلى جلدها ؛ فقالت لها : ما هذا يا حنساء ؟ فو الله لقد
توفى رسول الله ﷺ فمالبسته ! .

قالت : إن له معني دعاني إلى لباسه ، وذلك أن أبى زوجنى سيد
قومه ، وكان رجلا متلافاً ، فأسرف في ماله حتى أنفده ، ثم رجع في مالى
فأنفده أيضا ، ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا حنساء ؟ قلت : إلى أخى
صخر ، قالت : فأتيناه فقسم ماله شطرين ، ثم خيرنا في أحسن الشطرين ،
فرجعنا من عنده ، فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه ، ثم التفت إلى فقال
لى : إلى أين يا حنساء ؟ فقلت إلى أخى صخر .. ! .

قالت : فرحلنا إليه ، ثم قسم ماله شطرين ، وخيرنا في أفضل
الشطرين ، فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين
الشطرين ؟ فقال :

والله لا أمنحها شرارها	فلو هلكت قددت خمارها
واتخذت من شعر صدارها	وهي حصان قد كفتنى عارها

فآليت ألا يفارق الصدار جسدى مابقيت ! .

● من رثت زوجها :

قالت أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين - رضى الله عنها - رثت زوجها

(١) الثكلى هى من فقدت بنيتها .

(٢) الصُّدَّار : قميص يغشى الصدر بلا كمين ، واستشعرته لبسته بحيث يلى الجسد ، والشعار

ما يلبس تحت الدثار فالجلباب دثار والقميص شعار .

الزبير بن العوام وكان قتله عمرو بن جرموز المجاشعي بوادي السباع وهو منصرف من وقعه الجمل [وتروى هذه الأبيات لزوجته التي تزوجها بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه] : .

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم الهياج وكان غير معرد (١)
يا عمرو لو نبهته لو جدته لا طائشا رعرش الجنان ولا اليد
ثكلتك أملك إن قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد

● لبانة زوجة الأمين تراثيه :

الهلالى قال : تزوج محمد بن هارون الرشيد لبانة بنت علي بن ربيعة ، وكانت من أجمل النساء ، فقتل محمد عنها ولم يبق بها ، فقالت تراثيه :

أبكىك لا للنعيم والأنسي بل للمعالي والرمح والفرس
يا فارساً بالعراء مطرحاً خائته قواده مع الحرس
أبكى على سيد فجعت به أرملى قبل ليلة العرس
أم من لبر أم من لعائدة أم من لذكر الإله في الغلس (٢)
من للنحروب التي تكون لها إن أضرمت نارها بلا قيس

● وقالت أعرابية تراثى زوجها (٣) :

كنا كغصنين في جرثومة سمقا حيناً بأحسن مايسمو له الشجر (٤)

(١) البهمة : الشجاع الذى يستبهم مأتاه على أقرانه فيحارون كيف يأتونه ، ومن أين ينالونه ويتمكنون منه ؟! وعُرد عنه : إذا انحرف وبعد : فقد غدر به على مقربة منه دون أن ينهيه .

(٢) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٣) هذه الأبيات منسوبة في ديوان الحماسة لصفية الباهلية تراثى أخاها (الطبعة الثانية

١٩١٣م) .

(٤) الجرثومة : الأصل ، والتراب المتجمع في أصول الشجر . وسمقا : طالا ، ويسمو : يعلو ، والمعنى : كنا كغصنين طالا وتشعبا من أصل واحد متكافئين في رفعة الشرف ، ودمنا زمانا على أحسن ما يدوم به الفرعان في أصلهما . وقد جاء البيت في العقد :

..... بنقأ حيناً على خير ما ينمى به الشجر

حتى إذا قيل قد طالت فروعهما وطاب فيآهما واستنظر الثمر (١)
أخنى على واحد ريب الزمان وما يبقى الزمان على شيء ولا يذر (٢)
كنا كأنجم ليل بينها قمر يجلو الدجى فهوى من دونها القمر (٣)

● الأصمعي وجارية على قبر زوجها :

● الأصمعي قال : دخلت بعض مقابر الأعراب ومعى صاحب لى ،
فاذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحللى والحلل مالم أرمثله وهى تبكى
بعين غزيرة وصوت شجى ؛ فالتفت إلى صاحبي فقلت : هل رأيت أعجب من
هذا ؟ قال : لا والله ولا أحسبني أراه ! .

ثم قلت لها : يا هذه إني أراك حزينة وما عليك زى الحزن .
فأنشأت تقول :

فإن تسألانى فيم حزنى فإننى رهينة هذا القبر يافتيان
وإنى لأستحييه والترب بيننا كما كنت أستحييه حين يرانى
أهابك إجلالا وإن كنت فى الثرى (٤) مخافة يوم أن يسوءك شانى

(١) الفىء : الظل ، واستنظر : انتظر ، وفى رواية العقد : وطال قنواهما واستنظر الثمر والقنو :
العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب .

(٢) أخنى : أهلك ، وريب الزمان : مصيبته ، ولا يذر : ولا يدع . ومعنى البيتين : أننا لما بلغنا
الكمال ، وطاب منشؤنا ، وكنا كفرعى الشجرة التى طاب ظلها ، واستنظر ثمار أغصانها أحدث حدثان
الدهر أحداثا فاجعة فأهلكت - أخى - أو زوجى - على رواية العقد - الواحد . ولا عجب ؛ فإن هذه
أحوال الدهر الذى لا يدوم على حال .

(٣) كنا فى الاجتماع مع الأهلين كالأنجم التى تبدو فى الليل ، وهو بيننا كالقمر الذى يكشف
الظلمة ، فسقط من وسطها . أى غاب عن أعيننا .

(٤) الثرى : التراب ، وهى ما زالت تعمل حسابه ، ويعتريها الحياء منه ميتا كما كانت معه حيا ،
فهى تهابه إجلالا .

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول :

يا صاحب القبر يامن كان ينعم بي بالأ و أكثر في الدنيا مواساتي
قد زرت قبرك في حل وفي حلال كأنني لست من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنت أعرفه أن قد تسر به من بعض هيئاتي
فمن رآني رأى عبرى موهلة عجيبة ألزى تبكي بين أموات (١)

وقال : رأيت بصحراء جارية قد ألصقت خدها بقبر وهي تبكي وتقول :

خدى يقيك خشونة اللحد وقليلة لك سيدي خدى
ياساكن القبر الذى بوفاته عميت على مسالك الرشيد (٢)
أسمع أبئك علتى ولعلنى أطفى بذلك حرقة الوجد (٣)

● من رثي جاريته :

كان لمعلى الطائي جارية يقال لها وصف ، وكانت أديبة شاعرة ، فأخبرني محمد بن وضاح ، قال : أدركت معلى الطائي بمصر ، وأعطى بجاريته « وصف » أربعة آلاف دينار ، فباعها ، فلما دخل عليها قالت له : بعتنى يامعلى ؟! قال : نعم . قالت : والله لو ملكت منك مثل ماتملك منى ما بعته بالدنيا وما فيها ! فرد الدنانير ، واستقال (٤) صاحبه ، فأصيب بها إلى ثمانية أيام ، فقال يرثها .

ياموت كيف سلبتنى وصفا قدمتها وتركتنى خلفا
هلا ذهب بنا معا فلقد ظفرت يداك فسمتنى خسفا (٥)
وأخذت شق النفس من بدنى فقبرته وتركت لى النصف

(١) عبرى : باكية تسيل عبراتها ، وموهلة : ذهب الحزن بعقلها .

(٢) أصبحت حائرة بعدك ، فقد كنت ترشدنى ، وتهدينى .

(٣) الوجد : الحزن .

(٤) استقال صاحبه : طلب منه أن يعفيه من إتمام الصفقة ويرد عليه جاريته لأنه رجع فى البيع .

(٥) سمتنى خسفا : أذقنى الذل بعدها .

فعليك بالباقي بلا أجل
 ياموت ما أبقيت لى أحداً
 هلا رحمت شباب غانية
 ورحمت عيني ظبية جعلت
 تغض إذا انتصبت فرائضه
 فإذا مشى اختلفت قوائمه
 متحيراً فى المشى مرتعشا
 فكأنها وصف إذا جعلت
 ياموت أنت كذا لكل أخى
 خليتى فرداً وبنت بها
 فتركها بالرغم فى جدث
 دون المقطم لا ألبسها
 أسكنها فى قعر مظلمة
 بيتا إذا مازاره أحد
 لا نلتقى أبداً معاينة
 لبست ثياب الحتف جارية
 فكأنها والنفس زاهقة
 ياقبر أبق على محاسنها

فالموت بعد وفاتها أعفى
 لما رفعت إلى البلى وصفا
 ربا العظام وشعرها الوحفا (١)
 نين الرياض تناظر الخشفا (٢)
 وتظل ترعاه إذا أغفى (٣)
 وقت الرضاع فينطوى ضعفا
 يخطو فيضرب ظلفه الظلفا
 نحوى تحير محاجرا وطفأ (٤)
 إلف يصون بيرة الإلفا
 ما كنت قبلك حاملا وكفا (٥)
 للريح تنسف تربه نسفا
 من زينة قرطا ولا شنفا (٦)
 بيتا يصفح تربه السقفا
 عصفت به أيدي البلى عصففا
 حتى نقوم لربنا صففا
 قد كنت أنبس دونها الحتفا (٧)
 غصن من الریحان قد جفا
 فلقد حويت البر والظرفا

(١) الغانية : التى استغنت بجمالها عن الزينة ، وريا العظام : طرية ناعمة وشعرها الوحف : الاسود الفاحم الكثيف .

(٢) الخشف : ولد الغزال يطلق على الذكر والأنثى .

(٣) الفرائض : جمع فريضة وهى لحمه بين الكتف والصدر ترتعد عند الفزع فإذا ما رأت وليدها قد نام تظل ساهرة عليه ترعاه .

(٤) المحجر من العين ما دار بها . وطفاء كثيرة شعر الحاجبين .

(٥) بنت بها : بعدت بها عنى - وما كنت قبلك حاملا وكفا - أى حزنا ودموعا تكف .

وتسيل .

(٦) الشنف : ما علق فى الأذن ، أو أعلاها من الحلى .

(٧) الحتف : الموت ، وجارية : شابة .

● مروان بن محمد وجارية له :

● لما هزم مروان بن محمد وخرج نحو مصر ، كتب إلى جارية له خلفها بالرملة :

وما زال يدعوني إلى الصدمأرى	فآنى ويشينى الذى لك فى صدرى
وكان عزيزاً أن تينى وبيننا	حجاب فقد أمسيت منك على عشر
وأنكاهما للقلب - والله - فاعلمى	إذا ازددت مثليها فصرت على شهر
وأعظم من هذين - والله - أننى	أخاف بألا نلتقى آخر الدهر
سأبكيك لا مستبقيا فيض عبوة	ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

● وقال حبيب الطائي يرثي جارية أصيب بها :

جفوف البلى أسرع فى الغصن الرطب	وخطب الردى والموت أبرحت من خطب
لقد شرقت فى الشرق بالموت عادة	تبدلت منها غربة الدار فى القرب
وألبنى ثوبا من الحزن والأسى	هلال عليه نسج ثوب من الترب
وكنت أرجى القرب وهى بعيدة	فقد نقلت بعدى عن البعد والقرب
أقول وقد قالوا استراحت لموتها	من الكرب روح الموت شر من الكرب
لها منزل تحت الثرى وعهدتها	لها منزل بين الجوانح والقلب

● وقال يرثيها :

ألم ترنى خليت نفسى وشأنها	ولم أحفل الدنيا ولا حدثانها (١)
لقد خوفتنى النائبات صروفها	ولو أمنتنى ما قبلت أمانها (٢)
وكيف على نار الليلالى معرس	إذا كان شيب العارضين دخانها
أصبت بخود سوف أغبر بعدها	حليف أسى أبكى زماناً زمانها (٣)

(١) لم أحفل : لم اهتم ، وحدثانها : أحداثها .

(٢) صروفها : نكباتها ، ولهذا لم يعد يأمنها .

(٣) الخود : الفتاة الناعمة حسنة المظهر والخير ، ويقول إنه سيظل بعدها يخالف الحزن .

عنان من اللذات قد كان في يدي
منحت المها هجرى فلا محسناتها
يقولون : هل يبكي الفتى لخريده
وهل يستعيض المرء من خمس كفه
فلما قضى الإلف استردت عنانها (١)
أريد ولا يهوى فؤادي حسانها (٢)
إذا ما أريد اعتاض عشراً مكانها (٣)
ولو صاغ من حر اللجين بنانها (٤)

• وقال أعرابي يرثي امرأته :

فو الله ما أدري إذا الليل جننى
أمتفصل عنه ثرى ؟ أم كريمة
وذكرنيها أينما هو أوجع (٥)
أم العاشق النابى به كل مضجع ؟ (٦)

• وقال محمود الوراق يرثي جاريته نشو :

ومنتصح يردد ذكر نشو
أقول : وعد ما كانت تساوى
عطيته إذا أعطى سروراً
فأى النعمتين أعم نفعا
أنعمته التى أهدت سروراً
بل الأخرى وإن نزلت بحزن
على عمد ليعث لى أكثابا
سيحسب ذاك من خلق الحسابا
وإن أخذ الذى أعطى أثابا
وأحسن فى عواقبها إيابا
أم الأخرى التى أهدت ثوابا ؟
أحق بشكر من صبر احتسابا !

(١) يتحسر على ما كان يتاح له من لذات يمسك بعنانها عندما كانت تعائشه فلما ماتت استردت عنانها - والعنان ما يمسك به الفارس من فرسه .
(٢) يقصد النساء الجميلات ، وقد كانوا يشبهون المرأة بالمهاة وهى بقر الوحش لسعة عينها - فلقد أعرض عن جمالهن وهجرهن بفراقها .
(٣) الخريده : البكر الحبيبة الطويلة السكوت ، واللؤلؤة لم تنقب ، ويقول : إن فراغها لا يملؤه غيرها ولو كن عشرا .
(٤) هل يمكن أن تسد أى أصابع مكان أصابع اليد ، ولو صيغت من فضة .. إن غيرها لا يعوضه عنها مهما بلغت فى الجمال .

(٥) جن عليه الليل : أظلم .

(٦) نبابه المضجع : كرهه ، فلا ينام .

● محب وجارية له ماتت :

أبو جعفر البغدادي قال : كان لنا جار ، وكانت له جارية جميلة ، وكان شديد المحبة لها ، فماتت ، فوجد (١) عليها وجداً شديداً ، فبينما هو ذات ليلة نائم ، إذ أتته الجارية في نومه فأنشده هذه الأبيات :

جاءت تزور وسادى بعد مادفنت	في النوم ألثم خدّاً زانه الجيد
فقلت : قرّة عيني (٢) قد نعت لنا	فكيف ذا وطريق القبر مسدود !؟
قالت : هناك عظامي فيه ملحدة	تنهش منها هوام الأرض والدود
وهذه النفس قد جاءتك زائرة	فاقبل زيارة من في القبر ملحود

فانتبه وقد حفظها ، وكان يحدث الناس بذلك وينشرهم . فما بقى بعدها إلا أياما يسيرة حتى لحق بها .

● رثاء ابنة لأحد بني حميد

قال البحتري يعزى أبا نهشل (٣) محمد بن حميد الطوسي عن ابنته :

ظلم الدهر فيكم وأساء	فعزاء بنى حميد عزاء
أنفس ماتكاد تفقد فقداً	وصدور ماتبرح البرحاء

(١) حزن عليها حزناً شديداً .

(٢) يا قرّة عيني .

(٣) أبو نهشل محمد بن حميد ، وأخواه أبو نصر محمد ، وأبو عبد الله محمد هم : بنو حميد ابن عبد الحميد الطائي الطوسي القائد الذي قتل في حرب بابك سنة ٢١٤ وقد ترجم المرزبانى لهم في معجم الشعراء ، وقال : إنهم شعراء أدباء ، وقد رثى أبو تمام أباهم عند مصرعه ، وهذه القصيدة يرجع تاريخها إلى سنة ٢٣٠ هـ ديوان البحتري ج ١ .

أصبح السيف داءكم وهو الد
وانتحي القتل فيكم فيكيننا
يأبألقاسم المقسم في النجـ
والهزبر الذى إذا دارت الحر
الأسى واجب على الحر ، إما
وسفاه أن يجزع الحر مما
أنبكى من لاينازل بالسيـ
والفتى من رأى القبور لما طا
لسن من زينة الحياة كعد الد
قد ولدن الأعداء قدما وورث
لم يثد ترهبين « قيس تميم »

اء الذى مايزال يعيى الدواء (١)
بدماء الدموع (٢) تلك الدماء
سدة والجود والندى أجزاء (٣)
ب به صرف الردى كيف شاء (٤)
نية حرة وإما رياء (٥)
كان حتما على العباد قضاء (٦)
ف مشيحا ولا يهز اللواء ؟ (٧)
ف به من بناته أكفاء (٨)
ه منها الأموال والأبناء (٩)
ن التلاد الأقصى البعداء (١٠)
عيلة بل حمية وإباء (١١)

- (١) يقف الدواء والطب عاجزا أمام السيف .
(٢) بدموع تشبه الدماء عبرنا عن حزننا على قتلاكم .
(٣) الندى : العطاء ، وقد وصفه بالنجدة ، والجود ، والندى .
(٤) الهزبر : الأسد ، وهو هنا شجاع عندما تدور رحى الحرب ، لا يهاب الموت بل يواجه الموت
تكل من حوله ممن يقاتلهم كيف شاء .
(٥) الأسى بضم الهززة وكسرهما : جمع أسوة أى القُوَّة وما يأتسى به الحزين .
(٦) من السفه أن تجزع وتجنن مما هو لا مفر من وقوعه .
(٧) لا يستحق البكاء في نظر الشاعر من لا ينازل الأبطال ، ولا يحمى اللواء في ميادين القتال
يعنى بذلك : النساء ؛ فهو يعجب ممن ييكنهن . والمشيح : الجاد الحذر والمانع لما وراء ظهره .
(٨) الفتى الحق من يرى أن القبور هى المناسبة لما طاف به من بناته .
(٩) يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى عندما عد زينة الحياة الدنيا قال : ﴿ المال والبنون زينة الحياة
الدنيا ﴾ [الكهف : ٤٦] وليس من هذه الزينة البنات .
(١٠) التلاد بالفتح : المال القديم الأصل الذى ولد عندك وهو ضد الطارف ويقصد أنهم يتزوجن
فينسب أبناؤهن إلى قبائل الأزواج وربما كانت معادية لقبيلة الأم فينتمى الأبناء لتلك القبيلة المعادية كما قال
شاعر مماثل :

بنونا بنو أبنائنا ، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعد

وأيا ينقل ميراث البنت معها إلى زوجها وأولادها .

- (١١) العيلة : مصدر عال : افقر . وقيس تميم : هو قيس بن عاصم المنقرى ينتسب إلى زيد مناة
ابن تميم ، وقد كان يعد كل بنت تولد له ويرر الشاعر ذلك بأنه لم يكن الدافع من وراء ذلك الوأد الفقر
وإنما كان الإباء والحمية وخوف العار والفضيحة وترهبين : أى مثلهن .

وتغشى في مهلهل الذل فيه — من وقد أعطى الأديم حياء (١)
وشقيق بن فاتك حذر العا ر عليهن فارق الدهناء (٢)
وعلى غيرهن أحزن يعقو ب وقد جاءه بنوه عشاء (٣)
وشعيب من أجلهن رأى الوح مدة ضعفا فاستأجر الأنبياء (٤)
واستزل الشيطان آدم في الجـ نة لما أغرى به « حواء »
وتلفت إلى القبائل فانظر أمهات يُنسبن أم آباء ؟!
ولعمري ما العجز عندى إلا أن تبیت الرجال تبكى النساء !!

للإسكندر يعزى أمه عن فقدته

● ولما حضرت الإسكندر الوفاة كتب إلى أمه :
أن اصنعي طعاما يحضره الناس ، ثم تقدمي إليهم :
ألا يأكل منه محزون ، ففعلت : فلم يسط أحد إليه يده ، فقالت :
مالكم لا تأكلون ؟ فقالوا : إنك تقدمت إلينا أن لا يأكل منه محزون ، وليس
منا إلا من قد أصيب بحميم أو قريب ! .
فقالت : مات والله ابني ! .
ومما أوصى إلى بهذا إلا ليعزينا به !

-
- (١) مهلهل بن ربيعة التغلبي نزل بقبيلة يقال لها : « جنب » فزوج إحدى بناته فيها لمعاوية ابن عمر من ولد هذه القبيلة . وقدم لها مهرها جلوداً . فقال :
زوجها فقدھا الأراقم من جنب وكان الحبساء من آدم والأديم : الجلد . والحباء : العطاء . ويقصد أن أباهما تغشاه الذل عندما أُعطي مهر ابنته جلوداً .
(٢) الدهناء : من ديار بني نعيم معروفة ، وهى سبعة أجبل من الرمل فى عرضها بين كل جبلين شقيقة ، إذا أخصبت ربت العرب جميعا لسعتها . ويقصد أن شقيق بن فاتك فارق موطنه خوف العار على بناته .
(٣) يشير إلى قصة يوسف عليه السلام وحزن أبيه عليه لما عاد إخوته إلى أبيهم بعد أن ألقوا أخاهم فى الحب . وأن هذا الحزن لم يكن عليهن ! .
(٤) يشير إلى قصة موسى عليه السلام مع ابنتى شعيب عندما سقاها من ماء مدين وقد وردت قصة ذلك فى القرآن الكريم سورة القصص [الآيات : ٢٣ - ٢٨] .

الباب الثامن

● الوافدات على معاوية من صواحب على :

- ١ - سودة الهمدانية .
- ٢ - بكاره الهلالية .
- ٣ - الزرقاء .
- ٤ - أم سنان بنت خيثمة .
- ٥ - عكرشة بنت الأطرش .
- ٦ - درامية الحجونية .
- ٧ - أم الخير بنت حريش .
- ٨ - أروى بنت عبد المطلب .

● من يضرب به المثل منهن :

[البسوس - دغة - أم قرفة - ظلمة ...] .

● أمثال نسائية ردها الحاضر والبادى .



بين يدي هذا الباب

● قال أحمد بن عبد ربه في الوفود :

« إنها مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها الكلام ، وتستعذب الألفاظ ، وتستجزل المعاني .

ولابد للوفد عن قومه أن يكون عميدهم ، وزعيمهم الذي عن قومه ينزعون (١) ، وعن رأيه يصدرون ؛ فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن السنة .

وما ظنك بوفد يتكلم بين يدي خليفة ، في رغبة أو رهبة ، يوطد لقومه مرة ، ويتحفظ ممن أمامه أخرى ! .
أتراه مدخرا نتيجة من نتائج الحكمة ، أو مستبقيا غريبة من غرائب الفطنة ؟ .

أم تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة إلا وهو عندهم في غاية الحذقة (٢) ، واللسن ، ومجمع الشعر والخطابة ! .

ألا ترى أن قيس بن عاصم المنقري ، لما وفد على النبي ﷺ بسط له ردائه ، وقال : هذا سيد أهل الوبر ! » .

● وأنا أقول في هؤلاء الوفادات :

إليك وافدات النساء على معاوية من صواحب علي رضي الله عنه .

(١) نزع عن القوس رمى عنها ، والمراد أنهم تابعون له يأتمرون بأمره .

(٢) الحذقة إظهار الحذق والقدرة الكلامية ، واللسن : الفصاحة .

ترى كيف كان ذاك اللقاء بين من ضرب المثل « بشعرته » فقال :
لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ؛ لأنهم إذا شدوا أرخيت !
وإذا أرخوا شددت ؟!

- وبين من قيل لمن : « إن كيدكن عظيم » ! .

ولمن ياترى تكون الغلبة !!؟ .

ذلك ما تجده في حوار ثمان منهن ..

١ - وفود سودة ابنة عمارة على معاوية (١)

عامر الشعبي قال : وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية على
معاوية بن أبى سفيان ، فاستأذنت عليه ، فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت
عليه ، فقال لها : كيف أنت يا ابنة الأشتر ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين .

قال لها : أنت القائلة لأخيك :

شمر كفعل أليك يا بن عمارة	يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين ورهطه	واقصد لهند وابنها بهوان (١)
إن الإمام أخا النبی محمد	علم الهدى ومنارة الإيمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه	قدما بأبيض صارم وسنان

(١) سودة : كانت سفيرة لقومها تعرض شكواهم على الرجل الذى أصبح خليفة عليهم دون
رغبة منهم ، ولكن ما دام الأمر قد صار إليه ، وولى عليهم - عن قصد منه - واليا ظلما - فلا مفر
من الشكوى إليه مع أمل ضعيف فى أن يجنبهم ظلم واليه ، وبطشه بهم وقتله رجالهم . ولم تحين سودة
عن تهديد الخليفة ، تهديدا صيغ من ألفاظ فى رقة الحرير « فلما عزلته عنا فشكرناك ، وإما لا نعرفناك »
فى عرفناك ظلما ولا بد من مقاومة ظلمك .

(٢) هند : هى هند بنت عتبة ، والددة لمعاوية

قالت : ياأمير المؤمنين : مات الرأس ، وبتر الذنب ، فدع عنك تذكار ما قد نسي .

قال : هيهات ، ليس مثل مقام أخيك ينسى .

قالت : صدقت والله ياأمير المؤمنين ، ما كان أخى خفى المقام ، ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء :

وإن صخرأ' لتأتم الهداة به كأنه علم (١) فى رأسه نار

وبالله أسأل ياأمير المؤمنين إعفائى مما استعفيت به . قال : قد فعلت ، فقولى حاجتك . قالت : ياأمير المؤمنين ، إنك للناس سيد ، ولأموورهم متقلد ، والله سائلك عما افترض (٢) عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبسط سلطانك ، فيحصدنا حصاد السنبيل ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الخنسية ، ويسألنا الجلييلة ، هذا ابن أرطاة (٣) قدم بلادى ، لوقتل رجالى ، وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنة ، فإما عزله فشكرناك ، وإما لا فعرناك ! .

فقال معاوية : إياى تهديدن بقومك ، والله لقد هممت أن أردك على قتب أشرس (٤) ، فينفذ حكمه فيك . فسكتت ، ثم قالت :

صلى الإله على روح تضمنته (٥) قبر فأصبح فيه العدل مدفوناً
قد حالف الحق لا يبغي به ثمناً فصار بالحق والإيمان مقروناً
قال : ومن ذلك ؟ .

(١) علم : جيل . وهم يقولون فى كل مشهور معروف : فأشهر من نار على علم .

(٢) افترض عليك : أوجب عليك من حقوق للرعية .

(٣) ابن أرطاة : أحد ولاة معاوية الشداد .

(٤) قتب : الرجل الصغير على قدر سنام البعير . أشرس : سيء متعبد ونرى أن معاوية يغلظ لها القول ، وما كان له ولا لغيره أن يغلظ القول لامرأة ! .

(٥) تضمنته : اشتمل عليه .

قالت : على بن أبى طالب رحمه الله تعالى .

قال : ما أرى عليك منه أثرا !

قالت : بلى ، أتيت يوماً فى رجل ولاه صدقاتنا ، فكان بيننا وبينه ما بين الغث والشمين ، فوجدته قائماً يصلى ، فانفتل من الصلاة (١) ، ثم قال برأفة وتعطف :

ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكى ، ثم رفع رأسه إلى السماء ، فقال : اللهم إني لم آمره بظلم خلقك ، ولا ترك حقك . ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .. ﴿ قد جاءكم بينة من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ (٢) . ﴿ ولا تعثوا ﴾ (٣) فى الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ﴿ إذا أتاك كثنان هذا فاحفظ بما فى يديك حتى يأتى من يقبضه منك . والسلام .

فعرله يأمر المؤمنين . ماخرمه بحزام ، ولا ختمه بختام .

فقال معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها ، والعدل عليها . فقالت :

ألى خاصة أم لقومى عامة ؟

قال : ما أنت وغيرك ؟ قالت : هى والله الفحشاء واللؤم ، إن لم يكن عدلاً شاملاً ، وإلا يسعنى مايسع قومى . قال : هيئات !، لمظكم (٤) ابن أبى طالب الجرأة على السلطان ، فبطيئاً ماتفطمون ، وغرکم قوله :

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان (٥) : ادخلوا بسلام

(١) انفتل : تخلص بسرعة .

(٢) سورة الأعراف : من الآية ٨٥ .

(٣) بقية الآية ٨٥ ، ٨٦ من سورة هود .

(٤) لمظكم : من التلمظ وهو تحريك اللسان فى الفم بعد الأكل ، والمراد عودكم .

(٥) همدان : قبيلة عجمية كانت تناصر علياً كرم الله وجهه .

وقوله :

ناديت همدان والأبواب مغلقة ومثل همدان سنى^(١) فتحة الباب
كاهندوانى لم تقلل مضاربه وجه جميل وقلب غير ويجاب^(٢) .
اكتبوا لها بحاجتها^(٣) .

٢ - وفود بكارة الهلالية على معاوية

محمد بن عبد الله الخزاعى عن الشعبى قال :

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبى سفيان ، فأذن لها وهو يومئذ
بالمدينة ، فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسنت ، وعشى^(٤) بصرها ،
وضعت قوتها ، ترعش^(٥) بين خادمين لها ، فسلمت وجلست ، فرد عليها
معاوية السلام ، وقال : كيف أنت ياخاله ؟ .

قالت : بخير ياأمير المؤمنين ، قال : غيرك الدهر ! قالت : كذلك هو
ذو غير^(٦) ، من عاش كبير ، ومن مات قبر .

قال عمرو بن العاص : هى والله القائلة ياأمير المؤمنين :

يازيد دونك فاستشر من دارنا سيفا حساما فى التراب دفينا
قد كنت أذخره^(٧) ليوم كريمة فالיום أبرزه الزمان مصونا
قال مروان : هى والله القائلة ياأمير المؤمنين :

(١) سنى فتحة الباب : أتاح لها وسهل .

(٢) الوجاب : كثير الخفقان من وجب القلب وجيبا سمع صوت دقاته .

(٣) يالها من زعيمة أعز الإسلام جانبها ، ووسعت الثقافة فكرها ، وعمقت أفقها .

(٤) العشا : سوء البصر بالليل ، أو سوء البصر بالليل والنهار ، أو العمى .

(٥) ترعش وترتعد .

(٦) غير الدهر : أحداثه .

(٧) أذخره : أدخره .

أترى ابن هند^(١) للخلافة مالكا هيهات ذاك وإن أراد بعيد
منتك نفسك في الخلاء ضلالةً أغراك عمرو للشقا وسعيد^(٢)

قال سعيد بن العاصي : هي والله القائلة :

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمية خاطبا
فأله آخر مدق فتطاوت حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم للزمان خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عائبا^(٣)

ثم سكتوا . فقالت : يامعاوية ، كلامك أعشى بصرى ، وقصر
حجتي ، أنا والله قائلة ماقالوا ، وماخفى عليك مني أكثر ! .

فضحك وقال : ليس يمنعنا ذلك من برك .

قالت : أما الآن ، فلا .

* * *

٣ - وفود الزرقاء على معاوية

عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي قال : حدثني جماعة من بنى أمية
من كان يسمر مع معاوية قالوا : بينا معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعتبة
والوليد ، إذ ذكروا الزرقاء ابنة عدى بن غالب بن قيس الهمدانية ، وكانت
شهدت مع قومها صفين ، فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ .

قال بعضهم : نحن نحفظه ياأمير المؤمنين . قال : فأشيروا على في
أمرها .

فقال بعضهم : نشير عليك بقتلها . قال بمس الرأي أشرتكم به على ،
أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه أنه قتل امرأة بعدما ظفر بها .

(١) معاوية .

(٢) عمرو بن العاص ، وسعيد بن العاصي وكانت لهما الخطوة في مجلس الخليفة .

(٣) على وفاطمة .. والحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين .

فكتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى محارمها وعدة من فرسان قومها ، وأن يمهّد لها وطاءً لينا ، ويسترها بستر خفيف (١) ، ويوسع لها في النفقة ، فأرسل إليها عامله ، فأقرأها الكتاب ، فقالت : إن كان أمير المؤمنين قد جعل الخيار إلى فاى لا آتية ، وإن كان حتم فالطاعة أولى . فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به .

فلما دخلت على معاوية قال : مرحبا وأهلا ، قدمت خير مقدم قدمه وافد ! كيف حالك ؟ .

قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، أدام الله لك النعمة .

قال : كيف كنت في مسيرك ؟ .

قالت : ربيبة بيت ، أو طفلا ممهداً .

قال : بذلك أمرناهم ، أتدرين فيم بعثت إليك ؟ .

قالت : أنى لى بعلم ما لم أعلم !؟

قال : ألسـت الراكبة الجمل الأحمر ، والواقفة بين الصفين يوم صفين تحضين الناس على القتال ، وتوقدين الحرب ؟ فما حملك على ذلك ؟ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، مات الرأس ، وبتـر الذنب ، ولم يعد ما ذهب ، والدهر ذو غير ، ومن تفكر أبصر ، والأمر يحدث بعده الأمر .

قال لها معاوية : صدقت ، أتخفظين كلامك يومئذ ؟ .

قالت : والله لا أحفظه ، ولقد أنسيته .

قال : لكنى أحفظه ، لله أبوك حين تقولين :

أيها الناس ، ارعوا وارجعوا ، إنكم قد أصبحتم في فتنة غشتكم (٢)

(١) خفيف : غليظ . والوطاء الفراش اللين والخفيف المحكم النسج .

(٢) غشتكم : أى غطتكم وألبستكم . وجلايب : جمع جلباب وهو ما يلبس وتقصد أن هذه الفتنة قد لفتهم بظلامها .

جلايب الظلم ، وجارت بكم عن قصد المحجة ، فياها فتنة عمياء ، صماء
بكماء ، لا تسمع لناعقيها ، ولا تنساق لقائدها ، إن المصباح لا يضيء في
الشمس ، ولا تنير الكواكب مع القمر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد . ألا من
استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه .

أيها الناس ، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبرا يا معشر
المهاجرين والأنصار على الغصص ، فكأن قد اندمل شعب الشتلات ، والتأمت
كلمة العدل ، ودمغ الحق باطله ، فلا يجهلن أحد فيقول :
كيف العدل ؟ وأنى ؟ ليقض الله أمراً كان مفعولاً .

ألا وإن خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم
مابعده :

والصبر خير في الأمور عواقباً

إيها في الحرب قدماً غير ناكصين (١) ولا متشاكسين

ثم قال لها : والله يازرقاء لقد شركت عليا في كل دم سفكه ! .
قالت : أحسن الله بشارتك ، وأدام سلامتك ؛ فمثلك بشر بخير ، وسر
جليسه .

قال : أو يسرك ذلك ؟ قالت : نعم والله ، لقد سررت بالخبر ، فأني لي
بتصديق الفعل .

فضحك معاوية وقال : والله لوفاءؤكم له بعد موته ، أعجب من حبكم
له في حياته . اذكرى حاجتك .

قالت : يا أمير المؤمنين ، آليت على نفسي ألا أسأل أميراً أعنت عليه (٢)

(١) إيها : اسم فعل . يقصد به طلب الزيادة . ونكص على عقبيه : تراجع منهزماً .

(٢) أعنت عليه : وقفت ضده ، وفي صف غير صفه .

أبدا ، ومثلك أعطى من غير مسألة ، وجاد من غير طلبه .

قال : صدقت ! وأمر لها وللذين معها بجوائز وكساً .

٤ - وفود أم سنان بنت خيثمة

سعيد بن حذافة قال : حبس مروان بن الحكم وهو والى المدينة غلاما من بنى ليث فى جناية جناها فأنته جدة الغلام أم أبيه ، وهى أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية ، فكلمته فى الغلام فأغلظ لها مروان .

فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه ، فانتسبت فعرفها ، فقال لها : مرحبا يابنة خيثمة ، ما أقدمك أرضنا ، وقد عهدتك تشميننا وتحضين علينا عدونا ؟ .

قالت إن لبنى عبد مناف أخلاقا طاهرة ، وأعلاما ظاهرة ، وأحلاما وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ماسن أبأؤه لأنت .

قال : صدقت ! نحن كذلك . فكيف قولك :

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد	والليل يصدر بالهموم ويورد
يال مذحج لا مقام فشمروا	إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا على كاهلال تحفه	وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد	إن يهدكم بالنور منه تهتدوا
مازال مذ شهد الحروب مظفرا	والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت : كان ذلك يأمر المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خلفا بعده ، فقال رجل من جلسائه : كيف يأمر المؤمنين وهى القائلة :

إما هلكت أبا الحسين فلم تنزل	بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك مادعت	فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفاً كما	أوصى إليك بنا فكنت وفيا
فاليوم لا خلف يؤمل بعده	هيات نأمل بعده إنسيا

قالت : يا أمير المؤمنين ، لسان نطق ، وقول صدق ، ولكن تحقق فيك ماظنتنا فحظك الأوفر .

والله ما ورثك الشنآن (١) في قلوب المسلمين إلا هؤلاء . فادحض مقاتلهم ، وأبعد منزلتهم ، فإنك إن فعلت ذلك تزد من الله قربا ومن المؤمنين حبا .

قال : وإنك لتقولين ذلك ؟ قالت سبحان الله ! ، والله مامثلك ملوح بياطل ، ولا اعتذر إليه بكذب ؛ وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا .

كان والله على أحب إلينا منك ، وأنت أحب إلينا من غيرك .

قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص . قال :

وهم استحققت ذلك عندك ؟ قالت : بسعة حلمك ، وكريم عفوك .

قال : إنهما يطمعان في ذلك . قالت : هما والله من الرأي على ماكنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله . قال : والله لقد قاربت . فما حاجتك ؟ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، إن مروان تبنك في المدينة تبنك من لا يريد منها البراح ، لا يحكم بعدل ، ولا يقضى بسنة ، يتبع عثرات المسلمين ، ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابني ، فأتيته ، فقال : كيت وكيت ، فألقمته أحشن من الحجر ، وألقته أمر من الصاب ، ثم رجعت إلى نفسي باللائمة ، وقلت لم لا أصرف ذلك إلى من هو أولى بالعفو منه ؟ فأتيته يا أمير المؤمنين لتكون في أمرى ناظرا ، وعليه معديا .

قال : صدقت ، لا أسألك عن ذنبه ، والقيام بحجته ، اكتبوا لها بإطلاقه .

قالت : يا أمير المؤمنين ؛ وأنى لي بالرجعة ، وقد نفذ زادي وكلت راحلتي ؟ .

فأمر لها بإحالة ، وخمسة آلاف درهم .

(١) الشنآن : الكراهية .

٥ - وفود عكرشة بنت الأطرش

على معاوية

أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال :

دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية متوكئة على عكاز لها ، فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم إذ لا على حي . قال : ألسنت المقلدة حمائل السيوف بصفين ، وأنت واقفة بين الصفين تقولين : أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم . إن الجنة لا يرحل عنها من أوطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ؛ فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها ، وكونوا قوما مستبصرين في دينهم ، مستظهرين بالصبر على طلب حقهم .

إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب غلف (١) القلوب ، لا يفقهون الإيمان ، ولا يدرون ما الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبوه ، فאלله الله عباد الله في دين الله ، إياكم والتواكل ؛ فإن ذلك ينقض عرى الإسلام ، ويطفئ نور الحق .

هذه بدر الصغرى ، والعقبة الأخرى . يا معشر المهاجرين والأنصار امضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيمتكم ، فكأنى بكم غدا ، ولقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البقر ، وتروث روث العتاق (٢) .

فكأنى أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران يقولون : هذه

(١) غلف جمع أغلف ، والقلب الأغلف كأنما غشى غلافا ؛ فهو لا يرى .

(٢) تصقع : تخلف رائحة كريهة .

عكرشة بنت الأطرش بن رواحة . فإن كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ؛ فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ (١) وإن اللبيب إذا كره أمراً لا يحب إعادته ، قال : صدقت ، فاذكرى حاجتك .

قالت : إنه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتزد على فقرائنا ، وإننا قد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسبر ، ولا ينعش لنا فقير ، فإن كان ذلك عن رأيك فمثلك تنبه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان عن غير رأيك فما مثلك استعان بالحنونة ولا استعمل الظلمة .

قال معاوية : يا هذه ، إنه ينوبنا من أمور رعيئتنا أمور هي أولى بها منكم .
بحور تنشق وتغور تنفتق (٢) .

قالت : يا سبحان الله ، والله ما فرض الله لنا حقاً فجعل فيه ضرراً على غيرنا وهو علام الغيوب .

قال معاوية : يا أهل العراق ، نهكم على بن أئى طالب فلم تطاقوا ! ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

(١) سورة المائدة : ١٠١ .

(٢) يريد ما يجد من فتوحات وتوسعات تحتاج إلى أن توجه الأموال إليها ، وكأنما يبرر عدم رد صدقات قوم عكرشة في فقرائهم ليقرع الحجة بالحجة في هذا الحوار الممتع الذى انتصرت فيه عكرشة ، ورجعت وقد صبر الأمر برد صدقاتها وإنصافها .

٦ - قصة دارمية الحجونية مع معاوية

رحمه الله تعالى

سهل بن أنى سهل عن أبيه قال : حج معاوية ، فسأله عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالحجون يقال لها دارمية الحجونية ؛ وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها ؛ فبعث إليها فجىء بها ؛ فقال : ما حالك يا بنة حام (١) ؟ فقالت : لست لحام إن عيتنى ؛ أنا امرأة من بنى كنانة .

قال : صدقت . أتدريين لم بعثت إليك ؟ .

قالت : لا يعلم الغيب إلا الله .

قال : بعثت إليك لأسألك : علام أحببت عليا وأبغضتني ؛ وواليتي وعاديتني ؟ قالت : أو تعفني . قال : لا أعفيك .

قالت : أما إذ آيت ، فإنى أحببت عليا على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر ، وطلبتك ماليش لك بحق ، وواليت عليا على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاء ، ووجه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك في القضاء . وحكمك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثديك ، وربت عجيزتك .

قالت : هند - والله - كان يضرب المثل في ذلك لا بى (٣) .

(١) ينسبون الجنس الأسود إلى حام بن نوح .

(٢) العجيزة : العجيزة للمرأة خاصة ، والعجز من كل شيء مؤخره ، وامرأة عجزاء : عظيمة العجيزة .

(٣) هند أم معاوية وامرأة أنى سفيان ، ومحرضة وحشى على قتل الحمزة .

قال معاوية : ياهذه ، اربعى (١) ؛ فإننا لم نقل إلا خيرا :

إنه إذا انتفخ بطن المرأة ثم خلق ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروى رضيعها ، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها . فرجعت وسكنت قال لها : وياهذه ، هل رأيت عليا ؟ قالت : إى والله . قال : فكيف رأيته ؟ .

قالت : رأيته - والله - لم يفتنه الملك الذى فتنك ، ولم تشغله النعمة التى شغلتك .

قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم - والله - فكان يجلو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيت صدأ الطست (٢) . قال : صدقت ! فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطينى مائة ناقة حمراء ، فيها فحلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ .

قالت : أغذو بالأنبا الصغار ، وأستحى بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر .

قال : فإن أعطيتك ذلك ، فهل أحل عندك محل على بن أبى طالب ؟ .

قالت : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان (٣) ، وفتى ولا كمالك (٤) ، ياسبحان الله أو دونه ؟ فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحلم منى عليكم فمن ذا الذى بعدى يؤمل للحلم ؟
خذيها هنيئا ، واذكرى فعل ماجد جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال : أما - والله - لو كان على حيا ما أعطاك منها شيئا .

قالت : لا - والله - ولا وبرة واحدة من مال المسلمين .

* * *

(١) اربعى : توقفى عن هذا الكلام ، وانتظرى .

(٢) الطست : إناء من نحاس لغسل الأيدى ونحو ذلك .

(٣) السعدان : من أفضل مراعى الإبل ، وصداء : بئر ماؤها أعذب وهذان مثلان يضربان لمن

يفضل على أقرانه وأشكاله .

(٤) قاله متمم بن نويرة فى أخيه مالك حين قتل . يضرب لمن يطلب المعروف عند اللئيم .

٧ - وفود أم الخير بنت حريش على معاوية

عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي ، قال : قال : كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقبة البارقي برحلهما ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرا ، وبالشر شرا بقولها فيه ، فلما ورد عليه كتابه ، ركب إليها فأقرأها كتابه ؛ فقالت : أما أنا فغير زائغة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمر تختلج في صدري .

فلما شيعها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه مجازيني بالخير خيرا ، وبالشر شرا ؛ فما لي عندك ؟ قالت : يا هذا لا يطمعك برك لي أن أسرك بباطل . ولا تؤنسك معرفتي بك أن أقول فيه غير الحق .

فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية فأنزلها مع الحرم ؛ ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه ؛ فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير . بحق مادعوتني بهذا الاسم ؟ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، مه ؛ فإن بديهة السلطان مدحضة لما يحب علمه (١) ، ولكل أجل كتاب ، قال : صدقت ! فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت إليك ، فأنا في مجلس أنيق ، عند ملك رفيق . قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم . قالت : يا أمير المؤمنين ، يعيذك الله من دحض المقال ، وما تردى عاقبته . قال : ليس هذا أردنا .

(١) البديهة : المفاجأة ، ومدحضة : مبطللة .

أخبرنا كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر ؟ قالت : لم أكن زورته قبل ، ولا رويته بعد (١) ، وإنما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة ، فإن أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت .

فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعض كلامها يأمر المؤمنين . قال : هات .

قال : كأتى بها وعليها برد زيدي كثيف ، بين النسيج ، وهى على جمل أرمك (٢) ، وقد أحيط حولها حواء (٣) ، ويدها سوط منتشر الضفيرة ، وهى كالفلح يهدر فى شقشقته (٤) تقول :

يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم !، إن الله قد أوضح لكم الحق ، وأبان الدليل ، وبين السبيل ، ورفع القلم ، ولم يدعمكم فى عمياء مدلهمة ، فأين تریلون رحمكم الله ؟ .

أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزحف ، أم رغبة عن الإسلام ، أم ارتداداً عن الحق ؟ .

أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (٥) .

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهى تقول : اللهم قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشرت الرعبة ، وييدك يارب أزمة القلوب ، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله ، هلموا - رحمكم الله - إلى الإمام العادل ، والرضى التقى ، والصديق الأكبر ،

(١) رؤيئت فى الأمر : فكرت فيه ، وزوَّزته : زينته .

(٢) الأرمك : الرمادى .

(٣) الحواء : ما يتخذ حولها كالوسادة على الرجل .

(٤) الشَّقْشِقَةُ : شئ كالرئة يخرج البعير من فيه إذا هاج - والعامة فى مصر يقولون فى ذلك

« يضرب بالقلة » .

(٥) سورة محمد : ٣١ .

إنها إحن بدرية (١) ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أهدية ، وثب بها واثب حين الغفلة ، ليدرك ثارات بنى عبد شمس .

(٢)

ثم قالت : ﴿ فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾ .

صبرا يامعشر المهاجرين والأنصار قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة ، فرت من قسورة ، لاتدرى أين يسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى ، وعمّا قليل ليصبحن نادمين ، حتى تحمل بهم الندامة فيطلبون الإقالة ، ولات حين مناص .

إنه من ضل - والله - عن الحق وقع في الباطل ، ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخرة فسعوا لها ، فالله الله أيها الناس قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، ويظهر الظالمون ، وتقوى كلمة الشيطان ؛ فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله ﷺ وصهره وأبى سبطيه (٣) ؟ خلق من طينته ، وتفرع من نبعته ، وخصه بسره ، وجعله باب مدينته ، وأعلم بحبه المسلمين ، وأبان ببغضه المنافقين (٤) ، ها هو ذا مفلق الهام ، ومكسر الأصنام ؛ صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفى أهل أحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خير ، وفرق به جمع هوازن (٥) ؛ فياها من وقائع زرعت في قلوب نفاقا وردة وشقاقا ، وزادت المؤمنين إيمانا ، وقد اجتهدت في القول ، وبالغت في النصيحة ؛ وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يأم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلى ، ولو قتلتك ما حرجت في ذلك .

(١) الإحن جمع إحنة : الأحقاد . وبدرية نسبت إلى بدر وهي أول الوقائع بين المسلمين والمشركين . تريد أن معاوية بإثارتها الحرب على علي إنما ينتقم لمن قتل من آل يوم بدر .

(٢) سورة التوبة : ١٢ .

(٣) السبط الحفيد ، والحسن والحسين سبطاه . وعلى أبوهما .

(٤) تشير بذلك إلى الحديث « لا يحبه إلا مؤمن » ولا يبغضه إلا منافق .

(٥) تريد بذلك يوم حنين .

قالت والله مايسوؤنى أن يجرى قتلى على يدى من يسعدنى الله بشقائه .

قال : هيهات ياكثرية الفضول . ماتقولين فى عثمان بن عفان رحمه

الله ؟

قالت : وماعسيت أن أقول فى عثمان ؟ استخلفه الناس وهم به

راضون ، وقتلوه وهم له كارهون ! .

قال معاوية : يأثم الخير ؛ هذا والله أصلك الذى تبين (١) عليه .

قالت : لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ، ماأردت بعثمان نقصا ، ولكن كان سابقا إلى الخير ، وإنه لرفيع الدرجة غدا .

قال : فما تقولين فى طلحة بن عبيد الله (٢) ؟ قالت : وماعسى أن أقول

فى طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من حيث لم يحذر ! وقد وعده رسول الله ﷺ الجنة .

قال : فما تقولين فى الزبير (٣) ؟ قالت : وما أقول فى ابن عمه

رسول الله ﷺ وحواريه (٤) ؟ وقد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، وقد كان

سباقا إلى كل مكرمة فى الإسلام ، وأنا أسألك بحق الله يامعاوية ، فإن قرىشا

تحدثت أنك أحلمها - أن تسعنى بفضل حلمك ، وأن تعفينى من هذه

المسائل ، وتسألنى عما شئت من غيرها .

قال : نعم ونعمة عين ، قد أعفيتك منها . ثم أمر لها . بجائزة رفيعة

وردها مكرمة .

(١) يريد أن سوء رأيا فى عثمان هو الذى دفعها إلى مناصرة على . . .

(٢) طلحة بن عبيد الله أحد السابقين الأولين ، والأبطال المعلمين ، وعاش عشرة بشريهم رسول الله بالجنة ، وسادس ستة اختارهم عمر رضى الله عنه ليكون منهم الخليفة من بعده ، وأول صحابى بايع عليا ثم استحال رأيه فخرج عليه وانضم إلى جند عائشة . يوم الجمل وهالك أصيب بسهم أودى به رضى الله عنه .

(٣) كان أمر الزبير حيال على شيبه بأمر طلحة . وكان قد انضم إلى جند عائشة ، فأرسل يذكره بقول رسول الله له : « لتقاتلنه - يريد تقاتل عليا - وأنت ظالم له » فانثنى عن الموقعة فرارا من الباطل ، وعودا إلى الحق ، فلما انتهى إلى واد يقال له : وادى الباع أخذه النوم فاغتناله رجل من مجاشع يقال له : عمر بن جرموز .

(٤) حواريه : الجوارى الناصر للأنبياء ، وحوارى الرجل صفوته من الناس .

٨ - وفود أروى بنت عبد المطلب

على معاوية رحمه الله

العباس بن بكار قال : حدثني عبد الله بن سليمان المدني ، وأبو بكر الهذلي ، أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها معاوية قال : مرحبا بك وأهلا ياعمة ، فكيف كنت بعدنا ؟ .

فقالت يابن أخى ، لقد كفرت يد النعمة ، وأسأت لابن عمك الصعبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقلك من غير دين كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله ﷺ ، فأتعس الله منكم الجلود ، وأضرع منكم الخلود (١) ، ورد الحق إلى أهله ، ولو كرهه المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا ﷺ هو المنصور ، فوليتم علينا من بعده ، تحتجوا بقرابتكم من رسول الله ﷺ ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر ؛ فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل في آل فرعون ، وكان على بن أبى طالب رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ، فغائتنا الجنة وغائتكم النار .

فقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضالة ، وأقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك ، إذ لا تجوز شهادتك وحدك ! .

فقالت له : وأنت يابن النباغة تتكلم ! وأملك كانت أشهر امرأة تغنى بمكة ، وآخذهن لأجرة ! أربع على طلعك ، واعن بشأن نفسك ؛ فو الله ماأنت من قريش في اللباب من حسبي ، ولا كريم منصبي ، ولقد ادعاك خمسة

(١) من الضراعة والذلة .

نفر من قريش [كلهم يزعم أنه أبوك] فسئلت أمك عنهم ، فقالت : كلهم
أتاني ، فانظروا أشبههم به فألحقوه به ، فغلب عليك شبه العاص بن وائل
فلحقته به .

قال : مروان : كفى أيتها العجوز ، واقصدي ^(١) لما جئت له .

فقالت : وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم !؟ .

ثم التفتت إلى معاوية ، فقالت : والله ما جرأ على هؤلاء غيرك وإن أمك
القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناكم يوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سحر ^(٢)
ما كان لي عن عتبة من صبر فشكر وحشي ^(٣) على دهرى
حتى ترم ^(٤) أعظمى في قبرى

فأجابتها بنت عمى وهى تقول :

خزيت في بدر وبعد بدر يابنة جبار عظيم الكفر

فقال معاوية : عفا الله عما سلف ياعمة ! هاتى حاجتك ^(٥) .

قالت : مالى إليك حاجة ، وخرجت عنه .

* * *

(١) تكلمى في الموضوع الذى جئت من أجله مباشرة ، ودعى كلامك هذا بشأن عمرو
ابن العاص .

(٢) تستعر ويشند لهما .

(٣) وحشى قاتل حمزة . وقد أسلم . وعاش حتى قتل مسيلمة الكذاب .

(٤) تصبح بالية فهى رميم .

(٥) أذكرى ما جئت من أجله .

في الأمثال السائرة

قال ابن عبد ربه :

.. ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأمثال ، التي هي وشى الكلام وجوهر اللفظ ، وحلى المعاني ، والتي تختيرها العرب ، وقدمتها العجم ، ونطق بها كل زمان ، وعلى كل لسان ، فهي أبقى من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مسيرها ، ولا عم عمومها ، حتى قيل : « أسير من مثل » .

وقال الشاعر :

ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الجاهل والخاير (١)
ولقد ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه وضربها رسول الله ﷺ في كلامه .

قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبُ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ (٢) وقال : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾ (٣) ومثل هذا في القرآن كثير ومن أمثال العرب مما روى أبو عبيد جردناها من الآداب التي أدخل فيها أبو عبيد إذ كنا قد أفردنا للأدب والمواعظ كتبنا غير هذا .

وضممنا إلى أمثلة العرب القديمة ما جرى على ألسنة العامة من الأمثال المستعملة ، وفسرنا من ذلك ما احتاج إلى التفسير (٤) .

(١) الخاير : من لديه خبرة بالأمر وعلم .

(٢) سورة المؤمنون : ٥١ .

(٣) سورة النحل : ٧٦ .

(٤) استخلصنا الأمثال الخاصة بالنساء مما يناسب كتابنا هذا . المحقق .

ومن ذلك قولهم فيمن يضرب به المثل من النساء

يقال :

- أشأم من البسوس .
- وأحق من دُغة .
- وأمنع من أم قرفة .
- وأقود من ظلمة .
- وأبصر من زرقاء اليمامة .

البسوس : جارة جساس بن مرة بن ذهل بن شيان ، ولها كانت الناقة التي قتل من أجلها كليب بن وائل ، وبها ثارت الحرب بين بكر بن وائل وتغلب ، التي يقال لها : « حرب البسوس » .

وأم قرفة : امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وكان يعلق في بيتها خمسون سيفاً ، كل سيف منها لدى محرم لها .

ودغة : امرأة من عجل بن لجيم ، تزوجت في بني العنبر ، بن عمرو بن تميم .

وزرقاء بنت نمير : امرأة كانت تبصر الشعرة البيضاء في اللبن ، وتنظر المراكب على مسيرة ثلاثة أيام ، وكانت تنذر قومها الجيوش ، إذا غزتهم ، فلا يأثمهم جيش إلا وقد استعدوا له ، حتى احتال لها بعض من غزاهم ، فأمر أصحابه ، فقطعوا شجراً أمسكوه أمامه بأيديهم ، ونظرت الزرقاء فقالت :
إني أرى الشجر قد أقبل إليكم ! .

قالوا : قد خرفت ورق عقلك ، وذهب بصرك ، فكذبوها وصباحتهم
الخييل ، وأغارت عليهم ، وقتلت الزرقاء (١) .

قال : فقوروا عينيها ؛ فوجدوا عروق عينيها قد غرقت في الإثم (٢) ؛ من
كثرة ما كانت تكتحل به .

وظلمة : امرأة من هذيل ، زنت أربعين عاما ، فلما عجزت عن الزنا
والقود ، كانت تقود تيسا لينزو على عنز ! .

صدق الحديث

ومن قولهم : القول ما قالت حذام .

وهي امرأة لجيم بن صعب ، والد حنيفة وعجل ، ابني لجيم ، وفيها
قال :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

سوء المسألة وسوء الإجابة

وقالوا : حدث امرأة حديثين ، فإن لم تفهم فأربعة . كذا في الأصل ؛
والذي أحفظ ، فأربع ، أى أمسك .

التعريض بالكناية

ومنه قولهم : إياك أعنى ، واسمعى ياجارة .

(١) وجرى المثل : أبصر من زرقاء البمامة .

(٢) الإثم : حجر أسود يدق ويكتحل به .

الدعاء بالخير

وقولهم في النكاح :

على بدء الخير واليُمن .

وقولهم : بالرفاء والبنين . يريد بالرفاء : الكثرة ، يقال منه : رفأته إذا دعوت له بالكثرة .

تعبير الإنسان صاحبه بعبه

قالوا : رمتني بدائها وانسلت .

الذّب (١) عن الحُرَم

وقولهم : النساء لحم على وضم ، إلا ما ذب عنه .

وقولهم : النساء حباثل الشيطان .

وقولهم : كل ذات صدائر (٢) خالة . يريد أنه يحميها كما يحمي خالته .

تأديب الكبير

قال الشاعر :

وتروض عرسك بعدما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

وقولهم :

أعيتني بأشر فكيف بدردر !؟ .

يقول : أعيتني وأنت شابه ، فكيف إذا بدت درادرك وهي مغارز الأسنان !؟ .

(١) الذّب : الدفاع ، وسمى الذباب ذبابا ، لأنه كلما ذّبّ آب .

(٢) الصّدّار : قميص تلبسه المرأة .

إعجاب الرجل بأهله

- منه قولهم : كل فتاة بأبيها معجبة .
وقولهم : القرنبي (١) في عين أمها حسنة .
وقولهم : زين في عين والد ولده .
وقولهم : حسن في كل عين من تود .
وقولهم : من يمدح العروس إلا أهلها .

العفو عند المقدرة

- منه قولهم : ملكت فأسجح .
وقد قالته عائشة رضي الله عليها لعل بن أبي طالب كرم الله وجهه يوم
الجمال حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ، وكلمها فأجابته : ملكت
فأسجح . أى ظفرت فأحسن ، فجهزها بأحسن الجهاز ، وبعث معها أربعين
امراً . وقال بعضهم : (سبعين) ، حتى قدمت المدينة .

مفاكهة الرجل أهله

- منه قولهم : كل امرئ في بيته صبي .
يريد حسن الخلق والمفاكهة .
ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : إنا إذا خلونا قلنا .
ومنه قول النبي ﷺ : « خياركم خياركم لأهله » .
ومنه قول معاوية : إنهن يغلبن الكرام ، ويغلبهن اللثام .

(١) القرنبي : دويبة كالخنفسة طويلة القوائم .

المروءة مع الحاجة

منه قولهم : تجوع الحرة ولا تأكل بثديها .

وضع الشيء في غير موضعه

ومنه قولهم : كعملمة أمها الرضاعة .

البخيل يعتل بالعسر

ومنه قولهم : قبل النفاس كنت مصفرة .

طلب الحاجة المتعذرة

منه قولهم : تسألني برامتين سلجماً . وأصله أن امرأة تشتهت على زوجها سلجماً وهو بيلد قفر ، فقال هذه المقالة ؛ والسلجم : اللفت .
ومنه قولهم :

إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خلق

المصانعة في الحاجة

من يطلب الحسنة يعط مهرها .

الظلم من نوعين

منه قولهم : أغيرة وجبنا ؟ .

قالته امرأة من العرب لزوجها تعيره حين تخلف عن علوه في منزله ،
ورآها تنظر إلى القتال ، فضرى بها ، فقالت : أغيرة وجبنا ؟ .

الكريم يهضمه اللثيم

لو ذات سوارٍ لطمتني ! .

والحمد لله أولاً وأخيراً .

الباب التاسع

المعجم النسائي

في محاسن المرأة وأوصافها الخلقية ، والخلقية

من فقه اللغة للثعالبي

جمع واختيار

محمد إبراهيم سليم

صفحة من فقه اللغة للثعالبي (١)
في محاسن أخلاقها وسائر أوصافها
عن الأئمة

إذا كانت حية ؛ فهي : خَضِرَة وَخَرِيدَة .

فإذا كانت منخفضة الصوت ؛ فهي : رَخِيمَة .

فإذا كانت محبة لزوجها مُتَحَبِّة إليه ؛ فهي : عَرُوب .

فإذا كانت تُفُوراً من الرِّبَة ، فهي نَوَار .

فإذا كانت تتجنب الأقدار ؛ فهي قَدُور .

فإذا كانت عفيفة ؛ فهي حَصَان .

فإذا أحصنها زوجها ؛ فهي مُحْصَنَة .

فإذا كانت عاملة الكفين ؛ فهي صَنَاع .

فإذا كانت خفيفة اليدين بالغزل ؛ فهي ذَرَاع .

فإذا كانت كثيرة الولد ؛ فهي ثُور .

فإذا كانت قليلة الأولاد ؛ فهي نُزُور .

فإذا كانت تتزوج وابنها رجل ؛ فهي بُرُوك .

فإذا كانت تلد الذكور ، فهي مَذْكَار .

(١) إتماماً للفائدة رأينا أن نضع بين يديك ما جاء في فقه اللغة للثعالبي عن أوصاف المرأة .

المحقق .

- فإذا كانت تلد الإناث ، فهي مِثْنَات .
- فإذا كانت تلد مرة ذكرا ومرة أنثى ؛ فهي مِغْقَاب .
- فإذا كان لا يعيش لها ولد ، فهي مِقْلَات .
- فإذا أتت بتوأمين ؛ فهي مِتَام .
- فإذا كانت تلد النجباء ؛ فهي مِنجَاب .
- فإذا كانت تلد الحمقى ؛ فهي مِنْحِمَاق .
- فإذا كان يغشى عليها عند البضاع ، فهي رَبُوخ .
- فإذا كان لها زوج ، ولها ولد من غيره ؛ فهي لَقُوت .
- فإذا كان لزوجها امرأتان ، وهى ثالثتهما ، فهي مُثْفَأة شَبَت بِأَثَافِي الْقَدَر .
- فإذا مات عنها زوجها أو طلقها ، فهي مُرَاسِل - عن الكسائي .
- فإذا كانت مطلقة ؛ فهي مَرْدُودَة .
- فإذا مات زوجها ؛ فهي فَاقِد .
- فإذا مات ولدها ؛ فهي ثَكُول .
- فإذا تركت الزينة لموت زوجها ؛ فهي حَادٌّ وَمُحِدٌّ .
- فإذا كانت لا تحظى عند أزواجها ؛ فهي صِلْفَة .
- فإذا كانت غير ذات زوج ؛ فهي أَيْم وَعَرَبَة ، وأرْمَلَة ، وفارغة .
- فإذا كانت ثيبا ؛ فهي عَوَان .
- فإذا كانت بخاتم ربها ؛ فهي بَكْر وَعَذْرَاء .
- فإذا بقيت في بيت أبويها غير مزوجة ؛ فهي عَانَس .
- فإذا كانت عروسا ؛ فهي هَدِي .

فإذا كانت جليلة تظهر للناس ويجلس إليها القوم ؛ فهي بَرَزَةٌ .
فإذا كانت نَصِفَاء عاقلة ؛ فهي شَهْلَةٌ كَهْلَةٌ .
فإذا كانت تلقى ولدها وهو مضغة ؛ فهي مُنْصِلٌ .
فإذا قامت على ولدها بعد موت زوجها ؛ ولم تتزوج فهي مُشْبِلَةٌ .
فإذا كان ينزل لبنها من غير حبل ؛ فهي مُحْمِلٌ .
فإذا أرضعت ولدها ثم تركته لتدرجه إلى القطام ؛ فهي مُعْفَرَةٌ .

★ ★ ★

في ترتيب حسن المرأة - عن الأئمة

إذا كان بها مسحة من جمال ، فهي وَضِئَةٌ وَجَمِيلَةٌ .
فإذا أشبه بعضها بعضاً في الحسن ؛ فهي حُسَانَةٌ .
فإذا استغنت بجمالها عن الزينة ؛ فهي غَانِيَةٌ .
فإذا كانت لا تبالى أن لا تلبس ثوباً حسناً ، ولا تتقلد قلادة فاخرة ؛ فهي مِعْطَالٌ .
فإذا كان حسنُها ثابتاً كأنه قد وُسِمَ ؛ فهي وَسِيمَةٌ .
فإذا قسم لها حظ وافر من الحسن ؛ فهي قَسِيمَةٌ .
فإذا كان النظر إليها يسر الروح ؛ فهي رَائِعَةٌ .
فإذا غلبت النساء بحسنها ؛ فهي بَاهِرَةٌ .

فصل في تقسيم الحسن وشروطه

(عن ثعلب عن ابن الأعرابي وغيرهما)

الصباحة في الوجه ، الوضاعة في البشرة ، الجمال في الأنف ، الحلاوة في العينين ، الملاححة في الفم ، الظرف في اللسان ، الرشاقة في القد ، اللباقة في الشمائل ، كمال الحسن في الثغر .

في ترتيب سن المرأة

هي طفلة مادامت صغيرة .

ثم وليدة إذا تحركت .

ثم كاعِب إذا كعب ثديها .
ثم ناهد إذا زاد .
ثم مُعَصِر إذا أدركت .
ثم عانس إذا ارتفعت عن حد الإعصار .
ثم نَحُود إذا توسطت الشباب .
ثم مُسْلِف إذا جاوزت الأربعين .
ثم نَصَف إذا كانت بين الشباب والتعجيز .
ثم شَهْلَة كَهْلَة إذا وجدت مس الكبر وفيها بقية وجلد .
ثم شَهْبَرَة إذا عجزت وفيها تماسك .
ثم حَيَزُوبُون إذا صارت عالية السن ناقصة القوة .
ثم قَلْعَم وإِطْلِيط إذا انحنى قدها وسقطت أسنانها .

في محاسن العين

الدَّعِجُ : أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة .
التَّجَلُ : سعتها .
الكَّحَلُ : سواد نجفونها من غير كُحُل .
الجَّوَرُ : اتساع سوادها كهو في أعين الأطباء .
الوطف : طول أشفارها وتماها . وفي الحديث أنه ﷺ كان في أشفاره
وطف .

في محاسن الأسنان

- الشَّنَب : رقة الأسنان واستواؤها وحسنها .
الرتل : حسن تنضيدها واتساقها .
التفليج : تفرج ما بينهما .
الشَّتت : تفرقها في غير تباعد بل في استواء وحسن ، ويقال :
ثغر شتيت إذا كان مفلجا أبيض حسنا .
الأشَر : تحزيز في أطراف الثنايا يدل على حداثة السن وقرب المولد .
الظَّلَم : الماء الذي يجري على الأسنان من البريق ، لا من الريق .

في تفصيل الأوصاف المحمودة في محاسن خلق المرأة

(عن الأئمة)

- إذا كانت شابه حسن الخلق ؛ فهي تحود .
فإذا كانت جميلة الوجه حسنة المعرى ؛ فهي بهكئة .
فإذا كانت دقيقة المحاسن ؛ فهي ممكورة .
فإذا كانت حسنة القد لينة القصب ؛ فهي خرعة .
فإذا كانت لم يركب بعض لحمها بعضا ؛ فهي مبتلة .
فإذا كانت لطيفة البطن ؛ فهي هيفاء وخمصانة .
فإذا كانت لطيفة الكشحين ؛ فهي هضم .

- فإذا كانت لطيفة النَخصر مع امتداد القامة ؛ فهي ممشوقة .
- فإذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحسن ؛ فهي عُطْبُول .
- فإذا كانت عظيمة الوركين ؛ فهي وَرْكَاء وهرْكَوله .
- فإذا كانت عظيمة العجيزة ؛ فهي رَدَاح .
- فإذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين ؛ فهي حَدَلْجَة .
- فإذا كانت ترتج من سمنها ؛ فهي مَرْمَارَة .
- فإذا كانت ترعد من الرطوبة والغضاضة ؛ فهي بَرَهْرَهَة .
- فإذا كانت كأن الماء يجري في وجهها من نُضرة النعمة ؛ فهي رَقْرَاقَة .
- فإذا كانت رقيقة الجلد ، ناعمة البشرة ؛ فهي بُضَّة .
- فإذا عرفت في وجهها نُضرة النعيم ؛ فهي فُنُق .
- فإذا كان بها فتور عند القيام لسمنها ؛ فهي أَنَاة وَوَهْنَانَة .
- فإذا كانت طيبة الريح ، فهي بَهْنَانَة .
- فإذا كانت عظيمة الخلق مع الجمال ؛ فهي عَبْهَرَة .
- فإذا كانت ناعمة جميلة ؛ فهي عَبْقَرَة .
- فإذا كانت متشينة من اللين والنعمة ؛ فهي غِيدَاء وَغَادَة .
- فإذا كانت طيبة النَّم ؛ فهي رَشُوف .
- فإذا كانت طيبة ريح الأنف ؛ فهي أَثُوف .
- فإذا كانت طيبة الخلوة ؛ فهي رَصُوف .
- فإذا كانت لعباً ضحوكاً ؛ فهي شَمُوع .
- فإذا كانت تامة الشعر ؛ فهي قَرْعَاء .

فإذا لم يكن لرفقها حجم من سمنها ؛ فهي دَرَماء .
فإذا ضاق ملتقى فخذليها لكثرة لحمها ؛ فهي لَفَاء .

★ ★ ★

فصل فى نعوته المذمومة خلْقاً وخلْقاً

(عن الأئمة)

إذا كانت نهاية فى السُّنِّ والعِظَم ؛ فهى قِيَعَلَة .

فإذا كانت ضخمة البطن مسترخية اللحم ؛ فهى عِفْضَاج ومُفَاضَة .

فإذا كانت كثيرة اللحم مضطربة الخلق ، فهى عَرَكْرَة ، وعَضْنَكَة .

فإذا كانت ضخمة الثديين ؛ فهى وَطْبَاء .

فإذا كانت طويلة الثديين مسترخيتهما ؛ فهى طُرْطُيَّة .

فإذا لم يكن لها عجيذة ؛ فهى زَلَاء . ورَسْحَاء . وقد قيل : إن الرسحاء : القبيحة .

فإذا كانت صغيرة الثديين ؛ فهى جَدَاء .

فإذا كانت قليلة اللحم ؛ فهى قَصِيرَة .

فإذا كانت قصيرة (دميعة) فهى قُتْبُضَة وَحَنَكَلَة .

فإذا كانت غير طيبة الخلوة ؛ فهى عَفْلَق .

فإذا كانت غليظة الخلق ؛ فهى جَادِب .

فإذا كانت دقيقة الساقين ، فهى كَرَّوَاء .

فإذا لم يكن على فخذيها لحم ؛ فهى مَصَوَاء .

فإذا لم يكن على ذراعيها لحم ؛ فهى مَدَشَاء .

فإذا كانت منتنة الريح ؛ فهى لَخْنَاء .

فإذا كانت لا تمسك بولها ؛ فهي مَثْناء .
 فإذا كانت مُفضاة ؛ فهي الشريم .
 فإذا كانت لا تحيض ؛ فهي ضَهِيَاء .
 فإذا كان لا يستطيع جماعها ؛ فهي رَتقاء وعَفلاء .
 فإذا كانت لا تحتضب ؛ فهي سَلْتاء .
 فإذا كانت حديدة اللسان ؛ فهي سَلِيطة .
 فإذا ازادت سلاطتها وأفرطت ؛ فهي سِلْفانة ، وعَرْقانة .
 فإذا كانت شديدة الصوت ؛ فهي صهْصِلِق .
 فإذا كانت جرية قليلة الحياء ، فهي قرْثع . وقد قيل : هي البلهاء .
 فإذا كانت بَذِيَّة فحاشة وقحة ؛ فهي سَلْفعة . وفي الحديث « شرهن
 السِّلْفعة » .

فإذا كانت تتكلم بالفحش ؛ فهي مَجِعة .
 فإذا كانت تلقى عنها قناع الحياء ؛ فهي جَلِعة .
 فإذا كانت تطلع رأسها ليراها الرجال ؛ فهي طُلعة . قُبعة .
 فإذا كانت شديدة الضحك ؛ فهي مَهْزاق .
 فإذا كانت تصدِّف (١) عن زوجها ؛ فهي صَدُوف .
 فإذا كانت مبغضة لزوجها ؛ فهي فَارِكة .
 فإذا كانت لا ترد يد لامس ؛ وتقر لما يصنع بها ؛ فهي قَرُور .

(١) صدف عنه أعرض ومال إلى غيره .

٥	بين يدى هذا الكتاب
٩	الكتاب والمؤلف
١٤	منهج التحقيق
١٧	هكذا خلقت !
٢١	مع ابن عبد ربه فى « حياة النساء »

الباب الأول

٢٣ - ٧٤	فى اختيار الخليفة الصالحة ، والزوجة الموافقة
	النساء وصفاتهن وما يحمد ويذم من عشرتهن :
٢٥	أقوال عنهن فى القصة
٢٦	الرسول ﷺ وعكاف
٢٧	قولهم فى المناكح (الزوجات) : أتيتنى تشتري كبدى - وصية ذهبية
٢٩	من أحسن ، أنا أم لقيط ؟
٣٢	لا تردوا الأكفاء عن النساء
٣٣	إليك عنى
٣٤	إنى لأخلاق مثل هذا الموافقة .. فزوجنيه !!
٣٧	وصية أنى سفيان لابنهما معاوية حين عمل لعمر - يرحم الله هذا
٣٨	الرسول ﷺ وأم هانىء - زواج الرسول ﷺ من حفصة
٣٩	خطبته ﷺ لخدمته - خطبة عمر لأم كلثوم بنت أبى بكر
٤٠	على وعمر فى أم كلثوم
٤١	سلمان وعمر فى ابنته - زواج بلال وأخيه
٤٢	زواج عثمان من نائلة
٤٣	فاطمة بنت الحسن بن على وابن عمرو
٤٤	محمد بن عبد الله بن عمرو - شريح والشعبى فى نساء تميم
٤٧	لمعاذ بن جبل : فتنة السراء ، وفتنة الضراء
٤٨	لابن هبيرة : مواصفات ! - يونس ومستشير له فى الزواج
٤٩	الوليد وعقائله : نطق من احتاج إلى نفسه ، وسكت من احتاج إلى غيره
٥٠	للحجاج فى نسوته : هذه ليلتى - أبو الجراح الخنثى والعشبي
٥١	تقبل بأربع ، وتدبر بثمان ! - الله أجل فى قلبى وأعظم !!
٥٣	أى النساء أشهى إليك ؟ - إتهن يغلبن الكرام ، ويغلبن اللثام

- ٥٤ جرير البجلي وابن الخطاب - الحجاج وابن القرية
- ٥٥ أعجب النساء - أريدها بكرا كتيب ، أو ثيبا كبير
- ٥٦ أفضل النساء - أحسن النساء
- ٥٨ أقوال في هذا المجال
- ٥٩ من أخبار عائشة بنت طلحة : صان الله ذلك الوجه
- ٦١ زواج عمرو بن حُجر - ما وراءك يا عصام ؟
- ٦٣ الفرزدق وأمة له - يعلى الهذلي وطلحة الطلحات
- ٦٥ ما كنت أظن أن امرأة تجترى على مثل هذا الكلام !!
- ٦٧ ابن علفة وعبد الملك : جنبني هجناء ولدك !
- ٦٨ ابن علفة وأولاده : وما يدريك ما نعت الخمر ؟
- ٦٩ عبد الملك وابنة عبد الرحمن - أخت أي سفيان
- ٧٠ زياد وسعيد بن العاص في ابنته - الحسن ورجل يزوج ابنته
- ٧١ عبد الملك وعمر بن عبد العزيز - الحسن يستشار
- ٧٢ تزوج بعشرة وأبق تسعين - البكر لك والثيب عليك !
- ٧٣ زلفة من غير ماء - قالت : أنا أسدة من بني أسد .. فخرجت ولم أعد !!

الباب الثاني

- ٨٨ - ٧٥ لطائف من أخبار النساء ، وطرائف من حياتهن
- ٧٧ وعلى الغانيات جر الذبول - من ينشأ في الحلية
- ٧٨ أنت أسد فاطلب لنفسك لبوة !!
- ٧٩ لا خير لك فيها - لا تتزوج امرأة تنظر في يدها - الحبيب الأول
- ٨٠ أعرابي وولي امرأة - أعرابية تنصح بنات عمها
- ٨١ الأصمعي وأعرابي يشار أمرأته - كيف حبك لزوجتك ؟
- ٨٢ الأصمعي وأعرابي طلق زوجته - لأعرابي طلق امرأته
- ٨٣ لأعرابي بين يدي زياد - لبعض الأعراب في مثله
- ٨٤ لا تفعل فيانه وكلة تكلة !! - يوم عتاب ويوم اكتئاب !!
- ٨٥ لأعرابية ترقص طفلا - أقوال وتعليقات وطرائف
- ٨٦ خاطب يزكيه وسيط : ما أحسن - والله - ما أقبل !!
- ٨٧ آخذ من دنا مني !
- ٨٨ رأيته !!؟ - من طرائف الأعراب - ياليتني كنت صيبا مرضعا !!

الباب الثالث

- ١١٢ - ٨٩ النساء المنجيات ، وأبناء السراى والإماء
- ٩١ بين يدي هذا الباب - للمحقق

٩٣	أنجب النساء
٩٤	إبراهيم عليه السلام وهاجر - محمد ﷺ ومارية ثم صفية - ألى إسحاق
٩٥	وجدى إبراهيم !!
٩٦	هشام وزيد بن على - أبناء الإمام يتفوقون
٩٧	لا عار على مسلم - عجبى ! - أمهات القوم أوعية
٩٨	شتان ما بينهما - المهجاء - أسماء ومسميات
٩٩	إذا قيل له من أبوك ؟ قال : أُمى الفرس !
١٠٠	سيف أهلك زوجه - بنو أمية وأولاد الإمام
١٠١	لا يستويان
١٠٢	بنو أمية في أولاد الأمهات : لماذا لا يبايعون لهم ؟!
١٠٣	كان يهوديا فأسلم
١٠٤	الأدعياء : أخاف هذا الجالس على المنبر
١٠٥	يا حرسى ، خذ هذا الحجر !
١٠٦	من طباع العرب - دعنى على دعنى
١٠٧	تعيون أمرا ظاهرا فى بناتكم
١٠٨	اختلط الأسافل بالأعلى - ثم تريد أن ينجبين !!
١٠٩	من هذه يا أمير المؤمنين ؟ إذا نسبت عديا ...!!
١١٠	عرنى من زجاج - عرنى من قوارير - زائف الحسب

الباب الرابع

١١٣ - ١٥٤	سمات الجمال وأحوال المحبين
١١٥	بين يدى هذا الباب للمحقق
١١٦	صفات الحسن : الحسن كما يروونه .. أهو حمرة فى صفرة ؟ لونٌ وكسا
١١٧	البياض احمرار
١١٨	لقد أصبحت جميلا ! رقة البشرة وصفاء الأديم - حمرة خلطت صفرة فى بياض
١٢٠	الجميلة من بعيد .. المليحة من قريب - قولهم فى رقة التشيب
١٢١	كثير وشعر الجميل
١٢٢	الفرزدق وشعر لابن أبى ربيعة
١٢٤	قولهم فى الغزل : ل محمد بن سيرين - الحجاج وأبو هريرة
١٢٥	كعب بن زهير بين يدى الرسول ﷺ
١٢٨	لبعض الأعراب
١٣٤	التزين والتطيب
١٣٦	ما يكتب على العصائب وغيرها : ظلمتنى فى الحب يا ظالم !

١٤٠	لعن الله من عذر !
١٤١	لا تدعنى موسوسة - قولهم في النحول
١٤٦	في التوديع : ابن حميد وجارية له
١٤٧	ابن يحيى وجاريتان - المعتز وجارية لابن رجاء
١٤٨	أبو أحمد وجارية له - مروان وجارية له
١٤٩	ابن بكار ورجل بالثغر - أعرابي يصف البين
١٥٠ - ١٥٤	أقوال أخرى

الباب الخامس

١٥٥ - ١٧٦	طهر الأنثى وما يذم من عشرة النساء
١٥٧	بين يدي هذا الباب - للمحقق -
١٦٠	أعلم الناس بالنساء - شر النساء -
١٦١	إياك وهؤلاء
١٦٢	خضراء الدمن - ابن قتيبة بين امرأة وزوجها : ومن الرجال ما ساء خلقه
١٦٣	احذر امرأة سمعنة نظرنه - عمر الرجل وعمر المرأة
١٦٤	شر النصفين - امرأة الخطيئة - أم الخطيئة
	علامة الحب والبغض - المرأة اللثغاء - لقد كنت محتاجا إلى موت زوجتي
١٦٥	- إنها كمشجب بالأسى صنعها !
١٦٦	غيره وحمق
١٦٧	ثلاث خصال في الزوج ، هل تطاق وتحتمل !؟
١٦٨	في امرأة قبيحة - صنف منهن - حمدونة بنت المهدي
١٦٩	بكر حواء - حطمتها شلبية طرية ودسوا إليه عجوزا - نموذج كرية
١٧٠	يتعوذ الشيطان منها
١٧١	في مكر النساء وكيدهن - جاهل مغرور من غره النساء بود - أقوال
١٧٢	ليس لمخضوب البنان يمين - فاحسبه عنها يا حابس القيل
١٧٤	ياليبتنى المجعول في النار ! - ماذا تظن سليمي ؟ - الشيب والنساء
١٧٦	أبو دلف والمأمون

الباب السادس

١٧٧ - ١٩٢	أبغض الحلال إلى الله : الطلاق
١٧٩	بين يدي هذا الباب للمحقق
١٨٠	الرشيد والأصمعي : وأنت أيضا طالق إن أجاز زوجك !

- المغيرة وزوجته فارعة - الحسن وعائشة بنت طلحة - إلى غير رجعة ١٨٢
- فارقها قبل أن تفرق شمله - قمة الكراهية ١٨٣
- هكذا تكون الإخوان - بانث فلم يألم لها قلبى ! - ألد من ليلة العرس ١٨٤
- تلك راضية بموضعها - محمد هو الدنيا لا يدوم نعيمها ١٨٥
- وصلتك رحم ١٨٦
- قد طلق امرأته ثم تبعها نفسه - إن الغزال الذى ضيعت مشغول - ما كنت لتعذب عيني
نظرنا إلى سعدى ! ١٨٧
- ابن أبى بكر وامرأته : فى غير شئ تطلق !! ١٨٨
- وكانت جنتى فخرجت منها ١٨٩
- إن فى نفسى من النوار شيئا - فأصبحت الغداة ألوم نفسى ١٩٠
- أبعد صحبة خمسين عاما ؟ رُضت الصعاب فلم تحسن رياضتها ١٩١

الباب السابع

- فى النوادب ، والتعازى ، والمراثى ١٩٣ - ٢١٨
- فرش الباب لابن عبد ربه - اليكاء على الميت ١٩٥
- الأحف وبأكية - النبى ﷺ وبأكيات من الأنصار - القول عند الموت - فاطمة -
رضى الله عنها - مع أبيها عند قبضه ١٩٦
- عائشة - رضى الله عنها - مع أبيها عند احتضاره ١٩٧
- عمر وعائشة - رضى الله عنهما - مع أبى بكر فى احتضاره ١٩٨
- للعازية فى النساء - الوقوف على القبور والقول عند الموت : لفاطمة على قبر أبيها ١٩٩
- عائشة - رضى الله عنها - على قبر أبى بكر - لعل فى فاطمة ٢٠٠
- امراة الحسن على قبره - نائلة على قبر عثمان - لأعرابية فى أبيها ٢٠١
- لأعرابية فى رثاء ابنها - لجارية على قبر أبيها - لأبى نواس - أعرايا ٢٠٢
- لهذيلية فى رثاء إخوة وابن - لشيبانية فى حزنها على أهلها ٢٠٥
- رثاء أخت النضر ٢٠٦
- عمر بن الخطاب والخنساء فى أخوها ٢٠٧
- عائشة والخنساء فى صدار كانت تلبسه - من رثت زوجها ٢٠٨
- ليانة زوجة الأمين ترثه - أعرابية ترث زوجها ٢٠٩
- الأصمعى وجارية على قبر زوجها ٢١٠
- من رثى جاريته : يا موت كيف سلبتنى وصفا ؟! ٢١١
- مروان بن محمد وجارية له - حبيب الطائى يرثى جارية أصيب بها ٢١٣
- أعرابى يرثى امرأته - محمود الوراق يرثى جاريته نشور ٢١٤

- ٢١٥ حب وجارية له ماتت - رثاء ابنة لأحد بنى حميد - للبحترى
٢١٧ للاسكندر يعزى أمه عن فقده

الباب الثامن

- ٢١٩ - ٢٤٦ نماذج للزعامة وحسن السفارة من النساء
٢٢١ بين يدي الباب لابن عبد ربه
الوافدات على معاوية من صواحب عليّ :
٢٢٢ ١ - وفود سودة ابنة عمار على معاوية
٢٢٥ ٢ - وفود بكارة الهلالية على معاوية
٢٢٦ ٣ - وفود الزرقاء على معاوية
٢٢٩ ٤ - وفود أم سنان بنت خيثمة
٢٣١ ٥ - وفود عكرشة بنت الأطرش
٢٣٣ ٦ - قصة دارمية الحجونية مع معاوية
٢٣٥ ٧ - وفود أم الخير بنت حريش على معاوية
٢٣٩ ٨ - وفود أروى بنت عبد المطلب على معاوية
٢٤١ في الأمثال السائرة
٢٤٢ فيمن يضرب به المثل من النساء
ما قيل من الأمثال النسائية في :
٢٤٣ صدق الحديث - سوء المسألة وسوء الإجابة - التعريض بالكناية
٢٤٤ الدعاء بالخير - تعيير الإنسان صاحبه بعيه - الذب عن الحرم - تأديب الكبير
٢٤٥ إعجاب الرجل بأهله - العفو عن المقدرة - مفاكهة الرجل أهله
المروءة مع الحاجة - وضع الشيء في غير موضعه - البخيل يعتل بالعسر - طلب الحاجة
٢٤٦ المتعذرة - المصالحاة - الظلم من نوعين - الكريم يهضمه اللئيم

الباب التاسع

- ٢٤٧ المعجم النسائي في محاسن المرأة وأوصافها الخلقية ، والخلقية
٢٤٩ في محاسن أخلاقها وسائر أوصافها عن الأئمة
٢٥٢ في ترتيب حسن المرأة - في تقيم الحسن وشروطه - في ترتيب سن المرأة
٢٥٣ في محاسن العين
٢٥٤ في محاسن الأسنان
٢٥٤ في تفصيل الأوصاف الحمودة في محاسن خلق المرأة - (عن الأئمة) -
٢٥٨ في نعوتها المذمومة خلقاً خلقاً - (عن الأئمة) -

• فى هذا الكتاب •

• طبع الأثنى ومايذم من عشرة النساء • المرأة العاقلة والمرأة السفهية • إياك وأن تقع
فى هؤلاء !! .. • البكر لك والشيء عليك !... • أعجب النساء !. • أفضل
النساء !. • أحسن النساء !. • أنجب النساء !. • أجمل النساء • شر النساء
• صواحب على وموقفهن من معاوية • نموذج كريبه • ألد من ليلة العرس • الشيب
والنساء • بكر حواء • امرأة يتعوذ الشيطان منها ! • سمات الجمال وأحوال المحين
• صفات الحسن • جاهل مغرور من غره النساء بود • ثلاث خصال فى الزوج
لا تطلق • علامة الحب والبغض • قمة الكراهية • احذر هذه المرأة !.. • مكر
النساء وكيدهن !.. • من يضرب به المثل من النساء . • هند ولماذا اختارت أبا
سفيان زوجاً لها • خير نساء ركن الإبل • الشعى ورأيه فى نساء تميم • عبد الملك بن
مروان ورأيه فى الجوارى • الحجاج ونساؤه • عثمان بن عفان وزوجته نائلة • المغيرة
وزوجته فارعة • امرأة الخطئة وأمه !.. • الحسن البصرى وعلامات الزوج المثالى
• بنات العم والغرائب أيهما أنجب للولد ؟!.. • علامات المرأة المنجبة • أبناء
الجوارى يتفوقن !.. • الحسن والقبح • الحمرة والصفرة فى المرأة • جميلة من بعيد
مليحة من قريب !.. • خضراء الدمن • شرك الصياد !.. ثلاث صفات فى امرأة
قيحة !. • صنف منهن !.. • بم يكمل جمال المرأة • اختيار الحليلة الصالحة
والزوجة الموافقة • وما يحمد من عشرة النساء .. • ما الحب إلا للحبيب الأول !..
• شر عمر المرأة !.. • أعراية ترقص طفلها .. • الخوارج وامرأة أرادوا قتلها !!
• تقبل بأربع وتدير بثان !.. من هى ؟ • إنهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللثام !..
• أريدها بكراً كتيب أو ثيباً كبكر !.. • صان الله ذلك الوجه !.. • أقدم أزواجك
ابنتى !.. • الزوج المثالى • خير زوجة • مؤهلات ومواصفات • وعلى الغائيات
جر الذبول !.. • أقوال وغرائب وطرائف من عالم النساء !.. • أمهات القوم أوعية ..
• من طلق امرأته ثم تبعها نفسه !.. • ابن أبى بكر الصديق وامرأته !.. • النزار
وأخبارها !.. • أبعد صحبة خمسين سنة !.. • هكذا يكون الإخوان • أعراية ترى
زوجها !.. • من رثى جاريته !. • بم وصف علماء اللغة بحاسن المرأة ؟..